

القرآني الفقيه سعيد بن جبير



الشيخ الدكتور
أحمد فاضل سعدون الجادري (السعدي)

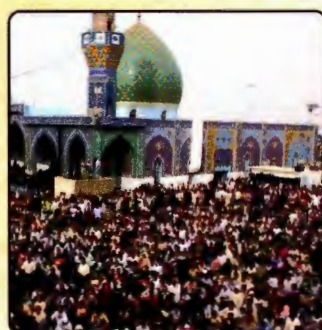
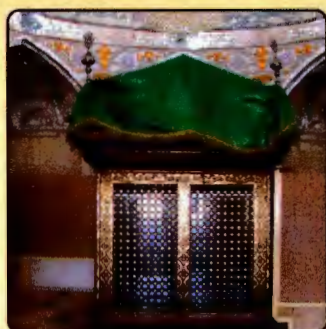


الأمانة العامة للزارات الشيعية الشريفة



أحمد فاضل سعدون الجادري (السعدي)

القرآني الفقيه سعيد بن جبير



www.mzarat.net

القرآني الفقيه سعيد بن جبير

الشيخ الدكتور
أحمد فاضل سعدون الجادري (السعدي)



الأمانة العامة للوزارات الشيعية الشريفة



الإهداء

إلى الشهداء الأبرار من أبناء مدينتي الحبيبة «الحي» وأخص بالذكر
والدي والاستاذ نصار حسين البدرى، والاستاذ صالح مهدي التميمي،
والسيد حسن الصافي، قادة العمل الاسلامي .

التقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين .

وبعد ، فإن كثيراً من الناس دخلوا التاريخ من أبوابه فخلدوا، وآخرون
حاولوا القفز من النوافذ فخابوا، وكان التاريخ لهم بالمرصاد ، وهو خير
حاكم يفصل بين الحقيقة والشعار.

وممن دخلوا التاريخ من أبوابه الواسعة : شهيد العقيدة والولاء «سعيد
بن جبير» الذي طابق اسمه واقع حياته بكل ما في الكلمة من معنى، ففاز
بالسعادة الدنيوية في ظل توليه لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وظل متمسكاً بمبدأ الحق والعدل طيلة حياته إلى أن نال السعادة
الآخروية بالشهادة في سبيل الله، رغم الظروف الصعبة التي مر بها المؤمنون
والموالون لأمر المؤمنين عليه السلام، إبان حكم بني أمية وبني مروان، حيث
كانوا مطاردين حيثما حلوا وارتحلوا، وكانت الشهادة تنتظرهم في كل
آن ومكان.

في تلك الظروف العصيبة ظل «سعيد» متمسكاً بدينه وعقيدته التي هي
أعلى ما لديه في الحياة ، وهو ينتقل من بلد إلى بلد، صارخاً بكلمة الحق

وبالرغم من كل الجبروت - الذي كان يبهر عقول الآخرين - وقف أمام طاغية زمانه : الحجاج بن يوسف، رافعاً صوته بالولاء لعلي عليه السلام ومعلنأ بكل شموخ اعتزازه بهذا الولاء حتى آخر لحظة من حياته.

وبعد ان أسمعته الطاغية حكم الإعدام - الذي كان قد أعدّه مسبقاً له ولكل من يوالي أمير المؤمنين - استغل الفرصة القصيرة للدعاء ، ليس لخلاص نفسه ، بل لتخليص الشيعة والموالين لأهل البيت عليه السلام من ظلم الحجاج إلى الأبد ، فقال : «اللهم لاتسلطه على أحد بعدي» فاستجاب الله دعاءه فوراً، لأنه كان دعاء مظلوم لم يكن له ناصر إلا الله، ودعاء المظلوم يخرق الحجب السبع ليحضى بالإجابة من السميع العليم.

وفي هذا الدعاء، والموقف الفريد الذي وقفه شهيد العقيدة والولاء، درس عظيم للموالين على طول التاريخ، فان «سعيداً» في تلك اللحظة الحرجة لم يكن ليفكر في خلاص نفسه بقدر ما كان يهتم بإخوته السائرين على طريق الولاية، فدعى بالفرج والخلاص لجميع المسلمين والموالين لأمر المؤمنين عامة من ظلم هذا الطاغية بالذات.

وفي نفس الوقت لم يكن ليرغب عن فرصة الشهادة على يد أعتى خلق الله؛ إسوةً بإمامه أمير المؤمنين عليه السلام. فإن أفضل القتل الشهادة في سبيل الله ؛ دفاعاً عن العقيدة والمذهب.

وفي هذا درس لكل الموالين، بل هو من أعظم الدروس التي أملاها على إخوته في طريق الجهاد، فالتفكير في مصير ومستقبل الأمة ونكران الذات في الظروف الحرجة، هو من أنبل صفات المؤمنين.

وهذا الكتاب هو تقدير لشهيد العقيدة والولاء بالمقدار الذي يدين

قلب كل انسان، وليس في قلب كل مسلم فقط.
فسعيد بن جبير عظيم؛ لأنه قدوة للكثير من شيعة أمير المؤمنين في
المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس.
عظيم؛ لأنه كان على جانب رائع من الصمود والإرادة في تحدي
الظلم.

وإتاء العظمة حقها ضروري في كل زمان ومكان، وبين كل قبيل، ولكنه
في عصرنا الحاضر وعالمنا اليوم ألزم منه في أزمنة أخرى لسببين متوازيين:
أحدهما: إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى المصلحين النافعين
لشعوبهم وللعالم اجمع؛ ولن يتاح لمصلح أن يكون قدوة لغيره وهو
مغموط الحق مجهول القدر والمنزلة.

والسبب الآخر: أن بعض الناس قد اجترءوا على العظمة في عصرنا
الحاضر بقدر حاجتهم إلى هدايتها، فإن في الناس من صغار النفوس من
اغترؤا بإنكار أو إهمال الحقوق الخاصة، حقوق الرفعة والشرف النادرين،
والذي يخص المومنين الذين ينصفهم التمييز ويظلمهم الجفاء.
والإهمال هو شريعة العوام الغالبة في العصر، وهذه الآفة تهبط بالخلق
الانساني إلى الحضيض، وتهبط بالرجاء في إصلاح العيوب الخلقية
والنفسية إلى ما دون الحضيض. فماذا يساوي إنسان لا يساوي الإنسان
العظيم لديه شيئاً؟!

وإذا ضاع العظيم بين أناس، فكيف لا يضيع بينهم الصغير؟!
لهذا كان تقدير «سعيد» بالقياس الذي يفهمه المعاصرون نافعاً في
هذا العصر الذي التوت فيه مقاييس التقدير، انه نافع لمن يقدر «سعيداً»،

ولا ينال منه جفاء الجاهل.

وانه لنافع لأصحاب الولاء، فإن الموالي الذي يقدر سعيداً على هذا النحو، يحب سعيداً مرتين، مرة بحكم ولائه للإمام علي عليه السلام، ومرة بحكم السمائل الانسانية التي يتصف بها.

ان صمود «سعيد» في وجه الطاغية واعترازه بعقيدته رغم المضايقات والتهجير، وبعده نظره في تحرير الناس من الذل والهوان، من الامور التي تستحق الاعجاب.

إن عمله هذا لكافٍ في تخويله المكان الأسنى بين صفوة الأخيار الموالين لأمر المؤمنين عليه السلام، الخالدين في التاريخ، فما من أحد يضمن على صاحب هذا المنهج بالتوقير ثم وجود بالتوقير على اسم انسان. وحسب هذا الكتاب ان يكون بنائاً يشار به إلى تلك العظمة، فإن البنان أقدر على الإشارة من الباع على الإحاطة.

ومن هذا المنطلق وحرصاً منها على التعريف بأصحاب أهم المزارات الشيعية الشريفة تقدم الامانة العامة للمزارات هذا الكتاب وكلها أمل ان يرتقي هذا الجهد المتواضع الى عظمة الشخصية التي يحملها اسم هذا الكتاب وهو «القرآني الفقيه سعيد بن جبير» سائلين الله أن ينفع به أخواننا، ويوفقنا للسير على خطى أصحاب الأئمة عليهم السلام والتابعين لهم بإحسان، آمين رب العالمين.

الأمانة العامة للمزارات

الشيعية الشريفة في العراق

للمقدمة

في صراع الحياة وتناقض الإرادات يبرز صنفان من الناس، صنف يحملون النور ويمزقون الديجور يحرثون الأرض لينشروا فيها البذور، دون أن تزعزعهم أيام قلائل أو يرعبهم الأفق المغمم أو تخيفهم سياط الجلادين ووزنانات الظلمة والمقاصل والمشائق وترميل النساء ويتم الأبناء، شعارهم «اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا وبوابة التأريخ تحفل بالكثير من هذه الانجم:

«هذه بوابة التأريخ ملئ بالرجال ... عبروها عبر أعواد المشائق
عبر درب الشوك والخوف ودقات المطارق ... عبروها وأنين الألم
الراصف برق وصواعق عبروها والمناشير هوت فوق المفارق»^(١).
وصنف آخر يزهقون النفوس ويثون الموت والدمار.
ومن الصنف الأول سعيد بن جبير الفقيه القرآني والرسالي الشهيد.
وربما سيسأل البعض لماذا الاهتمام بسعيد؟

في رواية عن الامام الحسن الصادق عليه السلام قال: بينما رسول الله ﷺ جالساً إذ جاءته امرأة فرحاً بها، وأخذ بيدها وأقعدها، ثم قال: ابنة بني ضبيعة قومه، خالد بن سنان^(٢) إن سعيداً فقيه ومحدث وناثر، حمل

(١) من قصيدة للشاعر فاصون جرار.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٤٢.

روحه على كفه وجاب البلدان ليلقى ربه شهيداً على يد طاغية أهلك
الحرث والنسل (أعني الحجاج بن يوسف الثقفي) ولكنه لم يحظ بالاهتمام
الذي يستحق. إننا وانطلاقاً من ضرورة حفظ التراث والانفتاح على الحياة
عبر منارات العلم ورد شيء الجميل بخط الرجال هنا. نأمل أن نكون قد
وفقنا لعرض جانب من جوانب حياة هذا المجاهد الكبير.

الشيخ

د . أحمد الجادري

القسم الأول

سعيد بن جبير

من الكوفة إلى الكوفة



الفصل الأول

سعيد بن جبير

حياته ونشأته

سعيد بن جبير في سطور

- ١- اسمه: سعيد.
- ٢- اسم ابيه: جُبَيْر.
- ٣- اسم جده: هشام.
- ٤- من موالى بني والبة، بطن من أسد.
- ٥- موطنه: الكوفة.
- ٦- مولده: سنة ٣٨ هـ.
- ٧- أصله: من الحبشة.
- ٨- لونه: أسود اللون.
- ٩- أبرز أساتذته: عبد الله بن عباس، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، عبد الله بن عمر.
- ١٠- أولاده: عبد الله، محمد، عبد الملك، أم عبد الله.
- ١١- خادمه: راشد بن قبال ^(١).
- ١٢- نقش خاتمه: «عزّ ربي واقتدر» فغيّره تلبية لطلب استاذة ابن عمر فكتب: سعيد بن جبير ^(٢).

(١) اكمال الكمال: ج ٧، ص ٩٦، تهذيب التهذيب: ج ٢٧، ص ١٩١.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٥٨.

١٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

١٣- عمامته: كان يعتم بعمامة بيضاء^(١)، ويرخي لها طرفاً شبراً من ورائه^(٢).

١٤- حكام زمانه: معاوية بن ابي سفيان، يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك.
١٥- كان ابيض الرأس واللحية حين استشهاده^(٣).

١٦- وكان يكره الخضاب بالوسمة ويقول: يكسو الله العبد النور في وجهه ثم يطفئه بالسواد!^(٤).

١٧- قبض عليه خالد القسري وأرسله إلى الحجاج بطلب من الوليد.
١٨- قتله الحجاج في واسط.

١٩- قدّمه اسماعيل بن أوسط البجلي أحد أعوان الحجاج للقتل^(٥).

٢٠- قتل في شهر رمضان سنة ٩٥ هـ.

٢١- دفن في واسط. وقبره اليوم مزار في مدينة الحبي التابعة لمحافظة واسط في العراق.

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٧.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٢٦٧.

(٤) نفس المصدر.

(٥) ميزان الاعتدال: ج ١، ص ٢٢٢.

حياة سعيد بن جبير

اسمه

سعيد بن جبير^(١) هذا ما عرف عنه ولم يذكر من اجداده الآخرين غير هشام^(٢).

في الرجال العديد ممن عرف بهذا الاسم، ومنهم من عرف باسم سعيد بن جبير:

- ١- سعيد بن جبير بن هشام الوالبي (محول هذه الدراسة).
- ٢- سعيد بن جبير، ويكنى بأبي البختري الطائي، وكنية جبير أبو عمران، كوفي ثقة^(٣).

(١) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٥٦، طبقات المحدثين باصبهان: ج ١ ص ٣١٥، الكاشف في من له رواية في الكتب الستة: ج ١ ص ٤٣٣، طبقات خليفة بن خياط: ص ٤٩١، تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٤٩، رجال الطوسي: ص ١١٤، رجال ابن داود: ص ١٠٢، خلاصة الأقوال: ص ١٥٧، التحرير الطاووسي: ص ٢٤٨، نقد الرجال: ج ٢ ص ٣١٩، جامع الرواة: ج ١ ص ٣٥٩، الأعلام: ج ٣ ص ٩٣.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١، التاريخ الكبير: ج ٣ ص ٤٦١، الثقات: ج ٤ ص ٢٧٥، الجرح والتعديل: ج ٤ ص ٩، التعديل والتجريح: ج ٣ ص ١٢١٨، مشاهير علماء الأمصار: ص ١٣٣، اسعاف المبطل برجال الموطن: ص ٤٠، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٢١.

(٣) التعديل والتجريح: ج ٣ ص ١٢١٩.

٢٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

٣- سعيد بن جبیر الإصبهاني، وولده أحمد الذي روى عن إبراهيم بن زيد التفليسي^(١).

٤- سعيد بن جبیر بن عوف الأزدي، والد عياض، وكان عياض من الصحابة كما ذكر ابن منده^(٢).

٥- سعيد بن جبیر بن وهيب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان والذي ينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان، جد الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبیر^(٣).

ولادته وحياته

ولد سعيد بن جبیر في الكوفة^(٤)، ولم يتعرض المؤرخون لسنة ولادته ولادته سوى الزركلي حيث اعتبرها سنة ٤٥ هـ^(٥)، ولكن يمكن تحديدها من خلال سنة شهادته ومدة حياته، فقد ذهب المؤرخون الى أنه استشهد سنة (٩٤ أو ٩٥ هـ)^(٦). وأما مدة حياته ففيها أقوال:

(١) تسع وأربعون سنة^(٧).

(١) لسان الميزان: ج ٢ ص ٢٥٢.

(٢) الإصابة: ج ٤ ص ٦٢٧.

(٣) رجال النجاشي: ص ٣٩٩.

(٤) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١١.

(٥) الاعلام للزركلي: ج ٣، ص ٩٣.

(٦) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، الأنساب: ج ٥، ص ٥٦٨، التاريخ الكبير: ج ٣، ص ٤٦١.

(٧) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، التاريخ الكبير: ج ٣، ص ٤٦١، وج ٨، ص ١٧٢، تاريخ ابن معين للدوري: ج ١، ص ٣٢٧.

(٢) سبع وأربعون سنة^(١).

(٣) خمسون سنة إلا نصف سنة^(٢).

(٤) ثلاث وخمسون سنة^(٣).

(٥) سبع وخمسون سنة^(٤).

والأرجح عندنا هو الأخير، ويدل عليه قول سعيد نفسه كما ورد عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، قال: دعا سعيد بن جبير حين دعي للقتل، فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة^(٥).

أن ولادة سعيد سنة (٣٨ هـ) إذا كانت شهادته سنة (٩٥ هـ) و(٣٧) إذا كانت الشهادة سنة (٩٤ هـ) ليتناسب مع رواية عمرو بن مرة.

ولم يكن ولد في فترة التحكيم بعد واقعة صفين كما تؤكد رواية عمرو بن مرة، حيث قال: سألت سعيد بن جبير عن الحكمين، فقال: لم أولد إذ ذاك^(٦)، وكانت صفين حدثت سنة (٣٧ هـ) وقضية التحكيم سنة (٣٨ هـ)^(٧).

ولكن إذا قلنا أن سعيداً رأى أبا مسعود الأنصاري^(٨)، وأن الأخير توفي

(١) تاريخ الخلفاء: ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣١٧.

(٣) الأنساب: ج ٥، ص ٥٦٨.

(٤) البداية والنهاية: ج ١، ص ١١٣.

(٥) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٦) جامع البيان: ج ٥، ص ١٠٤.

(٧) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ١٨٨، وص ١٩٠، التنبيه والاشراف: ص ٢٥٦. إلا أن

الطبري في تاريخه: ج ٤، ص ٤٩، يرى أن التحكيم كان سنة (٣٧ هـ).

(٨) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٥٦.

٢٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

أيام علي عليه السلام^(١)، وأن سعيداً كان غلاماً إذ ذاك^(٢) فيعني أنه ولد قبل هذا التاريخ بسنوات إلا أن البعض شكك في معاصرته لأبي مسعود^(٣).
وأما ما ذكره الزركلي فمن المحتمل أن يكون من اجتهاده حيث أخذ الرواية الأولى من مدة حياة سعيد (أي ٤٩) وما دلّ على أنه استشهد سنة (٩٤ هـ).

وعلى أساس روايات مدة الحياة والشهادة يمكن أن نحدد عمر سعيد

كالتالي:

- ١) استشهد سنة (٩٤ هـ) وعاش (٤٩ سنة) فولادته سنة (٤٥ هـ).
- ٢) استشهد سنة (٩٥ هـ) وعاش (٤٩ سنة) فولادته سنة (٤٦ هـ).
- ٣) استشهد سنة (٩٤ هـ) وعاش (٤٧ سنة) فولادته سنة (٤٧ هـ).
- ٤) استشهد سنة (٩٥ هـ) وعاش (٤٧ سنة) فولادته سنة (٤٨ هـ).
- ٥) استشهد سنة (٩٤ هـ) وعاش (٥٠ سنة) فولادته سنة (٤٤ هـ).
- ٦) استشهد سنة (٩٥ هـ) وعاش (٥٠ سنة) فولادته سنة (٤٥ هـ).
- ٧) استشهد سنة (٩٤ هـ) وعاش (٥٧ سنة) فولادته سنة (٣٧ هـ).
- ٨) استشهد سنة (٩٥ هـ) وعاش (٥٧ سنة) فولادته سنة (٣٨ هـ).

والإحتمالات الستة الأولى لا يمكن ترجيحها وفقاً لما نقلناه عن سعيد، والإحتمال السابع تدفعه الرواية التي ثبت أنه لم يولد إلا بعد معركة صفين وقضية التحكيم، فالإحتمال الثامن هو المرجح.

(١) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٥٦.

(٣) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٣.

الانتماء القبلي:

ذكرت المصادر التاريخية والرجالية أن سعيد بن جبير كان مولى لبني والبة بن الحارث من بني أسد^(١)، ومما يؤكد ذلك ما روي عن أبي بشر جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير. قال: قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ قلت: من بني أسد. قال: من عربهم أو من مواليهم؟ قلت: لا، بل من مواليهم. قال: فقل أنا ممن أنعم الله عليه من بني أسد^(٢). وهو حبشي الأصل^(٣) أسود اللون^(٤).
وبنو والبة بطن من بني أسد، وقد عرف منهم رجال مثل:

- ١- أبي يزيد وقاء بن أياس الوالبي.
- ٢- أبي أنس قریش بن أنس الأنصاري الوالبي، مولى لبني والبة.
- ٣- بشر بن أبي خازم الشاعر الأسدي الوالبي.
- ٤- جبلة بن سليمان ويقال: ابن أبي سليمان الوالبي، امام مسجد سعيد

بن جبير.

- ٥- أبي نصر محمد بن قيس الكوفي الوالبي^(٥).

(١) رجال الطوسي ص ١١٤، التعديل والتجريح ج ٣ ص ١٢١٩، الانساب ج ٥ ص ٥٦٨، رجال ابن داود ص ١٠٢، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢١، نقد الرجال: ج ٢ ص ٣١٩، جامع الرواة ج ١، ص ٣٥٩، طرائف المقال: ج ٢، ص ٥٧، الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٦، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١١، التاريخ الكبير ج ٣، ص ٤٦١، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٧٦، الاعلام للزركلي ج ٣، ص ٩٣، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ١١٨.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٦.

(٣) الاعلام للزركلي ج ٣، ص ٩٣.

(٤) التنبيه والاشراف، ص ٢٧٤.

(٥) الانساب: ج ٥، ص ٥٦٨.

القباه:

عرف سعيد بن جبير بالوالي^(١) والاسدي^(٢) والكوفي^(٣). والوالي نسبة الى بني والبة، والاسدي نسبة إلى بني أسد التي تنتمي اليها والبة، والكوفي نسبة الى الكوفة مسقط رأسه.

كنيته:

اختلف في كنيته فقليل:

١- أبو عبد الله^(٤).

٢- أبو محمد^(٥).

(١) تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١١، تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٧٦، الكاشف في من له رواية في كتب الستة ج ١، ص ٤٣٣، رجال ابن داود، ص ١٠٢، الانساب ج ٥، ص ٥٦٨، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢١.

(٢) التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٢١٩، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢١، الاعلام للزركلي ج ٣، ص ٩٣.

(٣) التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٢١٩، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢١، الاعلام للزركلي ج ٣، ص ٩٣.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٦، التاريخ الكبير ج ٣، ص ٤٦١، الثقات ج ٤، ص ٢٧٥، الجرح والتعديل ج ٤، ص ٩، التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٢١٩، طبقات خليفة، ص ٤٩١، الانساب: ج ٥، ص ٥٦٨.

(٥) تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١١، طبقات المحدثين باصبهان ج ١، ص ٣١٥، رجال الطوسي، ص ١١٤، رجال ابن داود، ص ١٠٢، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢١، نقد الرجال: ج ١، ص ٣١٩، جامع الرواة ج ١، ص ٣٥٩، طرائف المقال ج ٢، ص ٥٧، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ١١٨.

٣- أبو محمد وأبو عبدالله^(١).

قال صاحب كتاب قاموس الرجال: الظاهر أن قول الشيخ في الرجال في كنيته «أبو محمد» وهم، قال: أبو حنيفة الدينوري^(٢): كنيته أبو عبدالله، ومثله عن المقدسي، وأبو محمد كنية سعيد بن المسيب^(٣).

ويمكن مناقشته:

- ١- إن القول بأن كنيته «أبو محمد» لم يقل بها الشيخ الطوسي فقط بل هناك آخرون ذهبوا الى ذلك.
- ٢- إن عبدالله توفي شاباً^(٤) ولعل ذلك كان السبب في أن يكنى فيما بعد بأبي محمد، ولعل الذين قالوا بالكنيتين يؤيدون ذلك..
- ٣- إن كون كنية سعيد بن المسيب «أبو محمد» لا تمنع أن يكنى غيره بها.

أسرته:

١- والده ووالدته:

لم تتطرق المصادر الى والد سعيد بن جبير، ولم يعرف الاسم واسم ابيه أي جبير بن هشام الوالبي. وربما توفي جبير، في الفترات الاولى من حياة ولده سعيد، ومما يؤيد هذا الاحتمال: ما نقل عن زواج إمراته بعكرمة، ولكن روى ابن جرير عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال:

(١) الكاشف في من له رواية في كتب الستة ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) الاخبار الطوال، ص ٣٢.

(٣) قاموس الرجال: ج ٥، ص ٨٧-٨٨.

(٤) الكاشف في من له رواية في كتب الستة: ج ١، ص ٥٥٨.

٢٦ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

خرجنا حجاجاً معنا رجل من أهل السواد معه شصوص طير ماء، فقال له
أبي حين احرمتنا: اعزل هذا عنا^(١). مما يظهر أن جبيراً كان حياً ولم يمت في
تلك الفترة، الا اننا نتصور أن هذا النص يرتبط بسعيد لا بأبيه.

ومما يدعم هذا التصور هو أن جبيراً لم يكن من الفقهاء الذين
يستدل ابن جرير برأيهم، وأن الخطأ في "عن سعيد" والصحيح «بن سعيد»
أي عبد الملك بن سعيد بن جبير فعبد الملك يتحدث عن ابيه لا عن جدّه.
وأما والدته: فما عرف عنها إلا أنها تزوجت عكرمة^(٢) بعد اقترانها بجبير،
ولعل ذلك كان بعد وفاة زوجها الاول، وبناء على ذلك فلا بد أن تكون سكنت
مكة لان عكرمة قطنها. وكل ما ذكر عنها موقوف على صحة تلك الرواية.
٢- أعمامه:

ربما يظهر من بعض النصوص أن له عمّاً كما جاء «عن سعيد بن جبير
دخلت مع عمي على ابن عباس»^(٣).
٣- اخوته وأخواته:

لم نجد ما يدل على وجود أخ لسعيد، وربما كان له اخوة ولكنهم لم
يكونوا ممن يشار إليهم بالبنان.
وأما اخواته: فلا ندري ما إذا كان له اخوات وكم عددهن، نعم ذكر أن
الحارث بن النعمان كان ابن اخته^(٤) وهذا يعني أن له أختاً واحدة على الاقل.

(١) جامع البيان: ج ٧، ص ١٠١.

(٢) مشاهير علماء الامصار: ص ١٣٤، التعديل والتجريح: ج ٣، ص ١١٥١.

(٣) اللل ومعرفة الرجال: ج ٢، ص ٥٢.

(٤) ضعفاء العقيلي: ج ١، ص ٢١٤.

٤- أبناء أخواته:

ذكر أن الحارث بن النعمان كان ابن أخت سعيد بن جبير، وقد روى عن أنس بن مالك، قال عنه البخاري: منكر الحديث^(١) وقد توفي أنس في العقد التاسع من القرن الأول حيث ترددت الوفاة بين ٩٠ و ٩٣ هـ^(٢) وهو يدل على أنه قد ولد قبل هذا التاريخ بسنوات بحيث يمكنه أن يروي عنه.

٥- أبنائه وبناته:

جاء في طبقات المحدثين بأصبهان: أن له ثلاث بنين عبدالله ومحمد وعبد الملك^(٣).

وفي كتاب المحلي: قال أبو محمد: أولاد سعيد بن جبير هم ثلاثة: عبدالله وعبد الملك واسحاق، كلهم ثقات مشاهير، فأيهم كان فهو ثقة^(٤). ويتفق النقلان في عبدالله وعبد الملك، والاختلاف في محمد واسحاق، فإذا كان ابنائه ثلاثة - كما يؤكد النصان - فلا يمكن أن يكونا إبنيه معاً، ولكن الأرجح أن يكون محمد هو ابنه الثالث، لا اسحاق، ويؤيده:

١- إن سعيداً كان يكنى بأبي محمد^(٥) ومن الطبيعي عادة أن تكون

(١) ضعفاء العقيلي: ج ١، ص ٢١٤.

(٢) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٤٥.

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان: ج ١، ص ٣١٥.

(٤) المحلي: ج ٨، ص ٢٩١.

(٥) الكاشف في من له رواية في كتب السنة ج ١، ص ٢٢، طبقات المحدثين بأصبهان

ج ١، ص ٣١٥. رجال ابن داود، ص ١٠٢.

الكنية ناشئة عن وجود ولد له بهذا الاسم.

٢- إن القرائن التاريخية لاتساعد أن يكون اسحاق ابنا لسعيد (المترجم له) حيث جاء في كتاب ميزان الاعتدال: أن اسحاق بن سعيد جبیر، عن ابيه، مجهول^(١)، فاسحاق هذا مجهول، ولا يتناسب مع ما قاله المحلى: «كلهم ثقات مشاهير فأیهم كان فهو ثقة» ولعل صاحب المحلى اختلط عليه الأمر حينما رأى في المصادر اسحاق بن سعيد بن جبیر، فظنه من أبناء الشهيد سعيد بن جبیر، ومثله ربما وقع لصاحب ميزان الاعتدال ولسان الميزان^(٢) عندما قالوا: اسحاق بن سعيد بن جبیر، ولكن في الجرح والتعديل: اسحاق بن سعيد بن جبیر^(٣) وفي كتاب الثقات: اسحاق بن سعيد، ولم يذكر جبیراً^(٤).

وكان عبدالله أكبر ابنائه^(٥) ولكنه لم يعيش طويلاً، فقد مات شاباً^(٦) كما كان تنبأ بذلك والده، قد ورد عن كثير بن تميم الداري قال: كنت جالساً عند سعيد بن جبیر، فطلع ابنه عبدالله وكان به من الفقه فقال: إني لأعلم خير حالته قيل: وما هو؟ قال: أن يموت فاحتسبه^(٧). إلا أن هناك رواية تدل على أنه توفي بعد شهادة والده لأنه قد روى قصة شهادته^(٨).

(١) ميزان الاعتدال ج ١، ص ١٩٢.

(٢) لسان الميزان: ج ١، ص ٣٦٤.

(٣) الجرح والتعديل: ج ٢، ص ٢٢١.

(٤) الثقات ج ٨، ص ١٠٨.

(٥) المزي، تهذيب الكمال: ج ٥، ص ٢٦.

(٦) الكاشف في من له رواية في كتب الستة ج ١، ص ٥٥٨.

(٧) تهذيب الكمال: ج ١٥، ص ٢٦.

(٨) التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٢١٨، الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٦٦، العلل ج ٢،

ص ٤٤١، التاريخ الكبير ج ٨، ص ١٧٢ التاريخ الصغير ج ١، ص ٢٤٣.

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبير ٢٩

وعبد الله هذا روى عن أبيه، وروى عنه محمد بن أبي القاسم الطويل وأيوب السختياني وأبو إسحاق، وكان ثقة خياراً. قال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وحكى الترمذي عن أيوب قال: كانوا يعدونه أفضل من أبيه، مات شاباً^(١).

وأما عبد الملك بن سعيد بن جبير بن هشام الكوفي، وهو ابن المترجم له الشهيد سعيد بن جبير، فهو غير عبد الملك بن سعيد بن جبير الأزدي.

روى عن أبيه، روى عنه يزيد بن أبي زياد وليث بن أبي سليم من الطبقة السادسة، عن عبد الرحمن قال: سألت أبي عن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال: لا بأس به، وقال أبو حاتم الرازي: هو صالح. قيل تغير حفظه قبل موته. يقال إنه عاش مئة سنة^(٢).

وأما محمد، فلم يذكر عنه المؤرخون والرجالون شيئاً. وأما بناته، فمن الثابت وجود ذلك، فقد روى يزيد بن أبي زياد: لما جيء بسعيد جعل يحدثنا لا تنكر منه شيئاً، حتى جاءت ابنته فتحرك فانكشفت قيوده، فبكت الجارية ...^(٣).

(١) تهذيب الكمال: ج ٢٦، ص ٣٠٥ وج ٣٤، ص ٤٤٦ و ٤٧٨، سير اعلام النبلاء ج ٨، ص ٣٥٧، الكاشف في من له رواية في كتب الستة ج ١، ص ٥٥٨، تهذيب التهذيب ج ٥، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، الثقات ج ٧، ص ٤.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٣١٧، التاريخ الكبير ج ١، ص ٢١٥ وج ٥، ص ٤١٦، الجرح والتعديل: ج ٥، ص ٣٥٢، التعديل والجرح ج ٢، ص ١٠٠٩.

(٣) أنساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٨.

٣٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

و روي أن له بنتاً هي أم عبد الله، زوجة ميمون بن مهران^(١)، ولكن ليس هناك ما يدل على عددهن أو أسمائهن.

٦- أصهاره:

أ- ميمون بن مهران^(٢):

عن عطاء بن سالم قال: لما قتل سعيد بن جبیر قال ميمون بن مهران: لا أدري بما أكافئ أخِي إلا بأن أتزوج ابنته، فأقدم على سيف الحجاج، وانطلق فتزوج ابنة سعيد بالكوفة وقدم بها الرقة. قال عطاء: فمضيت حتى رأيتها فإذا هي امرأة مسنة جليلة عابدة قاعدة في مسجد، فالتصقت عندها حديثاً فلم أجدها^(٣). وعن الميموني قال سمعت أبي يقول: لما مات ميمون اشتد جزع أم عبد الله بنت سعيد بن جبیر عليه، وكانت زوجته، فعزاها عمرو (أي ابنها كما سوف يأتي) فقال: يا أمة الله احمدي الله عز وجل خرج من الدنيا سالماً لم يصب في سنة ولا في عينه ولا في يديه^(٤). وقال كثير بن هشام: وكانت بنت سعيد بن جبیر امرأة ميمون^(٥).

ومن ذلك يتضح أن زوجها كانت تكنى أم عبد الله.

وسأتي الحديث عن ميمون هذا- فيمن روى عن سعيد بن جبیر

وتلامذته.

(١) المصدر السابق، ص ٣٧١.

(٢) المجموع: ج ٢، ص ٣٨٣.

(٣) أنساب الأشراف: ج ٧، ص ٣٧١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ج ٦، ص ٤٣٤.

(٥) تهذيب الكمال: ج ٢٩، ص ٢١٢.

ب- سالم بن عبد الله:

جاء في كتاب ذكر أخبار أصبهان: أنه ختن سعيد بن جبير. وأحتمل أن يكون هو نفسه سالم الاصبهاني. روى عن طاووس وروى عنه حازم بن جبلة بن أبي نضرة^(١)، وقد حاولنا البحث عنه في المصادر فلم نعثر على معلومات سوى ما ذكره كتاب ذكر أخبار أصبهان، ومن المحتمل أن يكون المقصود منه أبا المهاجر سالم بن عبد الله ابن أبي المهاجر الرقي^(٢) الجزري مولى بني كلاب^(٣) والذي روى عن ميمون بن مهران ومكحول، وروى عنه اسماعيل بن عياش ومعمّر بن سليمان، ووثقه أحمد بن حنبل، وقد توفي ١٦١ هـ^(٤) وذلك للتناسب التاريخي والرواية عن ميمون.

٧- أحفاده واسباطه:

لم تشر الكتب الى أحفاد سعيد، وقد قيل: إن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، فربما لم يكن لهم شأن يستدعي نقل أسمائهم أو التعريف بهم.

وأما أسباطه، فقد ذكر منهم: عمرو بن ميمون، وهو عمرو بن ميمون بن مهران الجزري الرقي^(٥) وكنيته أبو عبد الله^(٦). وكان جده مكاتباً لبني نصر بن

(١) ذكر أخبار أصبهان: ج ١، ص ٣٣٨.

(٢) تهذيب الكمال: ج ٣٤، ص ٣٢٧.

(٣) نفس المصدر: ج ١٠، ص ١٥٨.

(٤) الكاشف في من له رواية في كتب الستة ج ١، ص ٤٢٣.

(٥) التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٠٩٧.

(٦) الجرح والتعديل ج ٦، ص ٢٥٨.

معاوية فاعتق وأبوه مملوكا لامرأة من الازد من ثماله يقال لها أم نمر، فأعتقه وقد استقر ميمون في الكوفة حتى كان هياج الجماجم فتحول الى الجزيرة^{(١)(٢)} وكانت أمه مملوكة لبني نصر بن معاوية^(٣) وقد روى عمرو عن أبيه ميمون وسليمان بن يسار، وروى عنه الثوري^(٤)، وكان له أخ وهو عبد الأعلى^(٥) ولكن لم يثبت أن أمه بنت سعيد بن جبير، فلعله كان من أولاد ميمون من زوجة ثانية ومما يؤكد هذا الأمر أنهم عندما تعرضوا لعمرو قالوا: أمه أم عبدالله بنت سعيد بن جبير^(٦)، وعمرو بن ميمون الجزري ابو عبدالله وأبو عبدالرحمن سبط سعيد بن جبير^(٧)، بينما لم يذكروا مثل ذلك في عبدالاعلى. وكان عمرو ممن يكن له والده كامل الاحترام، فعن أبي بكر بن نوفل بن الفرات العقيلي قال: قيل لميمون بن مهران: كيف عبد الاعلى إبنك؟ قال: نعم الرجل عمرو^(٨).

وقد وثقه رجال الحديث، فعن يحيى بن معين: عمرو بن ميمون بن

(١) الطبقات الكبرى ج ٧، ص ٤٧٧، طبقات خليفة، ص ٥٨٥، التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٠٩٧.

(٢) الجزيرة: المقصود بها جزيرة أقور، بالقاف، وهي التي بين دجلة والفرات في مجاورة الشام، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٣٤.

(٣) التاريخ الصغير ج ١، ص ٣٢١.

(٤) الجرح والتعديل ج ٦، ص ٢٥٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ج ٣٣، ص ٤٤٦.

(٦) تهذيب الكمال: ج ٢٢، ص ٢٥٥، تهذيب التهذيب ج ٨، ص ٩٥.

(٧) تقريب التهذيب ج ١، ص ٧٤٧.

(٨) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٦، ص ٤٣١.

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبير ٣٣

مهران ثقة^(١)، وكان فقيهاً^(٢) ورأساً في السنّة والورع^(٣) توفي سنة ١٤٧ هـ^(٤) بالكوفة، وقيل ١٤٥ بحصن مسلمة^(٥)^(٦) ومما يجدر ذكره: أن البعض كناه بابي عبدالرحمن^(٧) ولكن الصحيح أن هذه كنية أخيه عبد الأعلى.

موطنه:

في الكوفة ففيها ولد سعيد بن جبير واليها نسب^(٨) ولم يفارقها الا لطلب العلم حيث نزل مكة^(٩)، أو للاختفاء من أعين الحجاج^(١٠).

(١) الجرح والتعديل ج ٦، ص ٢٥٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٦، ص ٤٢٤.

(٣) الكاشف في من له رواية في كتب الستة ج ٢، ص ٨٩.

(٤) التاريخ الصغير ج ٢، ص ٨١، التاريخ الكبير ج ٦، ص ٣٦٧-٣٦٨، الثقات ج ٧، ص ٢٢٤.

(٥) الثقات ج ٧، ص ٢٢٤.

(٦) حصن مسلمة: هو حصن بالجزيرة بين رأس عين والرقعة، بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم... وبين حصن مسلمة وحران تسعة فراسخ، وهو على طريق القاصد للرقعة من حران، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٦٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ج ٣٣، ص ٤٤٦، التاريخ الصغير ج ٢، ص ٨١.

(٨) رجال الطوسي، ص ١١٤، نقد الرجال ج ٢، ص ٣١٩، جامع الرواة ج ١، ص ٣٥٩، طرائف المقال ج ٢، ص ٥٧، معجم رجال الحديث ج ٩، ص ١١٨، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢١، الانساب ج ٥، ص ٥٦٨، التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٢١٩، الاعلام للزركلي ج ٣، ص ٩٣، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١١، تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٧٦.

(٩) رجال الطوسي، ص ١١٤، نقد الرجال ج ٢، ص ٣١٩، جامع الرواة ج ١، ص ٣٥٩، طرائف المقال ج ٢، ص ٥٧، معجم رجال الحديث ج ٩، ص ١١٨.

(١٠) كما سوف يأتي.

٣٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

ونظراً لأهمية هذه البقعة ولما لها من علاقة بسعيد، لابد أن نلقي عليها الضوء بإيجاز.

الكوفة:

المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسمّيها قوم خد العذراء، وقد سمّاها عبدة بن الطيب كوفة الجند. وجه تسميتها:

١- قال ابو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدراتها، أخذاً من قول العرب: رأيت كوفانا وكوفانا- بضم الكاف وفتحها- للرميلة المستديرة.

٢- قيل: سميت الكوفة كوفة؛ لاجتماع الناس بها، من قولهم: قد تكوّف الرمل.

٣- يقال: أخذت الكوفة من الكوفان، يقال: هم في كوفان أي في بلاء وشرّ.

٤- قيل: سميت كوفة، لأنها قطعة من البلاد من قول العرب: قد أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة.

٥- وذهبت جماعة الى أنها سمّيت كوفة بموضعها من الأرض، وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمّى كوفة.

٦- وقال آخرون: سميت كوفة؛ لأن جبل سائيدما يحيط بها كالکاف عليها.

٧- قال الكلبي: سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة؟ موضعها، وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها، فسمّيت به.

تمصيرها:

مَصَّرَت الكوفة أيام عمر بن الخطاب في السنة التي مَصَّرَت فيها البصرة سنة ١٧، وقال قوم: إنها مَصَّرَت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩ وقيل: سنة ١٨.

الكوفة قبل التمصير:

قال ابن عباس: كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى اختصاصاً من قصب، إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها، فإذا عادوا بنوها، فكانوا يغزون ونسائهم معهم.

مسجد الكوفة:

تعتبر الكوفة حاضرة دينية وعلمية، فقد ضمت بين اضلاعها مساجد خلّدت بخلود الزمن وكان لها قداستها الخاصة، فمن مساجد الكوفة المسجد المعروف باسمها، وقد رويت فيه فضائل كثيرة، روى حبة العرني قال: كنت جالسا عند علي عليه السلام، فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين هذه راحلتي وزادي أريد هذا البيت، أعني بيت المقدس، فقال عليه السلام: كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد، يعني مسجد الكوفة، فإنه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد، والبركة منه إلى اثني عشر ميلا من حيث ما أتيته وهي نازلة من كذا ألف ذراع، وفي زاويته فار التنور وعند الاسطوانة الخامسة صلى إبراهيم عليه السلام، وقد صلى فيه ألف نبي وألف وصي، وفيه عصا موسى والشجرة اليقطين، وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق، وفيه مسير لجبل الالهواز، وفيه مصلى نوح عليه السلام، ويحشر منه يوم القيامة سبعون ألفا ليس عليهم حساب ووسطه على روضة

من رياض الجنة وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين، لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوا^(١).

مسجد السهلة:

وهو من مساجد الكوفة، جاء في معجم البلدان: السهلة: بفتح أوله، ومعناه مفهوم، قرية بالبحرين ومسجد بالكوفة، قال أبو حمزة الثمالي: قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا أبا حمزة هل تعرف مسجد سهل؟ قلت: عندنا مسجد السهلة، قال: أما إنني لم أرد سواه لو أن زيدا أتاه فصلى فيه واستجار ربه من القتل لأجاره، إن فيه لموضع البيت الذي كان يخطط فيه إدريس عليه السلام، ومنه رفع إلى السماء، ومنه كان إبراهيم عليه السلام، يخرج إلى العمالقة، وفيه موضع الصخرة التي صورة الأنبياء فيها، ومنه الطينة، التي خلق الله الأنبياء منها، وهو موضع مناخ الخضر، وما أتاه مغموم إلا فرّج الله عنه^(٢).

فضل الكوفة وأهلها:

وقد حظيت هذه المدينة وأهلها بمكانة خاصة في الاسلام. قال سلمان الفارسي: أهل الكوفة أهل الله وهي قبة الاسلام يحن إليها كل مؤمن^(٣).

وكانت إحدى المراكز العلمية المهمة، يقول سفيان بن عيينة: خذوا

(١) معجم البلدان ج ٤، ص ٤٩٠-٤٩٢، بحار الانوار، ج ٨٠، ص ٣٦٠، مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٢) معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣) نفس المصدر: ج ٤، ص ٤٩٢.

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبير ٣٧

المناسك عن أهل مكة وخذوا القراءة عن أهل المدينة وخذوا الحلال والحرام
عن أهل الكوفة^(١) وقد إتخذها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مقراً لحكومته.

(١) نفس المصدر: ص ٤٩٣.

الفصل الثاني

البعد العلمي

في حياة سعيد بن جبير

البعد العلمي

هجرة العلم

توجه سعيد بن جبير نحو مكة، مهبط الوحي، وثاني القبلتين، ومحط إبراهيم، وموطن اسماعيل، وأول بقعة أنست بايات القرآن عندما هبط جبريل رسول السماء على محمد وهو يقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١)، وكعبة الرب، وأول بيت وضع للناس^(٢). وغار محمد، وفي كل زقاق من أزقتها أريج الدعوة الاسلامية، وهي شريط يمتد بالذكريات فما من معلّم الا ويحدثك عن قصة الحبيب المصطفى وحرسته، فها هو المستجار، والدار التي ولد فيها النبي، وشعب أبي طالب، وغار ثور وزمزم والصفاء والمرودة ودار عبد المطلب وأبي طالب وخديجة وجبل أبي قيس، وحولها منى والمشعر وعرفات و... كلها تشدك الى الاسلام ومعارفه، والرعيّل المؤمن الأول من الصحابة وانجازاتهم العملاقة التي ملأت الكون نوراً لتحمل مع حركتها تباشير الصبح.

(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة

آل عمران: ٩٦.

لقد هيمنت مكة على قلب سعيد فسلبته نومه، وأطارت لبه ولم يعد يتمكن المكوث طويلاً بين أهله وذويه فقرّر الهجرة الى الله. فودّع الأحبة وسافر. ولم يحدثنا التاريخ عن عمره ذلك اليوم، ولم تتطرق المصادر التاريخية الى كيفية هذه الهجرة والرحلة الشاقة التي كانت تستغرق وقتاً طويلاً في دروب غير آهلة وصحراء قاحلة، ولكنه رحل على أي حال ولم تشر التواريخ الى من رافق سعيداً من أسرته. واستقر سعيد في مكة وانفتح على معالم اساطينها وعلمائها، يرتوي من نعيم علمهم مما يؤهله ليكون أحد محطات الفيض وملاذ أهل المعرفة.

سعيد بن جبیر في مدرسة ابن عباس:

إبن عباس هو أبو العباس عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، إبن عم النبي. وأمه لبابة بنت الحارث من بني عامر بن صعصعة أخت ميمونة بنت الحارث زوجة النبي. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي وله ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة، وقيل: عشر. وكان حبر هذه الامة وعالمها ويقال له: ترجمان القرآن^(١).

وقد دعا له النبي قائلاً: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل^(٢).

وكان محباً لعلي عليه السلام وتلميذه، حاله في الجلالة والاخلاص لأمر المؤمنين أشهر من أن يخفى^(٣).

قال ابن ابي الحديد عن التلميذ والاستاذ: قرأ عبدالله بن عباس على علي

(١) اختيار معرفة الرجال ج ١، ص ٢٧٢-٢٧٣، فتح الباري ج ٧، ص ٧٨-٧٩.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢، ص ٣٦٥.

(٣) خلاصة الاقوال، ص ١٩.

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبير ٤٣

بن أبي طالب عليه السلام وقال إن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي^(١)، وقال في حديثه عن تفسير علي عليه السلام: علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرّع، وإذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك؛ لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه اليه، وأنه تلميذه وخريجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط^(٢).

وكان مدافعا عن أمير المؤمنين والحسين^(٣) وقد بعثه الامام علي عليه السلام مع ابنه الحسن الى الكوفة لدعوة أهلها للحاق به في حرب الجمل^(٤). كما أرسله إلى أم المؤمنين عائشة بعد هزيمة أصحاب الجمل يأمرها بتعجيل الرحيل وقلعة العرجة وقد دار بينهما حوار حيث قال لها: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعث اليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلعة العرجة فقالت: رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطاب فقال لها ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين وإن تزيّدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس، أما والله لهو أمير المؤمنين وأمس برسول الله رحماً وأقرب قرابة وأقدم سبقاً وأكثر علماً وأعلى مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١، ص ١٨.

(٢) نفس المصدر، ص ١٩، كتاب الأربعين، ص ٤١٥، بحار الانوار ج ٤١، ص ١٤٢.

(٣) معجم رجال الحديث ج ١١، ص ٢٥٦.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٣٨.

(٥) اختيار معرفة الرجال ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٨.

و كان رسول علي عليه السلام الى الخوارج^(١). وقد ذهب بصره لبكائه على علي والحسن والحسين^(٢).

أخرجه ابن الزبير من مكة الى الطائف. ونقل المسعودي قائلاً: ذكر سعيد بن جبير: أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: أنت الذي تؤنّبني وتبخلني؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره. فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة، وجرى بينهما خطب طويل^(٣) وخرج ابن عباس من مكة خوفاً على نفسه، فنزل الطائف، فتوفي هناك^(٤) وكان موته سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة أو إحدى وسبعين، وصلى عليه محمد بن الحنفية^(٥) وكان يقول في مرضه الذي مات فيه: اللهم إني أحيى على ما حيي عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وأموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب^(٦). وقد روى عنه خلق كثير من الصحابة^(٧).

ففي مدرسة ابن عباس تتلمذ سعيد، فأخذ منه التفسير والفقه والحديث وعدّ من أصحابه.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢، ص ١٩١.

(٢) مروج الذهب ج ٣، ص ١٠١، الدرجات الرفيعة، ص ١٣٩، اختيار معرفة الرجال ج ١، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) مروج الذهب ص ٨٣.

(٤) الدرجات الرفيعة ص ١٣٩.

(٥) اختيار معرفة الرجال ج ١، ص ٢٧٣.

(٦) معجم رجال الحديث ج ١١، ص ٢٤٧، الأنوار العلوية ص ٤٦٢.

(٧) اختيار معرفة الرجال ج ١، ص ٢٤٧.

وقد مرت العلاقة بين التلميذ وأستاذه بمراحل هي:

١- التعرف على الأستاذ:

في هذه المرحلة دخل سعيد حلقة ابن عباس، وكان من المعتاد أن يسأل الأستاذ تلميذه عن هويته، فعن أبي بشر جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ قلت: من بني أسد قال: ممن عربهم أو من مواليهم؟ قلت: لا، بل من مواليهم. قال: فقل: أنا ممن أنعم الله عليه من بني أسد^(١).

٢- التلمذة والتعلم:

بروح والهة للعلم إنفتح التلميذ على الأستاذ، فأعاره سمعه وبصره وروحه وأخذ يدون أقواله وأحاديثه، يقول: كنت أسمع الحديث من ابن عباس فلو يأذن لي لقبّلت رأسه^(٢).

ويقول: كنت أجلس إلى ابن عباس فاكتب في الصحيفة حتى تمتلئ، ثم أقلب نعلي، فاكتب في ظهورهما^(٣). وعن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها وكتبت في نعلي حتى أملأها وكتبت في كفي، وربما أتيت فلم أكتب حديثاً، حتى أرجع لا يسأله أحد عن شيء^(٤). وعن أبي حصين قال: سألت سعيد بن جبير قلت: أكل ما أسمعك تحدث سألت عنه ابن عباس؟ فقال: لا، كنت أجلس

(١) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٦.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٥، ص ١٨.

(٣) الاصابة ج ٤، ص ١٢٩، الطبقات الكبرى ج ٢، ص ٣٧٠.

(٤) سنن الدارمي ج ١، ص ١٢٨.

٤٦ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

ولا اتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فاحفظ^(١)، وعن يعقوب بن جعفر عن سعيد قال: كنت آتي ابن عباس فاكتب عنه^(٢).

ولسنا بصدد المناقشة في الكتابة على النعل وصحة ذلك وإنما الغرض هو اهتمام سعيد بعلم أستاذه.

لقد اعتمد التلميذ أسلوبين علميين: الحفظ والكتابة، وكان أحرص على السمع منه على الكلام. ولكن الأستاذ تعرّف على قدرات تلميذه فاهتم به، مما أهله ليطوي هذه المرحلة نحو المراحل الأخرى.

٣- التشويق والتحفيز:

عن قتادة عن أبي حسان عن سعيد بن جبير: إن امرأة كتبت الى ابن عباس بعد ما ذهب بصره، قال: فدفع الكتاب الى ابنه فلبس، قال: فدفع الصحيفة اليّ فقرأتها عليه، فقال لابنه: ألا هزمتها كما هزمتها الغلام المضري^(٣).

٤- إجازة الرواية:

عن مؤذن بن وداعة قال: دخلت على عبد الله بن عباس وهو متكئ على مرفقة من حرير وسعيد بن جبير عند رجله وهو يقول له: أنظر كيف تحدث عني، فإنك قد حفظت عني حديثاً كثيراً^(٤).

وعن شعبة، عن الاعمش عن مجاهد، قال ابن عباس لسعيد بن جبير: حدث قال: أحدث وأنت ها هنا؟ قال: أوليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علّمتك^(٥).

(١) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر ص ٢٥٩.

(٤) نفس المصدر ص ٢٥٧.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٣٥، الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٦-٢٥٧.

٥- عدّه منه:

عن عكرمة قال: أرسل سعيد بن جبير الى ابن عباس: إني قد اتخذت لك طعاماً فأنتني مع من أحببت، فأتاه، فقال له يا سعيد: إني لست أتاثر على أحد، إنما أعدك رجلاً منا^(١).

٦- إرجاع الناس اليه في الفتوى:

عن جعفر بن أبي المغيرة: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير^(٢).

بقي التلميذ على صلة باستاذة الى حين وفاته حيث شهد جنازته، يقول سعيد: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر أبيض لم ير على خلقته فدخل في نعشه، ولم يخرج منه، فلما دفن تليت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ...﴾ الى آخر السورة^(٣).

ولم ينقطع سعيد عن تراث ابن عباس أو عن أسرته فهو الوفي الذي يعمل بحديث النبي ﷺ: المرء يحفظ في ولده بعده^(٤). ومن هنا كان يدعو الله أن لا يميته حتى يريه رجلاً من ولد عبد الله بن عباس يفتي فتواه، ف قيل له: هل لك في

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٤، ص ٢٤١.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢٥، الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٧، الانساب ج ٥، ص ٥٦٨، تهذيب الكمال ج ١٠، ص ٣٦٤، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١١. ذخائر العقبى، ص ٢٣٧.

(٣) الاصابة ج ٤، ص ١٣٠، تاريخ بغداد ج ١٣، ص ١٤٩.

(٤) كتاب سليم بن قيس، ص ٢٩٠، السقيفة وفدك، ص ١٠٢، الاحتجاج ج ١، ص ١٣٩، بحار الانوار ج ٢٨ ص ٣٠٢، وج ٢٩، ص ٢٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦، ص ٢١٢، كشف الغمة ج ٢، ص ١١٣.

٤٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

رجل الناس يسألونه ويجيبهم بمثل جواب ابن عباس، فقال ابن جبير: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني رجلاً من ولد ابن عباس يفتي بفتواه^(١).

وفي المقابل لم يصدر من ابن عباس أو أولاده موقف رافض لسعيد في نقله علم ابن عباس كما حصل لعكرمة مثلاً^(٢). لقد اقترن اسم سعيد باسم ابن عباس والعكس صحيح أيضاً^(٣).

سعيد بن جبير تلميذ الامام السجاد:

السجاد هو علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، زين العابدين^{(٤)(٥)}.

وهو رابع الائمة من آل بيت الرسول: قال الزهري: ما رأيت أحداً كان أفقه من علي بن الحسين. وعن المسيب قال: ما رأيت أورع منه. وقال مالك: بلغني أنه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة الى أن مات. قال: وكان يسمى زين العابدين لعبادته. وجاء عن علي: أنه كان كثير الصدقة في السر^(٦).

(١) اخبار الدولة العباسية ص ١٦١.

(٢) ضعفاء العقيلي ج ٣، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٥، ص ١٨.

(٤) لقد وقع البعض في خطأ عند ما جعلوا السجاد لقباً للإمام محمد بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام وذلك من قبيل تهذيب التهذيب ج ١٢، ص ٣٠٧، تقريب التهذيب ج ٢، ص ٥٨٧ وإن كان الباقر سجاداً أيضاً في الحقيقة، لكن هذا اللقب اختص به والده الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

(٥) تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٧٤.

(٦) تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٧٥.

وعن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه أنه قال: ما رأيت هاشميا أفقه من علي بن الحسين^(١).

وجاء في سير أعلام النبلاء: قيل: كان علي بن الحسين إذا سار في المدينة على بغلته لم يقل لأحد: الطريق، ويقول: هو مشترك، ليس لي أن أنحي عنه أحداً. وكان له جلالة عجيبة وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للامامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله^(٢).

وهو صاحب الصحيفة السجادية المعروفة بزبور آل محمد^(٣) والتي تمثل مدرسة التوحيد والعقيدة والاخلاق والعرفان والتربية.

التحق سعيد بن جبير بجامعة الامام زين العابدين ليستضي بنورها ويرتوي من عذب فرائها الذي لا ينضب، فهي مدرسة الرسالة التي تتصل بالسماء رسولها محمد المصطفى، وحلقة وصلها بالرب العليم جبرئيل، ورجالها أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٤)، وهي سفينة النجاة من التي ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى^(٥).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٤١، ص ٣٨٨، تهذيب الكمال ج ٢٠، ص ٣٩٣، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٩٤.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٩٨.

(٣) وسائل الشيعة (الاسلامية) ج ١، ص ١٠.

(٤) الاحزاب ٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

(٥) كما دلت على ذلك الروايات الواردة عن ابي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق يراجع: مجمع الزوائد ج ٩، ص ١٦٨، المعجم الصغير ج ١، ص ١٣٩ وج ٢،

يقول المناوي «أثبت المصطفى ﷺ لأمته بالتمسك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها، ومحصوله الحث على التعلق بحبهم وحبهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدى شكر النعمة المترادفة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران، وتيار الطغيان، فاستحق النيران، لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدة أخبار كيف وهم أبناء ائمة الهدى، ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده وهم فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم، وبرأهم من الآفات، وافترض مودتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى ومعدن التقى»^(١) وقال: ومن ثم ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم^(٢).

آمن سعيد بأن النجاة في ركوب سفينة العترة الطاهرة، وكان من رواة هذا الحديث، حيث جاء في المعجم الكبير: حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رض) قال: «قال رسول الله ﷺ: مثل أهل بيتي مثل

ص ٢٢، المعجم الاوسط ج ٦، ص ٨٥، المعجم الكبير ج ٣، ص ٤٦، الجامع الصغير ج ١، ص ٣٧٣ وج ٢، ص ٥٣٣، ينابيع المودة ج ١، ص ٩٣ وج ٢، ص ٩٠ وص ١٠١ وعن ابي ذر قال: رسول الله ﷺ ونقل نفس الرواية، نظم درر السمطين، ص ٢٣٥، مسند الشهاب ج ٢، ص ٢٧٣ و ٢٧٥، الكمال، ابن عدي ج ٢، ص ٣٠٦ وج ٤، ص ١٩٨، تهذيب الكمال ج ٢٨، ص ٤١١.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢، ص ٦٥٨ - ٦٥٩.

(٢) نفس المصدر: ج ٥، ص ٦٦٠.

سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(١).

لقد انفتح السعيد (سعيد) على الإمام السجاد وعدّه من أصحابه^(٢)، بل من خواصه. قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي^(٣).

إن العلاقة بين سعيد والامام السجاد لم تكن تقتصر على الجانب العلمي فقط بل كانت رابطة عقيدة وحب، فقد كان يأتّم بالامام السجاد كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام: «إن سعيد بن جبير كان يأتّم بعلي بن الحسين فكان علي يثني عليه وما كان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الامر وكان مستقيماً»^(٤).

ومن الواضح أن الانتماء آنذاك يعني القتل، ولولا ذلك لما أشار الامام الصادق لهذه القضية، هذا من جانب، ومن جانب آخر: كان الامام السجاد يحب مجالسة سعيد، فعن مسعود بن الحكم قال لي علي بن الحسين: أتجالس سعيد بن جبير؟ قلت: نعم، قال: لأحبّ مجالسته وحديثه^(٥).

ومما مر يتضح الاشكال فيما رواه مسعود بن مالك، قال: قال لي علي

(١) المعجم الكبير ج ١٢ ص ٢٧، مسند الشهاب ج ٢، ص ٢٧٣ وص ٢٧٥.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ص ١١٤.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٣٢، خلاصة الاقوال: ص ١٥٧، التحرير الطاووسي:

ص ٢٤٨، نقد الرجال: ج ٢، ص ٣١٩.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٣٥، خلاصة الاقوال: ص ١٥٧، رجال ابن داود:

ص ١٠٣، التحرير الطاووسي: ص ٢٤٩، نقد الرجال: ج ٢، ص ٣١٩، معجم رجال

الحديث: ج ٩، ص ١١٩، روضة الواعظين: ص ٢٩٠، بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٣٦.

(٥) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤١.

بن الحسين: ما فعل سعيد بن جبیر؟

قال: قلت صالح، قال: ذاك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، انه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده الى العراق^(١).
إن استاذاً كالامام السجاد والذي يمتاز بالخصائص التي مرت لا يتصور أن يسأل تلميذا له، مهما كانت عظمتة إلا أن يكون في ذلك إشارة الى مقام سعيد وإرشاداً للناس للسؤال عنه كما كان الإمام علي عليه السلام يرجع بعض السائلين إلى الحسن والحسين وابن الحنفية. أو يسألهما بمحضر من الصحابة. يبقى أن نشير الى المكان الذي التقى فيه سعيد بالامام السجاد وهل كان مكة او المدينة؟

إن بعض النصوص التاريخية تؤكد أن مكة جمعت بين الاستاذ والتلميذ، فعن عبد الملك قال: جاورت بمكة وثم علي بن الحسين وسعيد بن جبیر^(٢).

سعيد بن جبیر في حلقة عبدالله بن عمر:

وعبد الله هو ابن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ابو عبد الرحمن المكي، أسلم قديماً وهو صغير وهاجر مع ابيه. روى عن النبي ﷺ وعن ابيه وعمه زيد وأخته حفصة وأبي بكر وعثمان وعلي وسعيد وبلال وزيد بن ثابت وصهيب وابن مسعود وعائشة ورافع بن خديج. مات سنة ثلاث وسبعين^(٣). ذكر الزبير: أن عبد الملك لما أرسل الى

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ج ٦، ص ٢٥٨.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ج ٤، ص ٢٦٤.

(٣) تهذيب التهذيب ج ٥، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

الحجاج أن عمر شق عليه ذكره، فأمر رجلاً معه حربة يقال: إنها كانت مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة لصق ذلك الرجل به فأمر الحربة على قدمه، فمرض منها أياماً ثم مات^(١). وكان أمر أن يدفن ليلاً ولا يعلموا الحجاج لئلا يصلّي عليه^(٢).

لقد تواصل سعيد مع ابن عمر يسمع منه وينقل ما يرويه عنه حتى بعد إنتقاله الى الكوفة، فعن ايوب عن سعيد بن جبير، قال: كنا اذا اختلفنا بالكوفة في شيء كتبته عندي حتى القى ابن عمر فأسأله عنه^(٣) وكان ابن عمر يهتم به كثيراً ويكفي أن نشير الى ما نقله سعيد نفسه قال: سئلت عن المتلاعنين في إمرة مصعب أيفرق بينهما؟ قال: فما دريت ما أقول فمضيت الى منزل ابن عمر بمكة، فقلت للغلام: إستاذن لي، قال: إنه قائل، فسمع صوتي، قال: ابن جبير؟ قلت: نعم، قال: ادخل فوالله ما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة، فدخلت فإذا هو مفترش برذعة متوسد وسادة حشوها ليف ...^(٤).

إن ابن عمر - وكما يحدثنا الخبر - يسأل عن الجائي، وعندما يعلم بأنه سعيد يأذن له في وقت استراحته ونومه، وذلك ايماناً منه بأن سعيداً لا يأتي في مثل هذا الوقت إلا لحاجة، فهو ممن يقدر الظروف، وأن حاجته تستحق الاهتمام وليس كحاجات الآخرين، وإلا كان ينبغي أن يسأل غلامه عن حاجة الرجل لاعتن شخصه.

(١) شذرات الذهب ج ١، ص ٨١ تهذيب التهذيب ج ٥، ص ٢٨٨.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٥، ص ٢٨٨.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٨.

(٤) صحيح مسلم ج ٤، ص ٢٠٦.

ومما يؤكد مكانة سعيد لدى ابن عمر قوله عندما سئل عن مسألة: سلوا عنها سعيد بن جبیر، فهو أعلم بها مني^(١)، وأنه سئل عن فريضة فقال: سلوها سعيد بن جبیر فانه أعلم به^(٢).

وعن أسلم المنقري عن سعيد بن جبیر: أنه جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن فريضة فقال: إئت سعيد بن جبیر فانه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض^(٣).

فقيه عصر التابعين

طوى سعيد بن جبیر المراحل العلمية المختلفة ليكون في مصاف العظماء الذين يشار اليهم بالبنان وينال لقب «جهبذ العلماء» وهو لقب لم يقترن بغيره كما اقترن به^(٤)، فلا ترى ذكراً لسعيد الا ومعه هذا اللقب^(٥) والذي يعني النقّاد الخبير بغوامض الأمور، البارِع العارف بطرق النقد^(٦) واذا كانت كلمة جهبذ تستبطن هذا العنوان الكبير فمن الواضح أن مداها العلمي

(١) اصول السرخسي ج ٢، ص ١١٥.

(٢) المحصول للرازي ج ٤، ص ١٧٧، الاحكام للامدي ج ١، ص ٢٤٠.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٥٨.

(٤) جاء في سير اعلام النبلاء ج ٦، ص ٢١: كان ايوب جهبذ العلماء، وقد حاولت تقصي كلمة جهبذ العلماء فلم اجد الا هذا المورد حيث استخدمت فيه الكلمة بحق آخر غير سعيد، ومع ذلك لم تقترن بأيوب.

(٥) الجرح والتعديل ج ٤، ص ١٠، الكامل، ابن عدي ج ١، ص ٥١، تاريخ اسماء الثقات

ص ٩٨، تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٧٦، سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٣٣ و ص ٣٤١،

ذكر اخبار اصبهان ج ١، ص ٢٢٧.

(٦) تاج العروس ج ٢، ص ٥٥٨.

سيأخذ بعداً آخر إذا أضيفت إلى العلماء فسعيد لم يكن نقاداً خبيراً وحسب بل هو نقاد العلماء.

ومن هنا تتجلى مكانة سعيد العلمية في زمن كان السباق في مضمار العلم حالة ملحوظة وذلك لوجود علماء آخرين ينتمون إلى مدرسة ابن عباس أو مدارس غيرها هو اليعقوبي يتناول الفقهاء في عصر الوليد بن عبد الملك وهي الفترة التي كان يعيشها سعيد بالضبط قائلاً: وكان الفقهاء في أيامه عبد الرحمن بن حاطب^(١)، سعيد بن المسيب، عروة بن الزبير، عطاء بن سيار، أبا سلمة بن عبد الرحمن، القاسم بن محمد، سعيد بن جبير، مجاهد بن جبير مولى بني مخزوم، عكرمة مولى ابن عباس، حكيم بن أبي حازم، شقيق ابن سلمة، إبراهيم بن يزيد النخعي، عامر الشعبي، سالم بن أبي الجعد، اسحاق السبيعي، أيوب الأزدي، أبا تميم الحميني، الحسن بن أبي الحسن، محمد بن سيرين، أبا قلابة عبد الله بن زيد، سليمان بن يسار، موري العجلي، سنان بن سلمة، أبا المليح بن اسامة الهذلي، العلاء بن زياد، أبا ادريس، رجاء بن حياة^(٢).

هذا بالإضافة إلى عشرات بل مئات العلماء من الطبقة الثالثة وهي الطبقة الوسطى من التابعين، ومما يؤكد ذلك أن السنة التي استشهد فيها سعيد أو

(١) يظهر أن اليعقوبي وقع في خطأ حيث عدّ عبد الرحمن بن حاطب من فقهاء عصر الوليد، فقد توفي عبد الرحمن سنة ثمان وستين، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٤، ص ٢٨٦ ولعل الصحيح هو يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، والذي مات سنة أربع ومائة كم في تاريخ مدينة دمشق ج ٦٤، ص ٣١١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢، ص ٢٩٢.

التي قبلها كان يقال لها: سنة الفقهاء، لانه مات فيها عامة فقهاء المدينة^(١).
ومن الشواهد التاريخية التي تكشف عن ذلك الواقع العلمي، ما رواه
عبد الملك بن قریب قال: دخل عبد الملك بن مروان المسجد الحرام فرأى
حلق العلم والذكر، فأعجب بها، فأشار إلى حلقة فقال: لمن هذه الحلقة؟
فقال: لعطاء، ونظر إلى أخرى فقال لمن هذه؟ فقل: لسعيد بن جبیر، ونظر
الى أخرى فقال لمن هذه؟ فقل: لمجاهد، وكل هؤلاء من أبناء الفرس
الذين باليمن، فرجع الى منزله وبعث الى أحياء قريش فجمعهم، فقال: يا
معشر قريش، كنا فيما قد علمتم فمن الله علينا بمحمد ﷺ وبهذا الدين
فحقّرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس، فلم يرد أحد منهم إلا علي بن
الحسين، فانه قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(٢).

ولعل مقصود عبد الملك «من أبناء الفرس الذين باليمن» هو غالبيتهم
وليس كلهم فإن هذا الخبر يعبر بصراحة عن الحركة العلمية التي شهدتها
بلاد المسلمين وأبنائها ومنهم سعيد بن جبیر الذي تحوّل الى فقيه واستطاع
أن يكون حلقة في المسجد الحرام. والحلقة في ذلك المكان المقدس
لا تتأتى للكثير، فالمسجد الحرام يعدّ أعظم جامعة، وهي لا تسمح لأن
يُدّرس فيها غير الأكفاء في اختصاصهم.

هذا هو وضع سعيد بن جبیر في الوسط العام، ومما ميزه من بين
هؤلاء، هو أن يعرف كأحد اصحاب ابن عباس قال يحيى القطان: اصحاب
ابن عباس ستة، وذكره^(٣).

(١) تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٧١.

(٢) الحد الفاصل ص ٢٤٢.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٥، ص ١٨.

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبير ٥٧

ويقول ابن عياش: لم يكن بعد اصحاب عبد الله بن مسعود أفقه من أصحاب ابن عباس، فكان منهم سعيد بن جبير^(١).

وعن أبي بشر: كان سعيد بن جبير أعلم من مجاهد وطاوس، وذكر انه سألهما عن مسألة فاجابا فيها، ثم أخبرهما بقول سعيد بن جبير وما احتج فيها فرجعا الى قوله^(٢).

وعندما يسأل عبد الملك بن مروان عن فقيه أهل الكوفة يقال له: سعيد بن جبير^(٣).

وعن خصيف قال: كان أعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب وبالتفسير مجاهد، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاوس، وأجمعهم في ذلك كله سعيد بن جبير^(٤).

وقال ابو زرعة: إجتمع في الحسن بن حي، اتقان وفقه وعبادة وزهد وكان وكيع يشبهه بسعيد بن جبير^(٥) وقد غُلِقَ على ذلك بأن "بينهما قدر مشترك وهو العلم والعبادة والخروج على الظلمة تدنينا"^(٦).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٣٤، ص ٣٨١.

(٢) الجرح والتعديل ج ٤، ص ١٠، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج ١٦، ص ٣٤٧.

(٤) التاريخ الكبير للبخاري ج ٧، ص ٤١٢.

(٥) تاريخ ابن معين ج ٢، ص ٥٥، البداية والنهاية ج ٩، ص ١١٣، الطبقات الكبرى ج ٦،

ص ٢٦٦، بحار الانوار ج ٣٦، ص ١١٣، قاموس الرجال ج ٥، ص ٨٥

(٦) سير اعلام النبلاء ج ٧، ص ٣٦٧.

ومن الطبيعي أن تكون هذه المكانة سبباً للاخذ بمرسلاته، قال علي بن عبد الله، قال يحيى بن سعيد: مرسلات سعيد بن جبیر أحب الي من مرسلات عطاء، قلت ليحيى فمرسلات مجاهد؟ قال: سعيد أحب إلي^(١) وعن ابن مهدي: كان سفيان يقدم سعيدا على ابراهيم في العلم^(٢)، وقال ابراهيم لما قتل سعيد: ما خلف بعده مثله^(٣). والمرسل من الحديث: هو كل حديث حذف رواته أجمع أو بعضها واحداً أو أكثر^(٤).

وإذا كان سعيد بن جبیر قد بلغ الذروة فهو يؤمن بأن للعلم زكاة وزكاته تعليمه، ولذلك كان يسعى لنشره، فلم يخفه بطش الظالمين، فرغم مطاردة الحجاج له إلا انه كان يفتي الناس، فعن محمد قال: كان سعيد بن جبیر خائفاً أنه فعل ما فعل ثم أتى مكة يفتي الناس^(٥). وكان يؤلمه أن لا يسأله أحد، فعن عطاء بن السائب قال: قال لي سعيد بن جبیر: ألا تعجب أنني أمكث من الجمعة الى الجمعة ما يسألني أحد عن شيء؟^(٦) وعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على سعيد باصبهان وهو يتحرك،

(١) ضعيف سنن الترمذي، ص ٥٥٦، الجرح والتعديل ج ١، ص ٢٤٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٤، ص ٤٠٣ وج ٥٧، ص ٣٢، تهذيب الكمال ج ٢٧، ص ٢٣٦، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١٣، الكفاية في علم الرواية، ص ٤٢٦، علل الترمذي، ص ٤٠٩.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ج ٣، ص ٤٦١، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١٣.

(٣) كتاب العلم ص ١٢.

(٤) دراسات في علم الدراية، ص ٥٩.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧، ص ٢٠٢.

(٦) اللعل احمد بن حنبل ج ١، ص ١٨٢. عن عطاء بن السائب.

فقلنا: مالك؟ فقال: ما سألتني أحد عن شيء^(١)، وعن عطاء أيضا عن سعيد بن جبير قال: إني لأعجب ممن يصلي معي ولا يسألني عن شيء؛ لأن أحدثكم أحب إليّ من أن أدخله معي القبر^(٢).

وإذا كان يمتنع عن التحديث في بعض الأماكن فليس خروجا عن القاعدة، وإنما كان يعتقد بأن للعلم أهلا، فعن محمد بن حبيب عن سعيد بن جبير أنه كان باصبهان يسألونه عن الحديث فلا يحدث، فلما رجع إلى الكوفة حدث، فقليل له يا أبا محمد كنت باصبهان لا تحدث وتحدث ها هنا؟ قال: إنشر بزك حيث تعرف^(٣).

ومما يؤكد هذه الحقيقة أيضا: ما نقله يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير: أنه حدث يوما بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: في كتاب الله ما يخالف هذا قال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله؟ كان رسول الله ﷺ اعلم بكتاب الله منك^(٤).

وما جاء عن حبيب بن أبي ثابت قال كنا عند سعيد بن جبير فحدث بحديث فقال له رجل: من حدثك هذا أو ممن سمعت هذا؟ فغضب، ومنعنا حديثه حتى قام^(٥).

وما عن أيوب قال: حدث سعيد بن جبير يوما بحديث فقممت إليه

(١) طبقات المحدثين باصبهان ج ١، ص ٣٦٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٥٥، ص ١٦٤.

(٣) ذكر اخبار اصبهان ج ١، ص ٣٢٤.

(٤) سنن الدرامي ج ١، ص ١٤٥.

(٥) سنن الدرامي ج ١، ص ١١١.

فاستعدته فقال لي: ما كل ساعة أحلب فأشرب^(١).

وما دمنا في علم سعيد بن جبير فمن المناسب أن نشير الى نصين لهما دلالات تربوية إن صدقا.

الأول: عن عبد الكريم عن زياد بن أبي مريم: إن كان سعيد بن جبير ليستحي أن يحدث وأنا حاضر^(٢) فإن استحياء سعيد من التحديث في حضور غيره من العلماء سجية العلماء، وتعبير عن أدبه، وليس ذلك غريبا عنه، كما قرأنا في تعامله مع استاذه ابن عباس. ولكن يبقى الكلام في خصوص هذه الحادثة وما لها من ارتباط بزياد بن أبي مريم الجزري الأموي مولى عثمان بن عفان^(٣) المغمور على المستوى العلمي، نعم ربما يكون السبب في الحياء هو كبر سنه أو التقية منه.

الثاني: عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: رأيت سعيد بن جبير يستفتي فيقول: أتستفتوني وفيكم إبراهيم^(٤) والمقصود إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو النخعي^(٥) الذي كان مفتي أهل الكوفة، ومن المختفين عن الحجاج، وقيل إنه يأتي السلطان فيسألهم الجوائز^(٦).

إن هناك بعداً أخلاقياً يتجلى في تعامل سعيد، ولكن هل يعني ذلك أن إبراهيم كان أعلم من سعيد؟ إن بعض الاخبار قد تنافي ما ذكر، فعن

(١) نفس المصدر.

(٢) التاريخ الكبير ج ٣، ص ٣٧٤.

(٣) لسان الميزان ج ٧، ص ٢٢٢.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦، ص ٢٧٠.

(٥) نفس المصدر.

(٦) سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٥٢٣.

علي بن عاصم: حدثنا مغيرة قال: قيل لابراهيم قتل الحجاج سعيد بن جبير قال: يرحمه الله، ما ترك بعده خلف، قال فسمع ذلك الشعبي فقال: هو بالأمس يعيبه بخروجه على الحجاج ويقول اليوم هذا^(١).
 إن قول ابراهيم «يرحمه الله ما ترك بعده خلف» يدل على منزلة سعيد عنده، هذا بالإضافة لما مر من موقف سفيان حيث كان يقدم سعيد على ابراهيم، اللهم الا أن يقال إن السائل كان من أهل الكوفة وهو أقرب الى ابراهيم أو ان متبنياته الفقهية تتماشى معه، أو اراد التخلص من الوقوع في ورطة في زمن حساس تترتب على الفتوى فيه مخاطر، وكما يبين ذلك طلق بن حبيب العنزي مخاطباً أيوب عندما تذاكر بمكة موت الرجل وعدة زوجته فابدى أيوب رأيه فقال طلق: إنك عليّ كريم وإنك من أهل بلد العين اليهم سريعة، وإنني لست آمن عليك وإنك قلت قولاً ها هنا خلاف قول أهل البلد، ولست آمن بغيره^(٢).

سعيد بن جبير فقيه الكوفة:

رجع سعيد بن جبير إلى الكوفة التي ولد وترعرع فيها، ولكن على خلاف ما خرج، فقد غادرها متعلماً على سبيل نجاة ووطئتها أقدامه هذه المرة وهو من العلماء الفقهاء الذين يعترف لهم أساتذتهم بالفضل. فقد كان ابن عباس يرجع أهل الكوفة اليه عندما يأتون في مكة ويوجهون إليه

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٥٢٥-٥٢٦. وإن كنا لا نوافق الشعبي في أن ابراهيم كان يعيب على سعيد خروجه وذلك لأنه كان من المخالفين للحجاج، وقد مات وهو مختف من الحجاج. (تهذيب الكمال: ج ٢، ص ٢٣٧).

(٢) سنن الدارمي ج ١، ص ١٥٤.

الأسئلة^(١). واستطاع في عاصمة العلم والمعرفة أن يكون أحد فقهاءها وممن يلتف حوله أهلها، فغدا مناراً وكعبة يقصدها عشاق البحث والتدقيق ويتشوق إليها القريب والبعيد.

وليس من الغريب أن تأخذ الأماكن التي كان يتردد عليها إسمه، ومن هنا نجد المؤرخين يعرفون جبلة بن سليمان بأنه إمام مسجد سعيد بن جبير، وهذا يعني أن سعيداً تحوّل إلى رمز في الكوفة^(٢).

ولم يكن سعيد فقيها يقرّ على الظلم أو يرتضي الذل أو تغريه العناوين، ولذا قرّر الثورة مع عدد كبير من القراء، وكانت النتيجة: الثورة التي عرفت بثورة القراء، أو ثورة دير الجماجم أو ثورة محمد بن عبد الرحمن الأشعث، وفشلت الثورة ومن يومها بدأت هجرات جديدة في حياة سعيد والتي استغرقت اثنتي عشرة سنة^(٣).

(١) تهذيب الكمال ج ١٠، ص ٣٦٤.

(٢) الانساب للسمعاني ج ٥، ص ٥٦٨.

(٣) البداية والنهاية ج ٩، ص ١١٦.

سعيد بن جبير وقضاء الكوفة

مازلنا نتحدث عن الكوفة ووضعها فمن المناسب الحديث عن سعيد وقضائه. شهدت الكوفة العديد من القضاة قبل سعيد، فقد تولّى القضاء في خلافة عمر، سلمان بن ربيعة الباهلي^(١) وجبر بن القشعم بن يزيد بن الأرقم الكندي^(٢) وابو قرّة الكندي^(٣) وعروة بن الجعد ويقال ابن أبي الجعد البارقي^(٤) وعبيدة السلماني^(٥) ثم شريح بن الحارث المعروف بشريح القاضي، وبقي في خلافة عثمان، وفي خلافة علي أصبح قاضياً ثم عزله واستعمل محمد بن زيد بن خلود الشيباني ثم أعاده، وهكذا كان على قضاء الكوفة فترة معاوية بن أبي سفيان، وقد ترك الكوفة سنة حيث ذهب مع زياد بن أبيه إلى البصرة ليمارس القضاء هناك، ورجع بعدها إلى قضاء الكوفة، ولم يترك القضاء إلى زمن الحجاج^(٦) بعد هذه الرحلة من قضاء الكوفة أو في طياتها تواجها محطتان من القضاء لها علاقة ببحثنا.

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١١.

(٢) اكمال الكمال ج ٢، ص ١٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج ١، ص ٤٦٧.

(٤) تاريخ بغداد ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٣، ص ٢٧.

(٦) نفس المصدر، ص ١٢ و ص ٢٦-٢٧.

المحطة الأولى: فترة ابن الزبير

تمكن ابن الزبير بسط نفوذه على مساحة كبيرة من العالم الإسلامي فولّى اخاه مصعب على الكوفة ومن الطبيعي أن يغيّر النظام الجديد هيكلية السلطة، فيحيل غير المرغوب بهم الى التقاعد ليحل محلهم من يمثلون توجهاته وهكذا كان الامر في عهد الزبيرين بالنسبة للقضاء، وقد اضطرت الروايات في ذلك ففي بعض الاخبار - كما في رواية سليمان بن ابي الشيخ - اراد مصعب أن يولي سعيد بن نمران يعني قضاء الكوفة فكتب اليه عبد الله بن الزبير: إلا تولّيه؛ فانه من أصحاب ابن ابي طالب، وولى؟ عبد الله بن الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود^(١) وفي رواية خليفة العصفري: استقضى مصعب على الكوفة سعيد بن نمران الهمداني ثم عزله وولى عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي فلم يزل قاضياً حتى قتل مصعب واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان^(٢).

ويتفق الخبران على تولية عبد الله بن عتبة القضاء في الكوفة، ولكن ليس هناك اشارة الى أن سعيد بن جبير كان كاتباً له وهو ما لا نراه في العديد من المصادر، نعم ذكرت بعض المصادر ذلك، ففي كتاب العلل: يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول: كان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة^(٣). وجاء ما يشبه ذلك في مصادر أخرى^(٤).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٢١، ص ٣١٦.

(٢) نفس المصدر ج ٢١، ص ٣١٦ وج ٢٣، ص ٢٧، اسد الغابة ج ٢، ص ٣١٦.

(٣) العلل ج ١، ص ٢٤٦.

(٤) الثقات ج ٤، ص ٢٧٥، معرفة الثقات ج ٢، ص ٤٦.

ويمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

- ١- إن الذين نسبوا الكتابة الى سعيد لم يذكروا سنداً لرواياتهم.
- ٢- إن الكتابة لم تذكرها المصادر الأخرى رغم انها دونت ما هو أقل أهمية منها بكثير.
- ٣- لقد كانت العلاقة متوترة جداً بين رأس السلطة ابن الزبير واستاذ ابن جبير أي ابن عباس^(١) وليس من المتصور أن يغض سعيد الطرف عن كل ما يقوم به ابن الزبير تجاه ابن عباس لينحاز الى جانب الزبيرين وهو الذي تربطه باستاذة علاقة وثيقة جداً، كما أن الزبيرين يصنفونه على الجبهة المخالفة لأنه تلميذ رجل مخالف لسلطنتهم.

٤- إذا كان سعيد كاتباً في قضاء الكوفة في عهد ابن الزبير لكان من الطبيعي أن يترتب على ذلك آثار سلبية بعد سقوط ذلك الكيان وسيطرة النظام الأموي على الكوفة أو كان ذلك مدعاة لأن يتذرع به الحجاج في حوارهِ مع سعيد ولكن لا نعثر على شيء من هذا القبيل في مصادر التاريخ.

المحطة الثانية: فترة الحجاج

قتل مصعب بن الزبير وزال حكم الزبيرين وأعاد عبد الملك شريحاً إلى القضاء من جديد ولما قدم الحجاج أقره على القضاء^(٢) وروي أنه قيل له: يا أبا أمية كبرت سنك، ورقّ عظمك، وذهلت حكمك وارتشى إبنك، فطلب أن يعاد عليه واستعفى فعفي^(٣).

(١) مروج الذهب ج ٣، ص ٨٣، الدرجات الرفيعة، ص ١٣٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٣، ص ٢٧.

(٣) معرفة الثقات ج ١، ص ٤٥١.

٦٦ القرآنني الفقيه سعيد بن جبير

وهنا كان لابد أن يلي القضاء آخر، وقد اختلف الرواة فيمن ولي القضاء، فعن ابي حصين قال: عزله واستعمل ابا بردة بن ابي موسى^(١). الأمر الذي تؤكد مصادره أخرى^(٢) ومهما يكن من أمر فإن ابا بردة ولي القضاء. وابو بردة هو عامر بن عبد الله بن قيس الاشعري مات سنة ١٠٤ هـ^(٣)

وكان هو وشريح بن هاني الحارثي القاضي ممن شهد على حجر بن عدي وأدى الى قتله على يد معاوية بن أبي سفيان^(٤).

وما يهمنا في هذا المجال هو سعيد بن جبير وعلاقته بالقضاء، فهل كان من المرشحين لهذا المنصب أو انه تحمل مسؤولية الكتابة لأبي بردة؟

لقد تناولت مصادر كثيرة قضاء ابي بردة ولكنها لم تتعرض لسعيد أبداً^(٥).

ولم نقرأ ذلك الا في بعضها فقد جاء: أرادوا أن يولوا سعيد بن جبير القضاء فقالوا هو مولى، فولوا ابا بردة بن ابي موسى وضموا اليه سعيد بن جبير^(٦). ولم يذكر هذا الكتاب سنداً لروايته كما لم يوضح المقصود من قوله: "أرادوا" و"فقالوا هو مولى" و"ضموا اليه" وإن كانت بعض المصادر الأخرى تؤكد أن

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦، ص ٥٦ وج ٣٦، ص ٩٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٢٩.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٦٨.

(٤) الاخبار الطوال ص ٢٢٣.

(٥) راجع على سبيل المثال: الطبقات الكبرى ج ٦، ص ٢٦٩، تاريخ خليفة بن خياط

ص ٢٢٩، من له رواية في الكتب الستة ج ٢، ص ٤٠٧، تهذيب الكمال ج ٣٣،

ص ٦٦، العلل ج ٢، ص ٤٥٦.

(٦) معرفة النقات ج ١، ص ٤٥٢.

الذي ولاه وضم إليه هو الحجاج والذين قالوا هم أهل الكوفة^(١)، ولعله اعتمد روايات أعوان السلطة الذين نقلوا أو اختلقوا حواراً دار بين الحجاج وسعيد كالفضل بن سويد وعتبة مولى الحجاج حيث نقل الاول قائلاً: بعثني الحجاج في حاجة فجيء بسعيد بن جبير فرجعت فقلت «لأنظرون ما يصنع، فقامت على رأس الحجاج فقال له الحجاج يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ألم استعملك؟ ألم أفعل؟ حتى ظننت أنه يخلي سبيله فقال: بلى ...»^(٢).

ونقل الثاني عن عتبة: حضرت سعيداً حين أتى به الحجاج بواسطة فجعل الحجاج يقول: ألم افعل بك؟ ألم أفعل بك؟ فيقول: بلى ...»^(٣).

ومن هنا يمكن ذكر الملاحظات الآتية:

- ١- إن المصادر الأخرى لم تنقل هذه الحادثة.
- ٢- إذا كان الحجاج ينوي تولية سعيد القضاء، فهل كان بإمكان أحد الحيلولة دون ذلك.
- ٣- إذا كان أهل الكوفة لا يرغبون بتولية أحد من الموالي فكان الأجدر أن يرفضوا ولاية عمار بن ياسر، والذي كانت مسؤوليته أرفع من القضاء حيث ولّاه عمر بن الخطاب الكوفة^(٤).
- والنتيجة: إن ترشيح سعيد لقضاء الكوفة لا يخلو من كلام.
- ٤- إن الحجاج كان ممن يقول: لا يصلح للقضاء الأعرابي^(٥)، فكيف

(١) وفيات الأعيان: ج ١، ص ٣٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥، ص ٢٦١.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤، ص ٣٢٨، تهذيب التهذيب ج ٤، ص ١٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٢٥٥.

(٥) العقد الفريد: ج ٢، ص ٢٧٠.

يولى سعيداً وهو غير عربي.

وأما الكتابة لأبي بردة، فقد روى ابو حصين قائلا: استعمل (أي الحجاج) ابا بردة بن أبي موسى وأقعد معه سعيد بن جبير^(١) وعن الحسن بن رافع قال: حدثنا ضمرة: استقضى الحجاج ابا بردة وأجلس معه سعيد^(٢) وذكر ما يقرب من ذلك في بعض المصادر^(٣) والمقصود من اقعد أو اجلس معه جعله كاتباً^(٤).

ووفقا لما جاء، فان سعيد بن جبير تولى الكتابة لابي بردة. وقد تولى ابو بردة القضاء حتى سنة ٨٥هـ^(٥) أو بعد الجماجم بعد أن استعفى الحجاج فاعفاه^(٦) أو أن الحجاج عزله وولى مكانه اخاه ابا بكر^(٧).

إلا ان هناك مجموعة من التساؤلات التي تعرض ما نقل حول كتابة سعيد الى الشك وهي:

١- متى كانت الكتابة؟

إن كانت في أول أمر سعيد بن جبير كما في بعض النصوص^(٨)، أي

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦، ص ٥٦ وج ٣٦، ص ٩٤.

(٢) التاريخ الصغير ج ١، ص ٢٤٢، التعديل والتجريح ج ٣، ص ١٢١٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦، ص ٥٦، تهذيب التهذيب ج ١٢، ص ١٧، معرفة الثقات ج ١، ص ٤٥٢ الثقات ج ٤، ص ٢٧٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦، ص ٥٦.

(٥) تاريخ ابن خلدون ج ٣، ص ١٣٨.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٢٩.

(٧) تهذيب الكمال ج ٣٣، ص ٦٦.

(٨) الوافي بالوفيات: ج ١٥، ص ١٢٩.

قبل تتلمذه في مكة فهو غير مقبول لأن الحجاج كان آنذاك في مكة، ولم يأت إلى الكوفة ليكون والياً عليها، وإن كان بعد عودة سعيد إلى الكوفة، فقد عاد إليها فقيهاً، وقد أصبح فقيه الكوفة ومرجعها كما عن المغيرة قال: ما كان يفتي الناس بالكوفة قبل الجماجم إلا سعيد بن جبير^(١)، والكتابة لا تناسبه.

فهل يعقل أن يكون مفتي الكوفة كاتباً لأبي بردة.

٢- إذا كان الأمر كما ذكر فلماذا أرسل سعيد مع جيش الطواويس؟
إن من يعمل في سلك القضاء من البعيد أن يتم إبعاده عن عمله إلى عمل عسكري ولم يصدر منه ما يقتضي ذلك.

أوسمته العلمية والدينية:

الكلمات تعبير عن المعاني ولها ما تدل عليه هكذا هو شأنها عادة، وإذا قرأنا حياة سعيد بن جبير شاهدنا كلمات قيلت فيه تحمل في طياتها فضله ومستواه العلمي والديني، منها:

١- الفقيه^(٢):

والفقه: العلم في الدين^(٣) والتفهم والنظر فيه والتفطن فيما غمض منه^(٤)، وفقه بالضم يفقه: إذا صار فقيهاً عالماً، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة وتخصيصاً بعلم الفروع منها^(٥).

(١) معرفة الثقات ج ١، ص ٣٩٥.

(٢) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٧٦، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨.

(٣) العين: ج ٣، ص ٣٧٠.

(٤) غريب الحديث: ج ٢، ص ٧٣٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٤٦٥.

٢- أحد الاعلام^(١):

العلم: المنار والجمع أعلام وعلام^(٢).

٣- كان أعلمهم على الاطلاق^(٣).

٤- الإمام^(٤):

وهو كل من اقتدي به وقدم في الأمور^(٥).

٥- العابد^(٦):

وهو الناسك^(٧) والقانت^(٨).

والعبادة: بحسب الاصطلاح هي المواظبة على فعل المأمور به،
والفاعل عابد، والجمع عبّاد وعبدة^(٩).

٦- الحافظ^(١٠): قال الازهري: رجل حافظ وقوم حفاظ، وهم الذين

(١) من له رواية في كتب الستة: ج ١، ص ٤٣٣، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٧٦، سير

اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢١، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨.

(٢) لسان العرب: ج ١٢، ص ١٩ و ص ٤٢٠.

(٣) الاعلام للزركلي: ج ٣، ص ٩٣.

(٤) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢١.

(٥) العين: ج ٨، ص ٤٢٨، الصحاح: ج ٥، ص ١٨٦٥.

(٦) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠ عبر عن سعيد بقوله: من العباد العلماء.

(٧) النهاية في غريب الحديث: ج ٥، ص ٤٨.

(٨) لسان العرب: ج ٢، ص ٧٤.

(٩) مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٠٨.

(١٠) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢١.

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبير ٧١

رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئاً يعونه^(١). وذكر أن الحافظ أعلى درجة من المسند والمحدث، وهو من عرف سنن الرسول ﷺ، وأبصر طرقها وميز أسانيدها، وحفظ ما أجمع أهل المعرفة على صحته وما اختلفوا فيه للاجتهاد في حالة نقله، وعرف الفرق بين مصطلحات علم الدراية. ومن العلماء من يقول العدد المحفوظ من الحديث الذي يستحق جامعه أن يسمى حافظاً هو أن يحفظ (٥٠٠٠٠٠) حديثاً، ورأى بعضهم: أن الحد الأدنى ينبغي أن لا يقل عن ٢٠٠٠٠^(٢).

٧- المقرئ^(٣).

٨- المفسر^(٤):

الفسر: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب^(٥).

وأيضاً الإخبار عن افراد آحاد الجملة^(٦).

٩- الشهيد^(٧): من قتل في سبيل الله.

١٠- العارف^(٨): المعرفة إدراك البسائط والجزئيات، والعلم يقابله:

(١) لسان العرب: ج ٧، ص ٤٤١.

(٢) علوم الحديث ومصطلحه: ص ٧٠-٧٥، تدريب الراوي: ج ١، ص ٢٦.

(٣) تذكرة الحفاظ: ج ٣، ص ٦٧، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨.

(٤) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢١، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨.

(٥) العين: ج ٧، ص ٢٤٧.

(٦) الفروق اللغوية: ص ١٢٩.

(٧) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢١.

(٨) حلية الاولياء، ج ٤، ص ١٧٥.

٧٢ القرآنني الفقيه سعيد بن جبير

هو إدراك المركبات والكلديات، ومن ثم يقال: عرفت الله، ولا يقال علمته... ومن ذهب إلى هذا القول جعل العرفان أعظم رتبة من العلم... ولذلك كان الرجل لا يسمى عارفاً إلا إذا توغّل في بحار العلوم ومبادئها وترقّى في مطالعها إلى مقاطعها، ومن مبادئها إلى غاياتها بحسب الطاقة البشرية^(١).

١١- الفاضل^(٢): وهو ذو الفضل^(٣).

١٢- التابعي: وهو من لقي الصحابي^(٤)، وكان سعيد بن جبير من أعلم التابعين على الإطلاق^(٥)، وقد قيل: إذا كان (التابعي) من أهل النظر وممن يجوز له الاجتهاد في استدراك الحادثة وكان في عصر الصحابة فلا فرق بينه وبين الصحابي^(٦).

١٣- المحدث^(٧): وهو من يروي الحديث.

١٤- أحد الأئمة الاعلام^(٨).

١٥- الورع^(٩).

(١) الفروق اللغوية: ص ٥٠١-٥٠٢.

(٢) الثقات: ج ٤، ص ٢٧٥.

(٣) لسان العرب: ج ١١، ص ٥٢٤.

(٤) الاحكام للامدي: ج ٤، ص ٢٤٦، رجال الخاقاني: ص ١٠٩، اصول السرخسي: ج ٢، ص ١١٤.

(٥) الاعلام للزركلي: ج ٣، ص ٩٣.

(٦) الفصول في الاصول: ج ٣، ص ٣٣٤.

(٧) شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨.

(٨) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٦، ص ٣٦٦.

(٩) الثقات: ج ٤، ص ٢٧٥.

القسم الثاني

سعيد بن جبير

من العقيدة إلى بناء الذات



الفصل الأول

البعد العقائدي

في حياة سعيد بن جبير

البعد العقائدي

تشيع سعيد بن جبير

الانتماء العقائدي حق طبيعي للانسان وهو جزء من وجوده وفكره وعلى أساسه يرسم مسيرة حياته. وسعيد بن جبير إنسان كبقية البشر يفكر كما يفكرون وله انتماءاته مثلما ينتمون، وقد اختلف في عقيدته وولائه.

١- ذهب جمع من العلماء الى القول بتشيعه وهو ما يظهر من الشيخ الطوسي^(١)، وابن داود^(٢)، والعلامة الحلي^(٣)، والشيخ حسن ابن الشهيد الثاني^(٤)، وغيرهم^(٥). وقد صرح بذلك الشيخ آقا بزرك الطهراني حيث قال عنه: التابعي الشهيد للتشيع^(٦)، والسيد حسن الصدر حيث قال: قتله الحجاج على التشيع^(٧)، والسيد هاشم معروف الحسني^(٨).

(١) اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٣٥.

(٢) رجال ابن داود: ص ١٠٣.

(٣) خلاصة الاقوال: ص ١٥٧.

(٤) التحرير الطاووسي: ص ٢٤٩.

(٥) نقد الرجال: ج ٢ ص ٣١٩، معجم رجال الحديث: ج ٩ ص ١١٩، القواعد الفقهية:

ج ١ ص ٤٣٤.

(٦) الذريعة ج ٤ ص ٢٧٦.

(٧) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٣٢٤.

(٨) تاريخ الفقه الجعفري: ص ٢٥٧.

٧٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

٢- ونسبه البعض كالشيخ محمد حسن النجفي^(١)، والخوانساري^(٢)،
الى مدرسة الخلفاء.

أدلة القول الأول:

١- قول الامام الصادق عليه السلام: إن سعيد بن جبیر كان يأتى بعلي بن
الحسين عليه السلام فكان يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا
الأمر وكان مستقيماً^(٣).

إن التعبير بقوله «كان مستقيماً» دليل واضح على تشيعه.

٢- روى الكشي عن الفضل قال: لم يكن في زمن علي بن
الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمس أنفس: سعيد بن جبیر، وسعيد بن
المسيب، ومحمد بن جبیر بن مطعم، ويحيى بن أم الطويل، وأبو خالد
الكابلي^(٤).

(١) جواهر الكلام: ج ٣١ ص ٥٨.

(٢) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ج ٤ ص ٣٩.

(٣) الاختصاص: ص ٢٠٥، بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٣٦، اختيار معرفة الرجال: ج ١،
ص ٣٣٥، خلاصة الاقوال ص ١٥٧، رجال ابن داود ص ١٠٣، التحرير الطاووسي:
ص ٢٤٩، نقد الرجال: ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) نقد الرجال: ج ٢ ص ٣١٩، جامع الرواة ج ١ ص ٣٥٩، معجم رجال الحديث: ج ٩،
ص ١٣٩.

أدلة القول الثاني:

الدليل الاول: اجتهاده في الفتوى دون أتباعه أثر أهل البيت:
وقد استدل به صاحب روضات الجنات بعد نقله قول ابن عباس
لسعيد: حدث، فقال: أحدث وأنت ها هنا؟ فقال: أو ليس من نعمة الله عليك
أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك؟
حيث قال: وفيه من الدلالة على اجتهاده في الفتوى دون اتباعه اثر
أهل البيت المعصومين عليهم السلام ما لا يخفى^(١).
ويرد عليه:

١- إن هذه الرواية لاتدل على ما قاله الخونساري، فسعيد وكما يظهر
منها لم يكن بمستوى الاجتهاد في الفتوى آنذاك. كما أن التحديث ربما
أريد منه نقل الحديث لا الافتاء.

٢- سلمنا، ولكن الإفتاء لم ينه عنه في حد ذاته فقد ورد عن الإمام
الباقر عليه السلام أنه قال لأبان بن تغلب: إجلس في مسجد المدينة وافت الناس
فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك^(٢). وهكذا الأمر بالنسبة إلى سليمان بن
مهران الاعمش فهو من فقهاء الشيعة ومن أهل الافتاء، كما تؤكد النصوص
التاريخية، ومن خواص الإمام الصادق عليه السلام^(٣).

(١) روضات الجنات ج ٤ ص ٣٩.

(٢) رجال النجاشي: ص ١٠، الفهرست لابن النديم: ص ٥٧، رجال ابن داود ص ٢٩،
مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٣١٥، نقد الرجال: ج ١ ص ٤٠.

(٣) جامع الرواة: ج ١، ص ٣٨٣، اكليل المنهج في تحقيق المطلب: ص ٥٧، تعليقة على
منهج المقال: ص ١٩٥، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٢٩٤، مستدرکات علم
الحديث: ج ٤، ص ١٥٠، الإمام الصادق والمذاهب الاربعة: ج ١، ص ١٥٩.

٣- إن اعتماد روايات ابن عباس في الافتاء لاتعني أنه لم يتبع أثر أهل البيت فابن عباس تلميذ الامام علي عليه السلام كما مر.

٤- إذا كان لسعيد فتاوى لا تتناسب ومدرسة أهل البيت فهي لا تدل على وقوفه في الطرف الآخر واتباع مدرسة الخلفاء، فقد تكون صادرة نتيجة لظروف ترتبط بتلك الفترة، أو انها نسبت اليه، ومما يؤيد هذا التوجيه ما رواه ابن مسكان عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أقعد في المسجد فيجيء الناس فيسألونني. فإن لم أجبهم لم يقبلوا مني، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم، فقال لي: أنظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك ^(١). هذا بالاضافة الى وجود فتاوى لاتختلف عما تقوله مدرسة أهل البيت مثل جواز المتعة ^(٢).

٥- إن الخوانساري نفسه اعتبر سعيد بن المسيب من فقهاء الشيعة رغم إفتاءه.

الدليل الثاني: عدم شيوع رواية منه عن أئمة زمانه عليهم السلام ^(٣). ويرده:

١- هناك العشرات من الروايات التي نقلها سعيد في فضل الائمة وبعضها ينتهي الى المعصومين، كما في روايات الإمام المهدي، حيث يروي عن الإمام السجاد عليه السلام: «القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج

(١) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٦٢٢، بحار الانوار ج ٢ ص ٨٠

(٢) المصنف للصنعاني: ج ٧ ص ٤٩٦، المحلى ج ٩ ص ٥١٩ - ٥٢٠.

(٣) روضات الجنات ج ٤، ص ٣٩.

البعد العقائدي في حياة سعيد بن جبير ٨١
وليس لأحد في عنقه بيعة»^(١).

٢- إن سعيداً لم يكن يمتنع عن نقل روايات عترة الرسول وحسب بل ورد عنهم ما يدل على مدحه وتشيعه كما جاء عن الامام الصادق.
٣- لو قبلنا ما قيل فالمطلوب التعرف على الاوضاع الحاكمة آنذاك، فلقد كانت أنفاس الانسان تحصى.

الدليل الثالث: ذكره صاحب الوجيزة والحاوي من جملة الضعفاء^(٢).
ويرده:

١- اذا كان ضَعْف في الوجيزة والحاوي فإن هناك في المقابل ما يدحض هذا التضعيف ويكفي كلام الامام الصادق «وكان مستقيماً»^(٣).
٢- إن التضعيف لا يعني نفي التشيع عنه فكتب الرجال ربما ضَعُفَتْ من ثبت أنه إمامي.

٣- إن التضعيف المذكور لا يصمد امام ما ورد من مدح وثناء في كتب الرجال المتقدمة على هذين الكتابين، والتضعيف ناشئ عن حدس لا عن حس لأن من نقل التضعيف لم يكن معاصراً له أو قريباً من عمر سعيد من الناحية التاريخية فلا يمكن الركون اليه.

الدليل الرابع: لعب سعيد بالشطرنج^(٤):

عن محمد بن سيرين وهشام بن عروة ان سعيد بن جبير كان يلعب

(١) بحار الانوار: ج ٥١، ص ١٣٥.

(٢) روضات الجنات: ج ٤، ص ٣٩.

(٣) الاختصاص: ص ٢٠٥، بحار الانوار: ج ٤٦ ص ١٣٦.

(٤) روضات الجنات: ج ٤ ص ٣٩.

بالشطرنج مستديراً^(١)، وقال المزني: سمعت الشافعي يقول: كان سعيد بن جبیر يلعب بالشطرنج استدباراً فقلت له: كيف يلعب بها استدباراً؟ قال: يوليها ظهره ثم يقول: بأي شي وقع، فيقول: بكذا، فيقول أوقع عليه بكذا^(٢).
ويرده:

١- إن هذه الرواية لم تثبت، وليس سندها ممام يمكن الاعتماد عليه.
٢- سلمنا ولكن اللعب بالشطرنج اذا كان حراماً فهو يسقط العدالة لا أنه يخرج مرتكبه عن المذهب وإلا لزم إخراج الكثير عن مذهبهم لارتكاب المحرمات كالغيبة والكذب والحسد مما هو محل ابتلاء غالب الناس وحتى بعض العلماء.

٣- إن سعيد بن جبیر هو نفسه الذي روى عن استاذة ابن عباس عن النبي: «إن الله يكره لكم الخمر والميسر والمزمار والكوبة والبربط والفهر، وقد فسر الكوبة بالنرد والشطرنج»^(٣).

ويظهر من هذا أن استاذة ابن عباس كان لا يرى جوازها وهكذا استاذة ابن عمر حيث أجاب عندما سئل عن الشطرنج يقوله: هو شر من النرد^(٤)، وكذا ما ورد عن استاذة الإمام السجاد^(٥). هذا بالإضافة الى

(١) المجموع: ج ٢٠، ص ٢٢٨ وص ٢٣٩.

(٢) مختصر المزني: ص ٣١١.

(٣) شرح مسند أبي حنيفة: ص ٤٦١، ومما يؤكد أن الشطرنج هو الكوبة ما رواه أبو هريرة قال: مرّ رسول الله ﷺ بقوم يلعبون الشطرنج فقال: ما هذه الكوبة؟ ألم أنه عنها، لعن الله من يلعبها. نصب الراية: ج ٦، ص ١٨١.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: ج ١٠ ص ٢١٢.

(٥) المغني: ج ١٢ ص ٣٥.

البعد العقائدي في حياة سعيد بن جبير ٨٣
الروايات الكثيرة الدالة على النهي^(١). فهل يعقل أن يروي النهي ويقرأ هذه
الروايات ويقدم على مثل ذلك.

٤- ثبت إن سعيداً كان إذا مرَّ على أصحاب الردشير لم يسلم
عليهم^(٢). وليس هناك فرق بينه وبين الشطرنج من حيث اللهو والأثر، ونعم
ما قال ابن قدامة عن الشطرنج: لعب يصدّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة
فأشبه اللعب بالنرد^(٣). بل إن ابن عمر اعتبره شراً من النرد.

٥- لقد كان سعيد من أهل العبادة والذكر والانقطاع الى الله فليس
من المعقول أن يشغل أوقاته بهذه الألعاب، ومما يؤكد ذلك:

أ- قوله: ما مضت عليّ ليلتان منذ قتل الحسين الا أقرأ فيهما القرآن الا
مسافراً أو مريضاً^(٤).

ب- عن بكير بن عتيق قال: سقيت سعيد بن جبير شربة من عسل في
قدح فشربها ثم قال: والله لاسئَلَنَّ عن هذا. قال: فقلت له: لمه؟ فقال: شربته
وأنا أستلذه^(٥).

ج- عن عمر بن ذر قال: كتب سعيد بن جبير الى أبي كتابا أوصاه فيه بتقوى
الله وقال: يا أبا عمر، إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة وذكر الفرائض والصلوات وما

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ج ١٠ ص ٢١٢، المصنف لابن شيبة: ج ٦ ص ١٩١-١٩٢،

كتر العمال: ج ٩ ص ٢١٨.

(٢) المغني: ج ١٢ ص ٣٥.

(٣) نفس المصدر: ص ٣٧.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٥) تهذيب الكمال: ج ١٠ ص ٣٦٦.

يرزقه الله من ذكره^(١). وشواهد أخرى.

والعجيب من صاحب روضات الجنات أنه بعد أن أورد هذه الاشكالات على تشيع سعيد ذكر رواية الإمام في حق سعيد الصادق وقول الفضل بن شاذان فيه، ونقل بعض خصائصه.

وقد يقال بأن التشيع قد يقصد منه تفضيل علي على أبي بكر وعمر أو على غيره من الصحابة أو نقل فضائل أهل البيت عليهم السلام ولعل سعيد من هذه الأصناف، ولكن يمكن القول بأن كلام الإمام الصادق يدل على التشيع اعتقاداً وليس بالمعاني المذكورة، وقد نقل كلام الإمام في الكتب المختلفة ولم يشكك فيه أحد.

وأما الفقه فرغم وجود فتاوى له يخالف أهل البيت ولكنها إنما جاءت نتيجة للظروف الحاكمة، ويكفي شاهداً للعمل بالتيقن ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار، قال: سألت سعيد بن جبير فقلت: يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فنظر إليّ، فقال: كأنك رخيّ البال، فغضبت وشكوته إلى اخوانه من القراء فقالوا: أنك سألته [جهره] هو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت فسأله الآن، فسأته فقال: كان حاملها عليّ، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس^(٢).

واخيراً نختم البحث بكلام لسعيد في تفصيل الإمام علي عليه السلام فقد روى ابن الهيثم الزهري قال: سمعت خالي يقول: قال سعيد بن جبير: ما خلق الله عز وجل رجلاً بعد النبي صلى الله عليه وآله أفضل من علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣).

(١) نفس المصدر.

(٢) المستدرک للحاكم: ج ٣، ص ١٣٧.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٨٤.

سعيد بن جبير والإرجاء:

المرجئة من الفرق التي ظهرت في القرن الأول الهجري، وقد أشتق اسمها من الارجاء وهو التأخير، يقال لمن أخر أمراً أرجأت الامر يا رجل فأنت مرجئ قال الله: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾^(١)، أي أخره والمرجئة هم الذين أخرُوا الأعمال ولم يعتقدوها من فرائض الايمان^(٢).

وقد وردت أحاديث تذم هذه الفرقة قال النبي ﷺ: صنفان من أمتي ليس لها في الاسلام نصيب: أهل الارجاء وأهل القدر^(٣)، وعن علي بن الحسين بن يحيى: كان لنا أخ يرى رأي الارجاء يقال له: عبدالله، وكان يطعن علينا. فكتبت الى أبي الحسن عليه السلام أشكو إليه وأسأله الدعاء، فكتب إلي: سترى حاله الى ما تحب وأنه لن يموت إلا على دين الله، وسيولد له من أم ولد له فلانة غلام. قال علي بن الحسين بن يحيى: فما مكثنا الا أقل من سنة حتى رجع إلى الحق، فهو اليوم خير أهل بيتي، وولد له بعد كتاب أبي الحسن من ام ولده تلك غلام^(٤).

وقد تبني الامويون فكرة الارجاء «وتطوَّع لحمايتها الحكام لانها تعطيهم صفة المؤمنين الابرار في وقت يجدون أنفسهم في امس الحاجة اليها، لانها تحمي ايمانهم من هجمات الخوارج المكفرين لكل من خالفهم ولم يشترك معهم في الثورة على الامويين، ومن هجمات المعتزلة التي تنفي

(١) سورة الأعراف: ١١١.

(٢) كنز الفوائد للكراجكي ص ٥٠.

(٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٨.

(٤) الخرائج والجرائع، ج ١ ص ٣٥٨-٣٥٩.

عن العصاة صفتي الايمان والكفر، ومن حملات المحدثين والفقهاء الذين كانوا يصفونهم بالفسق والنفاق»^(١).

وإذا كانت هناك فرقة تتبنى هذا اللون من التفكير فقد تحوّل الارزاء الى عنوان فضفاض يلصق بمن يراد النيل منه في عملية لاستقيط الخصم أو تصفيته أو لجهل في متبنياته وأفكاره.

ومن هنا اتهم المعتزلة، الشيعة بالارزاء^(٢)، ولعل السبب في ذلك هو الخلط بين ما يعتقده الشيعة من الإرجاء، وما يذهب اليه المرجئة من الارزاء^(٣). فالشيعة تقول: إن من عرف الله تعالى وقتاً من دهره وآمن به حالاً من زمانه، فانه لا يموت إلا على الإيمان به ومن مات على الكفر بالله تعالى فإنه يؤمن به وقتاً من الأوقات^(٤).

واتهم غيرهم بالارزاء كما جاء في ذكر موسى بن أبي كثير أبي الصباح إنه «كان يرى القدر وإنما هو الارزاء»^(٥).

ونسب الإرجاء أيضاً إلى قيس الماصر وأنه أول من تكلم في الارزاء كما قال الاوزاعي^(٦). رغم أنه من تلامذة الإمام السجاد ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^(٧)، وهو من الخطأ، ولعل المقصود عمر بن قيس الماصر من

(١) دراسات في الحديث والمحدثين ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) الفصول المختارة ص ٧٩-٨٠، بحار الانوار ج ١٠ ص ٤٢٨.

(٣) كنز الفوائد ص ٥٠.

(٤) اوائل المقالات ص ٨٣.

(٥) بيان خطأ البخاري ص ١٤٩.

(٦) سؤالات الآجري لابي داود ج ١، ص ١٤٧.

(٧) نقد الرجال ج ٤، ص ٦١، طرائف المقال ج ٢، ص ٦٣، اصحاب الامام الصادق ج ٢، ص ٦٠٦.

أهل الكوفة وكنيته أبو الصباح مولى الأشعث بن قيس^(١). والذي قال عنه ابن سعد: كان يتكلم في الأرجاء وغيره^(٢) ولكن قال ابن حجر فيه: ربما صدوق وهم ورمي بالأرجاء^(٣). ونسب الأرجاء إلى الحسن بن محمد بن الحنفية وقيل أنه أول من تكلم^(٤). ولم يسلم من هذه التهمة الكثير.

ومن هنا عدّ سعيد بن جبير من المرجئة، قال حماد بن زيد: جلست إلى أبي حنيفة فذكر سعيد بن جبير فانتحله في الأرجاء، فقلت: يا أبا حنيفة من حدثك؟ قال: سالم الأفطس، قال: قلت له: سالم الأفطس كان مرجئاً ولكن حدثني أيوب قال: رأيته سعيد بن جبير جلست إلى طلق فقال ألم أرك جلست إلى طلق لاتجالسه^(٥). ولقد حاول الإمام أبو حنيفة أن يوجه اتهام الأرجاء إلى سعيد.

ولنا على هذه النسبة ملاحظات أشير إلى بعضها في النص:

١- إن أبا حنيفة اعتمد في نسبة سعيد إلى الإرجاء على سالم الأفطس وهو سالم الأفطس بن عجلان مولى محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، قتله عبدالله بن علي أول ما دخلت المسوّدّة الشام سنة اثنتين وثلاثين ومائة^(٦). وهو من المرجئة^(٧). وجاء في كتاب

(١) الثقات، ابن حبان ج ٧، ص ١٨١، تاريخ بغداد ج ١٣، ص ٣٧٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٢، ص ١٨٧.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٦، ص ٣٣٩.

(٣) تقريب التهذيب ج ١، ص ٧٢٥.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٥، ص ٩٢ وص ٣٢٨.

(٥) تاريخ بغداد ج ١٣، ص ٣٧١ الكامل ابن عدي ج ٧، ص ٦.

(٦) الطبقات الكبرى ج ٧، ص ٤٨١، تاريخ ابن معين ج ٢، ص ١١.

(٧) العلل، أحمد بن حنبل ج ٢، ص ٢٠٩ وص ٤٧٤. ضعفاء العقيلي ج ٢، ص ١٥١،

الجرح والتعديل ج ٤، ص ١٨٦.

٨٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

المجروحين : كان ممن يرى الارحاء ويقلب الاخبار وينفرد بالمعضلات عن الثقات، إتهم بأمر فقتل صبراً^(١).

٢- إن مواقف سعيد بن جبير من المرجئة تدحض هذه الشبهة كما أشار إلى ذلك الخبر نفسه وأخبار أخرى^(٢). ويؤكد ذلك ما رواه مقسم عن سعيد بن جبير قال: المرجئة يهود هذه الأمة^(٣).

٣- إن الإمام أبا حنيفة نفسه متهم بالارحاء، فعن عبد الله بن محمد بن عمرو قال: سمعت أبا مسهر يقول: كان ابو حنيفة رأس المرجئة^(٤) وعن عمرو بن سعيد بن سالم قال: سمعت جدي قال: قلت لابي يوسف: أكان ابو حنيفة مرجئاً قال: نعم...^(٥) وأن سالم الافطس كان يصحب أبا حنيفة على الارحاء^(٦) وليت الامر قد اقتصر على الارحاء، فقد نسب الكفر الى أبي حنيفة وأنه كان يستتاب ثم يعود الى كفره^(٧) وأنه كان شيخ سوء كافر^(٨) هذا ما قالوه فيه، وإن كنا لا نوافق على ما ذكر فيه من الكفر.

(١) كتاب المجروحين ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٧، ص ٢٢٧، التاريخ الصغير للبخاري ج ١٠، ص ٢٦٠، من له رواية في كتب الستة ج ١ ص ٣٨٦، تهذيب الكمال ج ٨ ص ٥١٢.

(٣) الايضاح: ج، ص ٤٧ ومقسم هو مقسم بن نجرة.

(٤) تاريخ بغداد ج ١٣، ص ٣٧١.

(٥) نفس المصدر.

(٦) سؤالات الاجري لابي داود ج ٢ ص ٢٥٩.

(٧) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ (٣٨١).

(٨) نفس المصدر ص ٣٧٧.

٤- لم نجد من نسب سعيد الى الارحاء غير أبي حنيفة، ولعله قام بذلك ليدعم جبهته وتبنيه للارحاء.

٥- إن الارحاء عنوان عريض كما ذكرنا، وليس من الضروري أن يراد منه المعنى المصطلح بحق سعيد بن جبير.

موقف سعيد بن جبير من التقية

التقية منهج اسلامي يهدف إلى حفظ النفس كما أكد القرآن على جوازه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(١) أو نوع مداراة يقتضيها الواقع.

والسؤال الذي يواجهنا هل كان سعيد بن جبير يؤمن بالتقية؟

ربما يجاب بالعدم، وذلك لما رواه المدائني عن عمرو بن هشام قال: قيل لسعيد بن جبير: إن الحجاج إذا أخذ رجلاً كان مع ابن الأشعث فأقر له بالكفر خلى سبيله، وإن الحسن قال: يدفع عن نفسه. فقال سعيد بن جبير: يرحم الله أبا سعيد، لا تقية في الإسلام^(٢).

ولكن التدقيق في حياة سعيد وفي هذا النص يرجح خلاف ما ذكر، وذلك للأمور التالية:

١- لقد عاش سعيد بن جبير فترة طويلة من حياته قبل وقعة الجماجم^(٣) ولم يتخذ موقفاً ظاهراً من السلطة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على العمل بالتقية.

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٦.

(٣) سيأتي توضيح أبعاد هذه الحركة في فصل «البعد الجهادي».

٢- إن سعيداً كان يعمل بالتقية كما يدل على ذلك بعض النصوص من قبيل ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبیر فقلت: يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟ قال: فنظر إليّ فقال: كأنك رضي البال، فغضبت وشكوته إلى اخوانه من القراء فقالوا: إنك سألته [جهرة] هو خائف من الحجاج، وقد لاذ بالبيت فاسأله الآن فسأته فقال: كان حاملها علي عليه السلام، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس^(١).

٣- إن النص يشير إلى عمل كان يقوم به الحجاج مع المناوئين وهو مطالبتهم بالإقرار بالكفر فإذا أقرّوا خلى سبيلهم، ولكن سعيد ربما كان على يقين بأن هذا الإقرار تترتب عليه أضرار أكبر من التقية، لا سيما وأنه فقيه له موقعه الذي يجعله قدوة للآخرين، وهذا يعني أن عامة الناس سيتعاملون مع السلطة بصورة إيجابية دائماً؛ بالإضافة إلى علمه بأنه مقتول لا محالة، أقر أو لم يقر.

٤- إن التقية إنما يتم اعتمادها في حالات وليس في جميع الاوقات، ومن هنا أمر الله سبحانه بالجهاد وقام الإمام الحسين عليه السلام بوجه الحكومة الاموية.

ولكن قد يقال: إن سعيداً نفى التقية في الإسلام.
فإنه يقال: إن نفيها يرتبط بالحادثة المذكورة، لا مطلقاً.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٨٥، بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٥٩ باختلاف يسير، المستدرک

للحاكم ج ٣ ص ١٣٧، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

حوار حول علاقة الحسنين عليه السلام بالرسول ﷺ

عن عامر الشعبي أنه قال: بعث إليّ الحجاج ذات ليلة، فخشيت، فقممت فتوضأت وأوصيت ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور والسيف مسلول، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام، فقال: لا تخف فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر وأجلسني عنده، ثم أشار فأتي برجل مقيّد بالكبول والاغلال فوضعه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول: إن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله ﷺ ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه. فقلت: يجب أن تحل قيده فانه إذا احتج فانه لا محالة يذهب وإن لم يحتج فإن السياف لا يقطع هذا الحديد، فحلّوا قيوده وكبلوه، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجة على ذلك من القرآن، فقال له الحجاج: اثنتي بحجة من القرآن على ما ادعيت وإلا أضرب عنقك، فقال له: انتظر، فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك فقال: انتظرا

فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(١) إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ثم سكت وقال للحجاج: اقرأ ما بعده فقرأ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(٢) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟

قال: إنه كان من ذريته، قال: ان كان عيسى من ذرية ابراهيم ولم يكن له أب، بل كان ابن ابنته فنسب إليه مع بعده، فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله ﷺ مع قربهما منه. فأمر له بعشرة الاف دينار وأمر بأن

(١) الانعام: ٨٤

(٢) الانعام: ٨٥

يحملوها معه إلى داره وأذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن، لأنني كنت أظن أنني أعرفها فإذا أنا لا أعرفها، فأتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشراً عشراً ويتصدق بها ثم قال: هذا كله ببركة الحسن والحسين عليهما السلام لئن كنا أغمنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله ﷺ ^(١).

مضمون الرواية:

١- طلب الحجاج الشعبي ليلة فخشى الاخير على نفسه وظن أنه القتل.

٢- دخل الشعبي على الحجاج فأمنه.

٣- في هذه الاثناء أدخل شيخ مكبل.

٤- كان هذا الشيخ يذهب إلى أن الحسنين عليهما السلام أبناء رسول الله ﷺ.

٥- طالبه الحجاج بالحجة وإلا ضرب عنقه.

٦- نظر الشعبي فتبين له أن الشيخ هو سعيد بن جبیر.

٧- استطاع سعيد أن يثبت بالادلة أن الحسنين عليهما السلام أبناء النبي ﷺ.

٨- أمر الحجاج بعشرة الاف دينار لسعيد وأمر أن يحملوها معه إلى داره.

٩- تبين للشعبي عظمة سعيد ورأى أن الواجب عليه أن يتعلم منه معاني القرآن منه.

١٠- أخذ سعيد الدنانير ووزعها في المسجد عشراً عشراً وهو يقول:

(١) شجرة طوبى ج ٢، ص ٣٧٩.

البعد العقائدي في حياة سعيد بن جبير ٩٣

هذا كله ببركة الحسن والحسين، لئن كنا أغمنا واحداً لقد أفرحنا
وأرضينا الله ورسوله ﷺ.

دراسة الرواية

إن ما تضمنته الرواية من دفاع لا يتنافى وموقف سعيد بن جبير فهو
ممن عرف بالولاء للعترة.

ولكن تبقى بعض الملاحظات:

١- أين وقعت الحادثة؟ إذا كانت في الكوفة، فإنه لم يذكر
المؤرخون أن سعيداً تم اعتقاله قبل اعتقال الشهادة، وإذا كانت في واسط
فلم يطلق سراح سعيد بعد الاعتقال. هذا مضافاً إلى أنه لم يكن له داراً
بواسط لتحمل إليها الدنانير.

٢- كيف لم يعرف الشعبي سعيد بن جبير معرفة واقعية رغم وجود
علاقة سابقة به كما مضى؟.

٣- كيف كان الشعبي يجهل مكانة سعيد العلمية وهو المفسر
والفقيه؟!

٤- وأما بالنسبة إلى الاموال التي قدمها الحجاج لسعيد فقد يقال إنها
هي تلك التي أشار إليها الحجاج عندما عاتبه حينما اقتيد إلى قصره.

ولكن يمكن الجواب بأن تلك الاموال - إن صدقت الرواية - لا
تناسب مع هذه الاموال لأن الحجاج لم يدفعها تبرعاً وإنما لانتصار سعيد
في اثبات بنوة الحسين للنبي ﷺ، فلا معنى لأن يعاتب عليها هذا بالاضافة
إلى أننا ناقشنا تلك الرواية.

٥- إن هذا الحوار ذكر بنفس المضمون في حوار دار بين يحيى بن
يعمر العامري والحجاج^(١).

ومن هنا فقد يكون من خطأ الرواة نسبته إلى سعيد وأنه ليحيى بن
يعمر، اللهم إلا أن يقال إن المؤرخين لم يتطرقوا إلى مثل هذا الاعتقال في
الكوفة.

الفصل الثاني

البعد الروحي والعبادي والتربوي

في حياة سعيد بن جبير

البعد الروحي

مقدمة

البعد الروحي والعبادي رحلة معنوية نحو الله سبحانه وتعالى يسير خلالها الانسان في عوالم الخلوص والصفاء، وعروج تسمو فيه الروح، فتخترق كل الحجب الظلمانية والنورانية، وبها تطمئن النفوس ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١) وترى الكون صغيرا أمام عظمة الخالق «عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم»^(٢) فتعيش الجنة وهي في أطر هذه الحياة من الناحية الجسمية.

وقد أكدت الشرائع السماوية عليها والأمر بها، وبيان دورها، وأهميتها، قال النبي محمد ﷺ: أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر^(٣).

وعن الامام علي عليه السلام: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة.. خ ١٩٣ (خطبة المتقين).

(٣) الكافي ج ٢ ص ٨٣

بما أعطي غيره^(١)، وقام رسول الله ﷺ حتى تورّمت قدماه فقيل له: يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً^(٢).

وتمتاز حياة سعيد بن جبير بجانب عبادي أهله لهذا الشموخ، ولم تكن مجرد ألفاظ أو حركات، بل ترسّخت في روحه، فهو القائل: من أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن^(٣).

نماذج عبادية وروحية في حياة سعيد:

وإليك بعض النماذج العبادية والروحية في حياة سعيد:

التوكل على الله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٤).

التوكل على الله سلاح المؤمن وكنزه في مواجهة المصاعب والمصائب ومن هنا كان سعيد يقول: التوكل على الله جماع الايمان، وكان يدعو: (اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك)^(٥).

ذكر الله:

الذكر أنس المؤمن وأنيسه عند الوحشة. فالذاكر لا يداخله الخوف ولا يتطرق اليه الضعف، وهو قول وعمل.

(١) نفس المصدر ص ١٦.

(٢) السنن الكبرى ج ٣ ص ١٦.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦.

(٤) سورة الطلاق: ٣.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٥، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٤.

قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله، فمن اطاع الله فقد ذكره^(١).

وعن هلال بن خباب قال: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة قال: فكان يحدثنا في الطريق ويذكرنا حتى بلغ، فلما بلغ جلس، فلم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا، وكان كثير الذكر لله عز وجل^(٢).

الخشية من الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣).

لقد كانت الخشية تجسدت في قول سعيد وفعله، ولذا كان يقول: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك فتلك الخشية^(٤).

البكاء من خشية الله:

من وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «كثرة البكاء لله يني لك بكل دمة ألف بيت في الجنة»^(٥).

وعنه عليه السلام: «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله»^(٦).

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٦-٣٦٧، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦.

(٣) سورة المؤمنون ٥٨-٦١.

(٤) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦.

(٥) تهذيب الاحكام ج ٩ ص ١٧٥.

(٦) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٧ ص ٧٥-٧٦.

١٠٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع... »^(١).

بهذه الأحاديث عمل سعيد، فكان يبكي حتى عمش، عن القاسم الاعرج قال: كان سعيد بن جبیر يبكي حتى عمش^(٢). وعن عطاء بن السائب: كان يبكي^(٣) أو ربما أبكنا^(٤).

التسليم لأمر الله:

التسليم لله عز لا يعرف الذل، وهيبة تمنح المؤمن العزم، وقوة يصغر عندها الملوك والجبابرة وكان سعيد مثالا للتسليم لأمر الله، فعن الربيع بن أبي صالح قال: دخلت على سعيد بن جبیر حين جيء به الى الحجاج، فبكى رجل، فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك، قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٥) ^(٦).

(١) سنن الترمذي ج ٣ ص ٣٨٠، وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٧ ص ٧٦ باختلاف يسير.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٣، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٢.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٤.

(٤) حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٢.

(٥) سورة الحديد: ٢٢.

(٦) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٧.

الحزن:

عن النبي ﷺ: « إذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن، فإن الله يحب كل قلب حزين »^(١).

الحزن تأمل وتفكير وسلامة عقل وروح وقلب، فاللييب ينظر بعين الاعتبار ويدرك معنى الدنيا وحقارتها ويتحسس وهو فيها، عظم ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم. سأل الحجاج سعيداً ما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين، والطين تأكله النار قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب^(٢).

ودعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد بن جبير فقال له: ما يبكيك، هو اللهو؟ قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الاوتار فانها أمعاء الشاة يبعث بها معك يوم القيامة^(٣).

ذكر الموت:

الموت حقيقة يواجهها الجميع وليس منها مهرب قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٤) ولكن المشكلة مع كل ذلك أن الناس يغفلون عنها،

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٧ ص ٧٦.

(٢) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٢.

(٣) نفس المصدر.

(٤) سورة الزمر: ٣٠.

فلا يتذكرها ويضعها نصب عينيه الا القليل.

روي عن سعيد بن جبیر قال: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليّ قلبي^(١).

وطلب من الحراس. الذين أخذوه من مكة الى الحجاج عندما بلغوا واسط أن يمهلوه تلك الليلة، قائلا: دعوني الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر وما يحثي عليّ من التراب^(٢). ولم تكن الدنيا عنده شيئا يذكر حين يقارنها بالآخرة يقول: إنما الدنيا جمع من جمع الآخرة^(٣).

كرامات سعيد بن جبیر

الكرامات أمر «يلهمه الله الأولياء»^(٤)، وهي: «قد تقع باختيارهم وطلبهم»^(٥)، والمعروف بين المسلمين القول بآثباتها^(٦). وقد ذكر المؤرخون بعض كرامات سعيد الله بن جبیر نشير إلى بعضها:

(١) الدعاء المستجاب:

أ- عن أصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جبیر ديك، كان يقوم من الليل بصياحه فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصلّ سعيد تلك

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٤.

(٢) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٠.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٤.

(٤) شرح مسلم النووي: ج ١٨، ص ٤٨.

(٥) نفس المصدر: ج ١٦، ص ١٠٨.

(٦) فتح الباري: ج ٧، ص ٢٩٤، حاشية رد المحتار: ج ٣، ص ٦٠٥ وج ٤، ص ٤٤٧.

البعد الروحي في حياة سعيد بن جبير ١٠٣
الليلة فشقّ عليه، فقال: ما له، قطع الله صوته. فما سمع له صوت بعد، فقالت
له أمه: يا بني لا تدع على شيء بعدها^(١). وقد يناقش في هذه القضية بأنه لا
معنى للدعاء على الديك وهو حيوان لا يعقل.

ب- دعا سعيد على الحجاج وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله
بعدي^(٢). فاستجيب دعاءه، ولم يعيش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة^(٣).
ج- عن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما
أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا
حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقاها وأنا أنتظرها^(٤).
(٢) التنبؤ بموت ابنه:

عن كثير بن تميم الداري، قال: كنت جالسا مع سعيد بن جبير، فطلع
عليه ابنه عبد الله بن سعيد، وكان به من الفقه، فقال: إني لأعلم خير حالاته؟
فقال: وما هو؟ قال: أن يموت فاحتسبه^(٥). وقد مات شاباً^(٦).
(٣) الرؤيا الصادقة:

عن أبي بشر قال: قال سعيد بن جبير: ليقتلني الحجاج. قال:

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٣.

(٢) نفس المصدر: ص ٣٣٢.

(٣) نفس المصدر.

(٤) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٤، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠.

(٥) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٧٥.

(٦) من له رواية في كتب السنة: ج ١، ص ٥٥٨.

قلت: كيف علمت ذاك؟ قال: رؤيا رأيته^(١).

(٤) شفاء مريض:

قرأ سعيد بن جبیر على مجنون سورة يس فبرأ^(٢).

(٥) تمسح الحيوانات به:

عندما وصل سعيد الى دير الراهب وقد اقتاده جلاوزة الحجاج لم يصعد الى الدير وخشي عليه الراهب من السباع، ولما جاءت تلك الحيوانات المفترسة أخذت تمسح به^(٣).

(٦) تهليل الرأس المفصول عن الجسد:

لقد هلل رأس سعيد بن جبیر بعد أن فصل عن جسده^(٤).

(١) العلل لأحمد بن حنبل: ج ١، ص ١٣٨، كتاب المتوارين: ص ٦٠.

(٢) البحار: ج ٨٩، ص ٢٩٢.

(٣) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٩، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٠.

(٤) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦١، حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩١، تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٢٦٢، الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥.

البعد العبادي

قراءة القرآن:

عن النبي ﷺ قال: « خيركم من تعلّم القرآن وعلمه »^(١).
القرآن كتاب الله الصادق، ومعجزة النبي الخالدة، والحبل الممتد بين الأرض والسماء، والنور الذي يستضاء به، فتلاوته حياة القلوب، والعمل به هدى ورشد، وقد تعلّق به سعيد ولم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته. فعن وقاء قال: كان سعيد بن جبير يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان، وزاد غيره: وكانوا يؤخّرون العشاء^(٢).
وعن عبد الملك بن ابي سليمان عن سعيد بن جبير: أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين^(٣).
وعن معاوية بن اسحاق قال: رأيت سعيد بن جبير عند الميضاة في الغلس وهو ثقیل اللسان، فقلت: مالي أراك ثقیل اللسان؟ قال: ختمت القرآن البارحة مرتين ونصفاً^(٤).

(١) سنن ابي داود ج ١ ص ٣٢٧.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٤، الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٥٩، تهذيب الكمال ج ١٠

ص ٣٦٣، البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٣.

(٣) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٣، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٢٠.

وعن الصعب بن عثمان قال: قال سعيد بن جبير: ما مضت عليّ ليلتان منذ قتل الحسين إلا أقرأ فيها القرآن إلا مسافراً أو مريضاً^(١).

وكان يردد آيات القرآن حين أمر الحجاج بأن يوجهه الى قبله النصارى ويقرأ: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُكُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢)، واستعاذ من الحجاج بما استعاذت به مريم: (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا)^(٣)، وحينما أمر الحجاج بأن يجلدوا به الأرض قرأ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^{(٤)(٥)}، وبكلمات القرآن رحل الى ربه شهيداً.

إن ماورد من ختمه للقرآن في ليلة قد يكون مبالغاً فيه يتضمن اهتمام سعيد بالقرآن وعشقه له.

وعن سعيد بن عبيد قال: كان سعيد بن جبير إذا أتى على هذه الآية: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(٦) رجع فيها ورددها مرتين أو ثلاثاً^(٧). وعن وهب بن اسماعيل الاسدي قال: قيل لورقاء يعني ابن أياس: كان سعيد بن جبير يصنع كما يصنع هؤلاء الائمة اليوم، يطربون أو

(١) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١١٥.

(٣) سورة مريم: ١٨.

(٤) سورة طه: ٥٥.

(٥) البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٦، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٥.

(٦) سورة غافر: ٧١.

(٧) حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٣.

البعد العبادي في حياة سعيد بن جبير ١٠٧

يردّدون؟ قال: معاذ الله، إلا أنه كان إذا مر على مثل هذه الآية في حم المؤمن ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(١). مدّها شيئاً وعن ابن شهاب قال: كان سعيد بن جبير يؤمّننا يرجع صوته بالقرآن^(٢).

الدعاء:

الدعاء عشق وعرفان، وقد كان سعيد بن جبير يفتح عليه ويعيش اجواءه الروحية، وطالما كان سعيد يردد: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك^(٣)، وكان يطيل في القنوت قدر خمسين آية^(٤) ويرى الاجابة عند حلاوة الدعاء، عن داود بن أبي هند قال: لمّا أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً وسأخبركم أنني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلّا صاحبي رزقاها، وأنا أنتظرها^(٥).

وكان مستجاب الدعوة، فقد دعا على الحجاج: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، ولم يبق الحجاج بعده أكثر من خمس عشرة ليلة^(٦).

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٠.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٠، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٤.

(٦) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٢.

الصلاة:

تحتل الصلاة مكانة خاصة في الاسلام، فهي عمود الدين^(١) وقربان كل تقي^(٢) كما ورد في الاحاديث الشريفة، وقد ورد في وصية النبي ﷺ لابي ذر: «يا أبا ذر ما دمت في صلاة فإنك تفرح باب الملك ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له. يا أبا ذر، ما من مؤمن يقوم الى الصلاة إلا تنائر عليه البر ما بينه وبين العرش، ووكل به ملك ينادي: يا ابن ادم لو تعلم مالك في صلاتك ومن تناجي ما سأمت ولا التفت»^(٣).

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «من آذى وليا فقد استحل محاربي وما تقرب اليّ عبدي بمثل الفرائض، وما يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه، إن سألتني أعطيته وإن دعاني أجبت»^(٤).

وكان سعيد يولي هذه العبادة عناية كبيرة. ولم يقتصر على الصلاة المفروضة وهاهي الشواهد العبادية التي تجلّت في حركته:

أ- التأكيد على الصلاة:

عن عمر بن ذر: كتب سعيد بن جبير الى أبي كتابا أوصاه بتقوى الله وقال: إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة فذكر الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره^(٥).

(١) مستدرك الوسائل ج ٧ ص ١٦٢.

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٤٦.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٥ ص ٢٩٦.

(٤) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٤٧.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦.

ب - قيام الليل:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَنفَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾^(١) وعن النبي ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم»^(٢).

قيام الليل هجرة روحية لا يستشعر عظمتها الا الذين يطوون مسير الحب، فحين تنام العيون ويركن الناس للراحة يقوم الأولياء ليتحدثوا مع الحبيب. وكان ممن حباه الله بهذه النعمة سعيد بن جبير، وقد لازمها ولازمته، ولم يكن شيء أعظم عليه من فواتها، فعن الاصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح فلم يصل سعيد تلك الليلة فشقّ عليه، فقال: ما له، قطع الله صوته؟ فما سمع له صوت بعد فقالت له أمه: يا بني لا تدع على شيء بعدها^(٣).

ولسنا بصدد مناقشة دعاءه على الديك وما جرى إثر ذلك، ولكن الذي يهمنّا من النص إهتمامه بالعبادة.

وتقدمت رواية أن سعيداً كان يصلي الليل ويوتر بثلاث ويقنت بقدر خمسين آية^(٤).

(١) سورة الإسراء: ٧٩.

(٢) نيل الاوطار ج ٣ ص ٦٨.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦١، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١ حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٤.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٠.

ج - الصلوات المستحبة:

عن أنس بن سعيد قال: كان سعيد بن جبیر إذا جاء، ولم يكونوا في صلاة الفجر، دخل المسجد فصلّى ركعتين^(١). وتقدم أنه طلب من الجلادين أمهاله كي يصلي ركعتين عندما صدر قرار الحجاج بقتله^(٢).

د- التأمل في الصلاة وعند قراءة القرآن فيها:

قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيداً يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^{(٣)(٤)}.

وعن أبي شهاب قال: كان سعيد بن جبیر يصلي بنا في رمضان فكان يرجع فرما أعاد الآية مرتين^(٥).

وعن ابن شهاب أيضا قال: كان سعيد بن جبیر يؤمنا يرجع صوته بالقرآن^(٦).

هـ- الاستقرار في الصلاة:

عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبیر أنه كان ينكر أن

(١) التاريخ الكبير ج ٢ ص ٣٢.

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٦، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٧، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٨، كتاب المتوارين ص ٥٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٨١.

(٤) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٤، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٢، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٢.

(٥) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٠.

(٦) حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٣.

يتكفأ^(١) الرجل في الصلاة قال: وما رأيت قط يصلي الا كأنه وتد^(٢).

و- اذكاره في الصلاة:

عن أبي حمزة مولى يزيد بن المهلب قال: كان اذا قال الامام: سمع الله لمن حمده، قال سعيد: اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الارضين السبع وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد. قال: فربما لم يزل يتكلم بهذا حتى يهوي الى السجود فيقول: الله أكبر^(٣).

ز- إطالة الصلاة:

عن هلال بن يساف قال: دخل سعيد بن جبير: الكعبة فقرأ القرآن في ركعة^(٤). وعن حماد قال: قال سعيد بن جبير قرأت القرآن في ركعة في الكعبة^(٥).

وفي البحار: إنه كان يقرأ القرآن في ركعتين^(٦) وأنه كان يقنت في صلاة الوتر بقدر خمسين آية^(٧).

إن كل هذه الاخبار تدل على إنه كان يطيل الصلاة، وإن كان قراءة القرآن في ركعة لا يخلو من كلام.

(١) يتكفأ: يميل يمينا وشمالاً.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٦.

(٣) نفس المصدر ص ٢٦١.

(٤) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٥، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٣، المحلى ج ٣ ص ٥٤،

حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٣.

(٥) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٥٨، سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٦٦.

(٦) البحار ج ٣٦ ص ١٣٣.

(٧) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٠.

ح- احياء الليالي العشر من ذي الحجة

الليالي العشر من ذي الحجة من الليالي التي ورد التأكيد عليها، وقد ورد القسم بها في القرآن الكريم ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^(١) وكان سعيد يأمر باحيائها، فعن أبي حريز أن سعيد بن جبير قال: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، تعجبه العبادة، ويقول أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة^(٢). وقد كان إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما كاد يُقدر عليه^(٣).

الصوم يوم عرفة:

عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل وكل ملائكته بالدعاء للصائمين»^(٤). لم يقتصر سعيد على الصوم الواجب وإنما كان يؤكد على المستحب، ويدعو إلى إيقاظ الخدم ليتسحروا لصوم يوم عرفة، فعن أبي حريز: أن سعيد بن جبير كان يقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة^(٥). وكلام سعيد هذا تعبير عن الحديث النبوي الشريف: «صيام يوم عرفة إنني أحاسب على الله أن يكفر السنة التي بعده، والسنة التي قبله»^(٦).

(١) سورة الفجر: ١-٢.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٨١.

(٣) سنن الدارمي: ج ٢، ص ٢٦.

(٤) الكافي ج ٤ ص ٦٤.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٦.

(٦) سنن الترمذي ج ٢ ص ١٢٥.

الحج والعمرة:

وعن النبي ﷺ: «الحجة ثوابها الجنة والعمرة كفارة لكل ذنب»^(١).

وإيماننا من سعيد بن جبير بما للحج والعمرة من فضل: واطب على هاتين الشعيرتين، فعن هلال بن خباب قال: خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضي من رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يحرم في كل سنة مرتين: مرة للحج ومرة للعمرة^(٢)، ولم يترك هذين العملين حتى فترة اختفائه عن أعين الحجاج^(٣). وكان حريصا على طواف البيت، فقد طاف وهو في قيوده عندما ألقت السلطة عليه القبض^(٤).

اللبث في مكة:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «تسيح بمكة يعدل خراج العراق ينفق في سبيل الله»^(٥).

كان المكث في مكة مما يؤكد عليه سعيد، فعن الزبرقان: قال: كنا بمكة فأردنا أن نأتي المدينة فذكرنا ذلك لسعيد بن جبير فقال: لطواف واحد بهذا البيت أحب الي من إتيان ثمان مرات^(٦).

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٣٥.

(٢) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٥، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٥.

(٣) العلل ج ١ ص ١٨٦، التاريخ الصغير ج ١ ص ٢٥٤، حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٧٥.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٤.

(٥) وسائل الشيعة (اسلامية) ج ٩ ص ٣٨٢.

(٦) المصنف لابن أبي شيبة: ج ٤ ص ٢١٨.

البعد الأخلاقي والتربوي

في حياة سعيد بن جبير

الحياة مدرسة، والدنيا مسجد أحباء الله، يعمرونها بالصلاة والصلوات والذكر والبسمات والحب والرأفة بالخلق وتقديم الخدمات. فالبشر عيال الله ودعاة الحق مسؤولون عن الرعية، يمدونها بالنور ويسرون بها نحو عوالم الوعي عبر أسفار وأسفار، وركوب منايا وأخطار. والعالم الرباني أرضه المجتمع يحيى ويموت من أجل اليسر به إلى الله، ومن هؤلاء الرسالين سعيد بن جبير فهو اخلاق وقيم وعاطفة وحنان تتحرك على الارض، وهذه باقية من حياته الاجتماعية والتربوية:

١- احترام الوالدين: عن أبي سنان عن سعيد بن جبير قال: لدغتني عقرب، فأقسمت أُمِّي أن استرقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وكرهت أن أحثها^(١).

إن سعيدا لم يكن يقبل بعض ما يشيع بين عامة الناس ولكن أدبه وتربيته جعلته يتماشى مع رغبات أمه.

٢- مواجهة المغتاب: عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير أنه كان لا

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٤.

يدع أحدا يغتاب عنده^(١) أحداً، يقول: إن أردت ذلك فقي وجهه^(٢).

٣- تربية الابناء عبادياً: عن مغلد بن حسين عن هشام بن حسان قال: قال سعيد بن جبير: إني لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا. قال مغلد: قال هشام: رجاء أن يحفظ فيه^(٣) يستوقفنا هذا النص امام عدة أمور:
أ- الاهتمام بتربية الاولاد.

ب- إستخدام الممارسة العملية كطريقة للتعليم.

ج- منح أوقات لهذه الاعمال.

٤- الصبر ودوره: عن مسلم البطين قال: قيل لسعيد بن جبير: الشكر أفضل أم الصبر؟ قال: الصبر والعافية أحب إلي^(٤).

إن الصبر يستبطن الشكر وليس العكس، فاذا صبر شكر، فعن النبي ﷺ: علامة الصابر ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه تعالى، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحق وإذا ضجر لم يؤد الشكر وإذا شكا من ربه (عز وجل) فقد عصاه^(٥). فاذا دار الأمر بين الشكر والصبر فضل سعيد الصبر، ولكن العافية أحب إليه، وتعني أن يعافيه الله تعالى من سقم أو بلية وهي الصحة ضد المرض^(٦).

وقد ورد: إن لله (عز وجل) عباداً يضمن بهم عن البلاء يحييهم في

(١) نفس المصدر ص ٣٣٦.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦١.

(٣) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٦.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٢.

(٥) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٩٨.

(٦) لسان العرب ج ١٠ ص ٧٢.

عافية ويدخلهم الجنة في عافية^(١).

٥- لذائذ الدنيا: عن بكير بن عتيق قال: سقيت سعيد بن جبير شربة من عسل في قدح، فشربها ثم قال: والله لاسألن عن هذا. قال: فقلت له: لم؟ فقال: شربته وأنا استلذه^(٢).

ليس التمتع بالدنيا محرماً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا^(٣)﴾ ولكن المشكلة هي الانشداد والتعلق، ورد عن علي عليه السلام: «أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج أبدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتكم»^(٤). وعن النبي ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»^(٥). ويدل عمل سعيد على خوفه من حب الدنيا.

٦- حضور المجالس: عن عبدالله بن عمر الجعفي قال: سمعت حسن بن علي يقول: كنا في مجلس سعيير بن الخمس، قال أبو عبد الرحمن، وهو مجلس لم يزل الناس يجلسون فيه، كان سعيد بن جبير يجلس فيه^(٦).

الانسان مخلوق مدني يألف ويؤلف، ومن غير الطبيعي أن يختار حياة الكهوف أو ينقطع عن بقية البشر.

(١) كنز العمال ج ٤ ص ٤٢٧ ح ١١٢٤٦.

(٢) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٦، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٤.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٨٢، بحار الانوار ج ٧٠ ص ٨٩، وج ٧٤ ص ٣٨٢.

(٥) نفس المصدر ج ٦٧ ص ٣١٥.

(٦) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٨٣. التعديل والتجريح ج ٣ ص ١٤٤.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١١٧

٧- علاقته بأولاده: عن حبيب قال: رأيت سعيد بن جبير يقبل إبناً له^(١). وعن يزيد بن أبي زياد قال: أتينا سعيداً فإذا هو طيب النفس وبنته في حجره فبكت وشيعناه الى باب الجسر، فقال له الحرس: اعطنا كفيلاً^(٢).... إن سعيداً المكبل بالقيود والمحاط بالحرس والسائر نحو الموت لم يمنعه كل ذلك من أن يحضن بنته ويضعها في حجره. إن علاقة الانسان بأولاده ظاهرة تعبر عن سلامة النفس، والمرضى هم الذين يعكسون مشاكلهم الحياتية على علاقتهم بأسرهم أو يصنعون مشاكل داخل البيت فيوترون العلاقة بالزوجة والاولاد. وعن النبي ﷺ: «من قبل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة، ومن علّمه القرآن، دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضي من نورهما وجوه أهل الجنة»^(٣).

٨- حبّ الصغار والعطف عليهم: عن ربيعة بن كلثوم قال: قبلني سعيد بن جبير، وأنا غلام صغير^(٤).

صغار اليوم هم رجال المستقبل ورجال اليوم هم صغار الماضي، هكذا هي معادلة الحياة التي لا تتخلّف. وفترة الطفولة ترسم مسيرة الانسان وهي التي تبقى تحتفظ بالعلوم والذكريات، فإذا بنى الانسان في هذه المرحلة استطاع أن يشقّ طريقه نحو الازدهار. والعطف على الصغير، هو الأمر الذي اكثرت عليه الشريعة المقدسة.

(١) العلل لاحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٠٨.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٨.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٩.

(٤) العلل لاحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٦٣.

٩- لا لإذلال الآخرين: عن عاصم بن ضمرة انه رأى أناساً يتبعون سعيد بن جبیر قال: فأراه قد نهاهم وقال: إن صنعكم هذا أو مشيكم هذا مذلة للتابع وفتنة للمتبع^(١).

ان التواضع أمر عظيم، عن النبي ﷺ: أفضل الناس عبداً من تواضع عن رفعة^(٢)، وهو يحكي فعن صفاء النفس وخلوصها من العقد. وأعظم منه أن ترى الآخرين كباراً لا ترضى بذلهم، وهكذا كان سعيد.

١٠- توازن الشخصية: قال عطاء بن السائب: كان يبكي ثمة عسى أن لا يقوم حتى نضحك^(٣). قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾^(٤)، إن المؤمن يضحك ويبكي، والذين يكون فقط أو يضحكون فقط يعانون من مشكلة نفسية.

١١- الرحمة بالخلق: عن عيسى بن يونس: سمعت الاعمش يقول: لما جيء بسعيد بن جبیر وطلق بن حبيب وأصحابهما، دخلت عليه السجن فقلت: جاء بكم شرطي أو جليويز من مكة إلى القتل، أفلا كتفتموه وألقيتموه في البرية؟ فقال سعيد: فمن كان يسقيه الماء إذا عطش^(٥).
إن هذه الحكاية إذا صدقت تعبر عن الرحمة التي تشبعت بها روح سعيد، فهو يرحم حتى أعدائه.

١٢- صدق الوعد: طلب سعيد من الجلاوزة الذين اقتادوه إلى

(١) سنن الدرامي ج ١ ص ١٣٣.

(٢) بحار الانوار ج ٧٤ ص ١٧٩.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٤، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٢.

(٤) سورة النجم: ٤٣.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٠.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١١٩

الحجاج أن يمهله ليلة للعبادة فقبلوا، وقد داخلهم الشك في أنه ربما يذهب ولن يعود ولكن عندما شقّ عمود الصبح عاد اليهم^(١)، ليعلمهم درساً في صدق الوعد.

١٣- الشعور بالذنب: حينما وصل سعيد والذين اقتادوه من رجال الحجاج إلى دير راهب، طلب الراهب منه أن يدخل ديره لثلاث تقاتله السباع فلم يقبل، ولما رأوا إصراره قالوا: فأنت من الانبياء؟ قال: ما أنا من الانبياء ولكن عبد من عبيد الله مذنّب فطلب الراهب أن يعطيه ما يشق به على طمأنينة فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد قال: إني أعطي العظيم الذي لا شريك له. لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله^(٢).

إن الشعور بالذنب يختلف عن الشعور بالنقص، فالثاني نذير خطر خلافاً للأول، فالعبد مذنّب أمام سيده ومولاه سبحانه وتعالى، وتتجلى عظمة الاعتراف بالذنب حينما يضع الانسان نفسه في موضعها الذي لا يؤدي الى الغلو أو الكفر كما هو الحال بالنسبة الى هذه الحالة، فلقد شك هؤلاء سائلين أنت من الانبياء؟ وإذا بسعيد يزيل كل هذه الشكوك مشيراً الى نقطة عقائدية مهمة فلم يقتصر في مقام الجواب على «عبد من عبيد الله» بل اضاف «مذنّب» ليؤكد أن من شروط النبوة عدم الوقوع في المعصية وارتكاب الذنب.

١٤- انبساط الوجه: عن أبي بكر قال يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه جيء به مقيداً فدخل عليه قرأ الكوفة قلت:

(١) نفس المصدر: ص ٣٣٠.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٩.

١٢٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

يا أبا عبد الله فحدثكم؟ قال: أي والله ويضحك وهو يحدثنا وبنية له في حجره فنظرت نظرة فابصرت القيد فبكت، فسمعتة يقول: أي بنية لا تطيري^(١).

كان سعيد يعلم بالمصير المحتوم ولكنه لم تغادره الابتسامة، فهو يتطلع من خلالها لغد. وهذا الاحساس له أثره الكبير في عملية البناء.

١٥- الظرافة: عن أصبغ بن زيد قال: كنت إذا سألت سعيد بن جبیر عن حديث فلم يرد أن يحدثني قال: كيف تباع الحنطة؟

ربما يتهرب البعض عن الجواب فيعتمدون الاساليب الفظة ويطلقون الالفاظ القاسية ولكن سعيداً يواجه القضايا بروح كبيرة.

١٦- العدل والانصاف: عن حبيب بن أبي ثابت: أن سعيد بن جبیر استعمله مطر بن ناجية في فتنة ابن الاشعث على ماصري^(٢) الكوفة على الصدقة والعشور. قال حبيب: فركب وركبت معه حتى إذا إنتهينا الى المأصر أتانا رجل كان ينحت السفن قبل ذلك لمن كان قبله، فدخل السفينة ومعه محسّة، فقال له سعيد بن جبیر: إليك إليك فأخرجه ثم نظر سعيد بن جبیر وهو أول ما ركب اليه، فمن تقدم له يومئذ بيع من أهل الذمة فلم يرزه شيئاً ولم يكن يرى أن عليهم عاشوراء، ونظر من كان من أهل الاسلام فأخذ منهم صدقة ما كان عليهم^(٣). والمقصود من عاشوراء - هنا -: عشر المال.

١٧- تهدئة الآخرين: قال عمر بن سعيد بن ابي حسين: دعا سعيد بن

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٦١.

(٢) المأصر: الموضع.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٣.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٢١

جبير ابنه حين دعي ليقتل، فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة^(١).

إذا كان الموت مركب الجميع وأن الانسان يسير نحوه ليكون قنطرتة التي يقبل من خلالها على الرحمن الرحيم، فلماذا البكاء؟

قد تتحول العبادة في حياة البعض إلى عادة دون أن تؤثر على السلوك، وربما استشعر الوحشة إذا تركها، ولكنها لا تتعدى كونها لقلقة لسان أو ممارسات وحركات أو جوعا وعطشا أو ألفاظاً، من هنا يرسم سعيد المنهج الصحيح في التعامل مع العبادات.

١٨- صدق الحديث وصلابة الموقف: لقد دار حوار بين سعيد وبين الحجاج، فقال له الاخير: أبيت أن تصدقني، قال: إني لم أحب أن اكذبك. وفي نفس الحوار يقول له الحجاج: اختر يا سعيد، أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة الا قتلتك مثلها في الاخرة^(٢).

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤١.

(٢) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٢، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣١.

للموقف في حياة سعيد بن جبير

الحياة موقف، وعند الموقف يدفع الانسان الضريبة. والموقف هو أن تصارع الحياة دون أن تهزمك زخارفها . وعند الموقف يمتحن الجميع، وينجح التزر اليسير، فالاذلاء والمتملقون لا يمكنهم أن يتخذوا الموقف. وربما يلام الانسان على الموقف، ولكن ليس ذلك بالمهم، بل المهم أن يبيض وجهه أمام القيم. فالذين لا يملكون المواقف ليسوا عقلاء القوم، بل الانتهازيون والمتذبذبون. والموقف مفترق طرق الحقيقة والخداع، وليس المهم أن تموت لأن الجميع يموتون، وإنما المهم أن تعيش بعد الموت. ومن رجال المواقف شهيدنا سعيد بن جبير. وليس المقصود من الموقف أن تقف أمام جبار أو تقارع الأعداء بسيفك فقط، وإن كان كل ذلك عملاً عظيماً يستحق التقدير، وقد ورد عن الامام أبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام: أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، بل هناك الموقف العلمي والأخلاقي والعائدي، وفوق ذلك كله أن تكون صادقاً مع نفسك وهو الجهاد الأكبر . لقد خط التاريخ حروفاً من خلود تعكس واقع المواقف التي سطرها سعيد في طول مسيرة حياته المباركة، فلم تغره العناوين أو المقامات أو المدح والاطراء الذي كان يسمعه من هنا وهناك. واليك بعض هذه المواقف:

للموقف العلمي:

١- موقفه من عكرمة:

عكرمة هو مولى ابن عباس، وممن كان يرجع الى علم القرآن مع الفقه. مات سنة سبع ومائة، وكان له يوم مات أربع وثمانون سنة. وكان متزوجاً بأُم سعيد بن جبير^(١) على ما قيل. ويكنى بأبي عبد الله^(٢) يقول العلامة الحلبي عنه: ليس على طريقتنا ولا من أصحابنا^(٣) وعن الكشي: إنه مات على غير الايمان^(٤) وكان يرى رأي الخوارج^(٥) فاذا كان الامر كما يذكر المؤرخون من وجود علاقة سببية بينهما وهي أن عكرمة كان زوجاً لأُم سعيد. واذا صدق ما نقله المغيرة من أنه قال: قيل لسعيد بن جبير: تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: نعم، عكرمة^(٦)، فإن كان كل ذلك صحيحاً فسيجعل سعيداً في موقف حرج من الوقوف بوجه عكرمة، ولكنه يتمرّد على الواقع ليقول كلمته: لو كفّ عنهم عكرمة من حديثه لشُدّت إليه المطايا^(٧).

وقال مسلم بن خالد الزنجي، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم: إنه كان جالساً مع سعيد بن جبير، فمر به عكرمة ومعه ناس، فقال لنا سعيد بن جبير:

(١) مشاهير علماء الامصار ص ١٣٤، التعديل والجرح ج ٣ ص ١١٥١.

(٢) العلل، احمد بن حنبل ج ٣ ص ١٤٣.

(٣) خلاصة الاقوال ص ٣٨٣.

(٤) طرائف المقال ج ٢ ص ١٠٠.

(٥) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٨٧، تهذيب الكمال ج ٢ ص ٢٧٨.

(٦) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٨٨، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٦، كتاب العلم ص ١٢،

مقدمة فتح الباري ص ٤٢٨.

(٧) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٨٥ وج ٥ ص ٢٨٨، تاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ١٠٥.

قوموا إليه فاسألوه، واحفظوا ما تسألون عنه، وما يجيبكم. فقمنا إلى عكرمة، فسألناه عن أشياء، فأجابنا فيها، ثم أتينا سعيد بن جبیر، فأخبرناه فقال: كذب^(١).
وقال بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان بن خثیم: سألت عكرمة أنا وعبد الله بن سعيد عن قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾^(٢).
قال: بسوقها كبسوق النساء عند ولادتها قال: فرجعت إلى سعيد بن جبیر، فذكرت ذلك له فقال: كذب، بسوقها: طولها^(٣).

وما رواه أيوب قال: إجتمع حقاظ ابن عباس فيهم سعيد بن جبیر وعطاء وطاوس على عكرمة فاقعدوه، فجعلوا يسألونه عن حديث ابن عباس قال: فكلما حدثهم حديثاً قال سعيد بن جبیر بيده هكذا، فعقد ثلاثين حتى سئل عن الحوت؟ فقال عكرمة: كان يسايرهما في ضحضاح من الماء، فقال سعيد: أشهد على ابن عباس أنه قال: كانا يحملانه في مكمل^(٤).
إن هذا الموقف الجريء والمترصد من سعيد يكشف عن وجود ثغرات في المنهجية الفكرية لعكرمة، فسعيد يحصي عليه أنفاسه ويعد

(١) تهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٢٨١.

(٢) سورة ق: ١٠.

(٣) تهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٢٨١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ج ٤١ ص ٩٠، العلل لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٧٩ وروى الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٨٨ وضعفاء العقيلي ج ٣ ص ٣٧٦ عن عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا شيبان عن أبي إسحاق قال: سمعت سعيد بن جبیر يقول: إنكم لتحدثون عن عكرمة بأحاديث لو كنت عنده ما حدث بها. قال: فجاء عكرمة فحدثه بتلك الأحاديث كلها قال: والقوم سكوت فما تكلم سعيد، قال: ثم قام عكرمة فقالوا: يا أبا عبد الله ما شأنك قال: فعقد ثلاثين وقال أصاب الحديث.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٢٥

أقواله وأراءه، ليعلن موقفه منه بكل صراحة امام جمع يعدّون من العلماء في ذلك العصر وورثة ابن عباس، ويقول (أشهد على ابن عباس أنه قال ...).
إن هذا الأسلوب التعبيري ينبئ عن رفض كان يعتمل في قلب سعيد تجاه عكرمة.

ومن خلال هذه القرائن يمكننا أن نرد ما نسب إلى سعيد أن عكرمة كان أعلم منه، إذ كيف يعتقد سعيد بأعلمية عكرمة، وهو يتخذ منه هذه المواقف، ويصرح بتلك التصريحات؟

وعن عبدالكريم الجزري قال: قلت سعيد بن جبير: أن عكرمة يزعم أن كراء الارض لا يصلح، فقال: كذب عكرمة، سمعت ابن عباس يقول: إن خير ما أنتم صانعون في الارض البيضاء أن تكروا الارض البيضاء بالذهب والفضة^(١).

ولم يكن سعيد بن جبير ينطلق في تعامله مع عكرمة من قضايا نفسية أو شخصية، بل كان حريصا على مدرسة أستاذه ابن عباس، الأمر الذي نلمسه بوضوح من تخوف أبناء عبدالله بن عباس من تأثيرات عكرمة، فعن عبدالله بن الحارث: دخلت على علي بن عبدالله بن عباس فاذا عكرمة في وثاق عند باب الحسن فقلت له: ألا تتقي الله؟ قال: فإن هذا الخبيث يكذب على أبي^(٢).

(١) المصنف، للصنعاني: ج ٨ ص ٩١-٩٢، تهذيب الكمال ج ٢ ص ٢٨١.

(٢) ضعفاء العقيلي ج ٣ ص ٣٧٣-٣٧٤.

٢- موقفه من طاووس:

وهو طاووس بن كيسان اليماني الخولاني أبو عبد الرحمن مولى لهمدان وكان أبو طاووس من أهل فارس. مات سنة ١٠٦ قبل يوم التروية بيوم، وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة^(١).

عن ليث عن طاووس قال: كان يذكر عن ابن عباس الخلع طلاقاً، فأنكره سعيد بن جبیر، فلقبه طاووس فقال: لقد قرأت القرآن قبل أن تولد ولقد سمعته وأنت إذ ذاك همك لقم الثريد^(٢).

إن انكار سعيد- لو صح النقل- يعبر عن حرصه على الحفاظ على رأي استاذه والأمانة العلمية في نقل الحقيقة، ومن هنا كان الموقف كما عبر الخبر «فأنكره» وهو يستبطن ثقته بنفسه في الاحاطة برأي استاذه وعدم الاكتراث بما ينسب إليه الآخرون مهما كانوا، ولو كان طاووس الذي حاول أن يطلق كلمات يخفف بها عن غضبه، وهي تبين لنا صرامة سعيد في الدفاع عن رأي ابن عباس وفقدان التوازن لدى طاووس؛ إذ البحث العلمي لا يتطلب مثل هذه الكلمات، فإذا كان طاووس قد قرأ القرآن قبل أن يولد ابن جبیر أو أنه سمع الحديث ولم يكن سعيد يهم بشئ سوى لقم الثريد، فهذا لا يمنع أن يبلغ الصغير من العلم ما لا يبلغه من هو أكبر منه بعقود.

٣- موقفه من عطاء بن أبي رباح:

وهو عطاء بن أبي رباح واسم أبي رباح: أسلم، وكان عطاء من

(١) رجال ابن داود ص ١١٢، الجرح والتعديل ج ٤ ص ٥٠٠، الطبقات الكبرى ج ٥

ص ٥٣٧ وص ٥٤٢، طبقات خليفة ص ٥١٦، التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٦٥.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٥٤٠.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٢٧

مولدي الجند من مخاليف اليمن، نشأ بمكة وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خثيم الفهري^(١). مات سنة ١١٤^(٢) قال يحيى بن سعيد: مرسلات مجاهد أحب الي من مرسلات عطاء بن أبي رباح بكثير، كان عطاء يأخذ عن كل ضرب^(٣).

وعن أسلم المنقري قال: جاء أعرابي فجعل يقول: أين أبو محمد قال: فأشاروا الى سعيد بن جبير، فقال: أين أبو محمد؟ فقال سعيد: ما لنا هاهنا مع عطاء شيء^(٤).

٤- موقفه من الشعبي:

وهو عامر بن شرحبيل^(٥) (شراحيل) بن عبد، وقيل عامر بن عبد الله بن شراحيل الحميري الكوفي^(٦) أبو عمرو الفقيه^(٧). كان معلنا بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويرى أن حبه لا ينفع وبغضه لا يضر^(٨).
روى عن علي وعن ابن عباس^(٩) وعبد الله بن سعيد بن قيس الهمداني^(١٠)

(١) نفس المصدر ص ٤٦٧.

(٢) نفس المصدر ص ٤٧٠.

(٣) علل الترمذي ص ٤٠٩.

(٤) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٤٦٨.

(٥) نقد الرجال ج ٥ ص ٢٨٧.

(٦) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٥٧.

(٧) جامع الرواة ج ١ ص ٤٢٦.

(٨) معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٢١٠-٢١١.

(٩) نفس المصدر ج ٢٤ ص ١٢٥.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ١٦٧.

وسعد بن أبي وقاص والحارث الأعور^(١)، وروى عنه: صاعد بن مسلم، وفراس^(٢). واختلف في وفاته على أقوال ترددت بين ١٠١ و ١١٠ هـ^(٣).

وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سأل رجل سعيد بن جبیر عن العمرة، فريضة هي أم تطوع؟ قال: فريضة قال: فان الشعبي يقول: هي تطوع؟ قال: كذب الشعبي، وقرأ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(٤) ولكن روى الطبري في جامع البيان ما يدل على العكس أي أن سعيداً كان يرى التطوع واما الشعبي فيقول بالوجوب، إلا أن الأرجح ما ذكرناه وذلك لوجود عدة روايات دلت على ذلك:

منها: ما رواه ابن جرير قال: حدثنا ابن المنثى قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال: حدثني سعيد بن أبي بردة أن الشعبي وأبا بردة تذاكرا العمرة قال: فقال الشعبي: تطوع، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾. وقال أبو بردة: هي واجبة ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^{(٥)(٦)}، والاستدلال بالاية من قبل الاثنين مبني على اختلاف القراءة نصباً ورفعاً كما يظهر من جامع البيان^(٧) وفي الرواية ما يدل على رأي الشعبي.

ومنها: ما رواه ابن جرير أيضا قال: حدثنا ابن بشار قال: أنبأنا محمد

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٥٨.

(٢) معجم رجال الحديث ج ٢٤ ص ١٢٥.

(٣) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٥٩.

(٤) جامع البيان ج ٢ ص ٢٨٥.

(٥) سورة البقرة: ١٩٦.

(٦) جامع البيان ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٧) نفس المصدر: ص ٢٨٨.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٢٩

بن بكر قال: حدثنا ابن جريح قال: قال علي بن حسين وسعيد بن جبير عندما سئلا: وآجبة العمرة على الناس؟ فكلاهما قال: ما نعلمها الا واجبة، كما قال الله ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(١).

ومنها: ما رواه ابن جرير أيضا قال: حدثني المثنى قال: حدثنا الحجاج قال: حدثنا حماد قال: حدثنا عبد الله بن عون عن الشعبي قال: العمرة تطوع^(٢). ويؤيد ذلك ما قاله ابن جرير: كان الشعبي يقرأ ذلك رفعاً^(٣) ويقصد «والعمرة» وقول ابن جرير أيضاً إن المشهور عن الشعبي هو القول بالتطوع، وإن ما روي عنه من القول بالوجوب خلافه^(٤).

نعم، روى ابن جرير قال: حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن عثمة قال حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سعيد بن جبير، قال: العمرة ليست بواجبة^(٥) وهذا يعني أن سعيدا كان يذهب الى التطوع، ولكن مع وجود الروايات السابقة يمكن حمل هذه الرواية على العمرة غير الواجبة وقد يظهر من العمرة بقرينة الآية عمرة التمتع.

(١) نفس المصدر ص ٢٨٥.

(٢) نفس المصدر ٢٨٧.

(٣) نفس المصدر ص ٢٨٤.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر ص ٢٨٧.

٥- موقفه من جابر بن زيد:

جابر بن زيد الأزدي الحمدي، أبو الشعثاء الجوفي البصري.
 روى عن عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر بن
 الخطاب وعكرمة مولى ابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان^(١) وكان مفتي
 أهل البصرة^(٢) مات سنة ٩٣ وقيل ١٠٣ أو ١٠٤^(٣) عن أيوب قال: قلت لسعيد
 بن جبير: إن جابر بن زيد كان يقول إذا زوج السيد فإن الطلاق بيده فقال:
 كذب جابر بن زيد^(٤).

بد للوقف العقيدي

١- موقفه من طلق بن حبيب العنزي:

طلق بن حبيب من أهل البصرة تحول إلى مكة، وكان مرجئاً^(٥). عن
 أيوب قال قال لي سعيد بن جبير: لا تجالس طلقاً^(٦).
 وعنه أيضاً قال: رأني سعيد بن جبير جلست إلى طلق بن حبيب، فقال:

(١) تهذيب الكمال ج ٤ ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٨٢.

(٣) تهذيب الكمال ج ٤ ص ٤٣٦.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة: ح ٤ ص ٦٨ وج ٧ ص ٣٢٩-٣٣٠. المسترشد، ص ٢١٠،

الجرح والتعديل ج ٤ ص ٤٩٠، كتاب الاربعين ص ٣٠٨، ضعفاء العقيلي ج ١
 ص ١٩١.

(٥) الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٢٢٧، التاريخ الصغير ج ١٠ ص ٢٦٠.

(٦) الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٢٢٧.

ألم أرك جلست إليه، لا تجالسه^(١).

٢- موقفه من ذر الهمداني:

وهو ذر بن عبدالله بن زرارة الهمداني الكوفي. روى عن المسيب بن نجبة وعبدالله بن شداد، وعنه: ابنه عمر بن ذر ومنصور والأعمش. هجره سعيد بن جبير لارجائه^(٢)، وكان ممن يطعن على علي بن أبي طالب من أهل الكوفة ويحمل عليه^(٣)، وكان أول من تكلم بالارجاء بالكوفة^(٤).

وعن أبي المختار الطائي: شكى ذر الهمداني سعيد بن جبير الى أبي البختري الطائي، فقال: مررت، فسلمت عليه، فلم يرد عليّ، فقال أبو البختري لسعيد بن جبير في ذلك، فقال سعيد: إن هذا يحدث كل يوم ديناً، والله لا كلمته أبداً^(٥).

جـ. الموقف الثوري الرسالي

عندما يضرب الجور سرادقه على البر والفاجر تختفي الكثير من الشعارات ويختبئ الذين يركنون الى الدنيا إذ المهم لديهم هو أيام قلائل يحسبون أنها ستدوم وأنهم سيخلدون وكأن الموت على غيرهم كتب وربما التهمتهم عجلة الظالم دون أن يسطروا في الحياة موقفاً أو يدوتوا في

(١) نفس المصدر.

(٢) من له رواية في كتب السنة ج ١ ص ٣٨٦ وقد وثقه، تهذيب الكمال ج ٨ ص ٥١١، كتاب الاربعين ص ٣٠٨.

(٣) المسترشد ص ٢٠٧.

(٤) ضعفاء العقيلي ج ١ ص ٣٠٤.

(٥) تهذيب الكمال ج ٨ ص ٥١٢.

سجل الرجال أسماءهم. وفي المقابل هناك ثلة قليلة تعتقد أن الموت ليس نهاية الحياة، وأن الموقف لن يغير في الأجل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(١) فيحتفظ لهم التاريخ بالذكريات، وتقف الاجيال احتراماً وإجلالاً لهم، ومن هذا الصنف الشهيد سعيد بن جبير خريج مدرسة الإسلام التي تمثل امتداداً لتضحيات الأنبياء والأوصياء والصحابة والتابعين. فسفر الحق يضم أسماء نجوم لا تغيب وأنواراً لا تخبو. وأمام سعيد قائمة طويلة وزاهرة برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً، وعلى رأس هذه القائمة محمد المصطفى الذي يقول: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»^(٢) وعلي المرتضى القائل عند مواجهة الموت حين تلقى ضربة ابن ملجم: «فزت ورب الكعبة»^(٣) والحسين الشهيد وما صدع به «أني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٤) و«لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد»^(٥) والحسين مدرسة الرفض التي تعلّم منها سعيد وغيره، وربما تكون كلمته الخالدة «ما مضت عليّ ليلتان منذ قتل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن

(١) سورة التوبة: ٥١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٢، بحار الانوار ج ٣٩ ص ٥٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٨٥، الطرائف ص ٥١٩ عوالي اللئالي ج ١ ص ٣٨٧،

حلية الأبرار ج ٢ ص ٦٣، بحار الانوار ج ٢٠ ص ١٤٨، وج ٤١ ص ٢، شرح نهج

البلاغة ج ٩ ص ٢٠٧.

(٤) بحار الانوار ج ٤٤ ص ١٩٢، العوالم ص ٦٦.

(٥) الارشاد ج ٢ ص ٩٨، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٢٤، مثير الأحزان ص ٣٧، البحار

ج ٤٤ ص ١٩١، العوالم ص ٦٦.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٣٣

إلا مريضاً أو مسافراً^(١) لها دلالاتها على هذا الصعيد فهو يربط بين ملازمة قراءة القرآن وقتل الحسين. وهذا التلازم أمر طبيعي لمن وعى قول النبي ﷺ: إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^(٢).

ومن هنا كان سعيد ثورة تتحرك وملاحم تسطرّ وبطولات تخلّد، جاء كل ذلك بوجه أعنى جبار عرفه البشر آنذاك. وبما أن الموقف يسمو أكثر فأكثر عندما يكون الطاغية مستهتراً بكل القيم، ولم تجد الاغراءات طريقاً فهي مصيدة ضعاف النفوس وسعيد لم يعر للدنيا وزناً.

وبدأت مواقف الرفض تترى وصيحات الإعراض تعلو، وها هو بعض ما يخلّده التاريخ من بطولات سعيد بن جبير:

١- الكلام أثناء خطبة في الجمعة الحجاج:

كان سعيد بن جبير والنخعي والشعبي وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب، وقال بعضهم: إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا^(٣).

وهذا العمل واضح الدلالة فيما يستبطن من موقف تجاه الحجاج، فلم يكن ناشئاً من رأي فقهي بجواز الكلام أثناء الخطبة أيا كان الخطيب، ومن هنا نستغرب من فهم ابن قدامة في المغني حيث قال قبل ذكر هذا الموقف: عن أحمد رواية أخرى لا يحرم الكلام^(٤) ليستنتج من عمل هؤلاء الذين

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٦.

(٢) البحار ج ٥ ص ٦٨ - ٦٩، ينابيع المودة ج ١ ص ١٢٤ وص ١٢٦.

(٣) المغني ج ٢ ص ١٦٦، الشرح الكبير ج ٢ ص ٢١٦.

(٤) المغني ج ٢ ص ١٦٦.

يذكرهم إباحة الكلام وقت الخطبة، وكأنه غفل عما أورده نفسه وعلى لسان بعضهم: «إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا» فعدم الأمر بالانصات لم يكن مطلقاً وإنما قالوا «لهذا» في إشارة الى الحجاج، فهم وكما يفهم من الكلام المنقول أنهم قيدوا عدم الامر بالانصات بالحجاج دون سواه، والا لقليل «انا لم نؤمر أن ننصت لخطيب الجمعة»، هذا مضافا الى أن سعيد كان يقول بشأن الأنصات لخطبة الجمعة: لأن أضرب على رأسي أسواطاً أحب إليّ من أن أتكلم والامام يخطب الجمعة^(١).

٢- الدعاء بالشهادة:

عن يحيى بن حسان التنيسي حدثنا صالح بن عمر عن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير، قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها وأنا أنتظرها^(٢).

إن رجلاً يسأل الله الشهادة ويؤمن بأنها تأصيل وليس استئصالاً لن يخشى مواجهة الظالمين، ولن يقر له قرار دون نيلها فهو يطلبها في كل لحظة، وهي لن تتأتى إلا من خلال موقف الرفض الرسالي ولا يمكن ان يحظى بها من طريق المساومات والركون والذل.

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٩٠.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٠، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٤.

٣- الحجاج كافر:

لقد كان الوضع آنذاك لا يتحمل الحكم بكفر الخليفة أو الأمير خصوصاً في ظل القول بالارضاء، ولكن سعيد كان يرى كفر الحجاج، عن قتادة قال: قيل لسعيد بن جبير خرجت على الحجاج؟ قال: إي والله ما خرجت عليه حتى كفر^(١)، ومثل هذا الوضوح في الموقف يرد ما نقله ايوب قال: قال الحسن: ألا تعجب من سعيد بن جبير دخل يسألني عن قتال الحجاج ومعه بعض الرؤساء من أصحاب ابن الأشعث^(٢). اللهم إلا أن يكون قصد سعيد إذا صح النقل هو تأليب الحسن البصري بطريقة وأخرى ضد الحجاج أو أن يجعل فتوى الحسن البصري عضيداً للثورة.

٤- المشاركة في ثورة القراء أو دير الجماجم:

إن الحضور الى جانب الثوار واختيار الخنادق من أعظم المواقف، لاسيما وأن الثورة بوجه الحجاج الذي لا يرحم، ولم يكن الشائرون على يقين بأن حركتهم ستؤول الى النجاح، ومع كل ذلك خرج سعيد ولم يختار التقية في وقت كان أقرانه قد عملوا بها، كما هو الحال بالنسبة الى الشعبي مثلاً^(٣) وهي قد كانت التقية مباحة له^(٤).

وسوف نتحدث عن الثورة وتفاصيلها إن شاء الله.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٨٣.

(٢) العلل لاحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٩٠.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣٧.

(٤) نفس المصدر ص ٣٤٠.

٥- لا للتسليم او الاستسلام

لقد كان قيام القراء على الحجاج في سنة اثنتين وثمانين ولم يظفر لهم الحجاج بسعيد الى سنة خمس وتسعين^(١) ولكنه لم يفكر يوماً بالإعتذار من الحجاج او طلب العفو منه.

٦- في قصر الحجاج

ربما يرتبك الكثير عندما يسمعون باسم الظالم، فيتكلمون همساً في بيوتهم لئلا يصل الخبر الى الظالم وأعوانه ويكونوا عرضة للهلكة، وأما سعيد بن جبیر فقد دكّ حصون الحجاج بقوة الكلمة وثبات الروح، فلم تزغزه الشرطة، ولم تخيفه سطوة الحجاج، وخاض معه حواراً تردّده الاوداء وتتناقله الأصدااء وتستلهم منه النفوس العبرة وتغرق في بحاره الفكرة. ولسنا بصدد ذكر ما دار بين القاتل والمقتول الآن.

ولكننا نتوقف عند بعض ما جاء لتعرّف على المواقف وان كان الحوار بأسره مواقف.

أ- الدفاع عن الامام علي بن أبي طالب:

كانت حكومة الأمويين تبنت سب الإمام علي، وكان معاوية بن أبي سفيان هو أول من سن تلك السنة السيئة^(٢)، ولم ينفع رفض بعض الصحابة

(١) نفس المصدر ص ٣٣٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٦٦، سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٤، تهذيب الكمال

ج ٦ ص ٢٤٧.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٣٧

كسعد بن أبي وقاص^(١)، وتحولت بمرور الأيام الى ظاهرة استفزازية، فكان الناس يعرضون على سب علي بالكوفة^(٢) وهكذا كانت الشام^(٣) وقد استعمل معاوية على المدينة مروان بن الحكم وكان عاملاً بأوامر معاوية فكان لا يدع سب علي عليه السلام على المنبر كل جمعة تنفيذا لأوامره^(٤).

وكان البعض لا يصلي صلاة إلا سب عليا وشتمه^(٥)، وقد ألف عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي كتاباً سماه «كتاب الكناية عن سب علي»^(٦).

وكان الحجاج عامل الأمويين الذي كان يقدمهم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد ذكر بزيع بن خالد الضبي أن الحجاج قال في خطبة له: «رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟» وكانت هذه الخطبة دفعت بالضبي أن لا يصلي خلفه، وأن يختار مجاهدته^(٧) وكتب الحجاج في وصيته: إنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك، عليها يحيى

(١) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ١٩٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ٧٣، وج ٤٢ ص ٤١٢، خصائص امير المؤمنين للنسائي ص ١٠٠، مسند ابي يعلى ج ٢ ص ١١٤، تهذيب الكمال ج ١٢ ص ٥٥٥ في ذيل حديثه عن (سعد بن مالك).

(٣) نور العين في مشهد الحسين ص ٦٩.

(٤) النصائح الكافية ص ١٠١.

(٥) المناقب للخوارزمي ص ١٤٦، كشف الغمة ج ١ ص ٣٠١، نهج الايمان ص ٢٠٠.

(٦) رجال النجاشي ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٥٨ - ١٥٩.

وعليها يموت وعليها يبعث^(١)، فاذا كان كذلك فمن الطبيعي أن يبوء بإثم سب علي عليه السلام لقد دعا محمد بن يوسف وهو أمير اليمن حجر المدري - تابعي يمني - فقال: إن أخي الحجاج بن يوسف كتب إلي أن أقيمك للناس فتلعن علي بن ابي طالب فقال: أجمع لي الناس فجمعهم، فقال: ألا ان الأمير محمد بن يوسف أمرني بلعن علي بن ابي طالب فالعنوه، لعنه الله^(٢). وعن الأعمش قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضربه الحجاج حتى اسود كتفاه، ثم اقامه للناس على سب علي عليه السلام والجلالوزة معه يقولون سب الكذابين.

وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرض عطية بن سعد بن جنادة العوفي على سب علي فإن لم يفعل ضربه أربعمئة سوط وحلقت لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسب، فأمضى حكم الحجاج فيه^(٣)، وقيل سمي مصدع أبو يحيى الأعرج بالمعرب لأن الحجاج أو بشر بن مروان عرض عليه سب علي فأبى ففقط عرقوبه^(٤).

فاذا كان هكذا هو تعامل الحجاج وأسياده مع علي، فمن المستحيل أن يسمع ثناء بحقه، وفي المقابل فإنه لن يتحدث عن فضائله أحد أمام الحجاج إلا اذا كان ثابت العقيدة رابط الجأش قد غمر قلبه حب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١) نفس المصدر ص ١٥٧.

(٢) معرفة الثقات ج ١ ص ١٣٣ وص ٢٨٨.

(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٠٠-٢٠١.

(٤) نفس المصدر ج ١٠ ص ١٤٣.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٣٩

ولقد سأل الحجاج سعيد بن جبير: ما تقول في علي؟
فقال: إبن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم، وزوج فاطمة، وأبو
الحسن والحسين^(١).

ب- مواجهة الحجاج بحقيقته:

وفي ذيل تلك المحاوراة ما يلي: إلتفت الحجاج إلى سعيد بن جبير
قائلاً: ما تقول في؟

قال: أنت أعلم ونفسك.

قال: علمك. قال: إذا يسؤك ولا يسرك قال: بعملك. قال: إعفني. قال:
لا عفا الله عني إن أعفيك. قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله، ترى من
نفسك أمورا تريد بها الهيبة، وهي تقحملك الهلك وسترده غدا فتعلم^(٢).

ج- لأقتلنك:

هذه كلمة قالها الحجاج لسعيد، وهو ربما يظن أنها سترعه، ولكن
كان الجواب أقوى: أنا إذا كما سمتني أمي^(٣)، أي أنا سعيد حينما أقتل على
يديك.

د- إختار أي قتله تريد:

قال الحجاج: إختار يا سعيد أي قتله تريد أن اقتلك؟ قال: إختار لنفسي

(١) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٥.

(٢) نفس المصدر ج ١٠ ص ٣٧٥.

(٣) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٨، الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٦٠، البداية والنهاية ج ٩

ص ١١٦، كتاب المتوارين ص ٦١.

١٤٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبير
يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها في الآخرة^(١).

هـ- لا لعفو الحجاج
عرض الحجاج العفو على سعيد قائلاً: تريد أن أعفو عنك؟ فاجأبه
بكل شجاعة: إن كان العفو، فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر^(٢).

و- وأخيراً ضحك سعيد:
لم يأت أسلوب ترهيب الحجاج بنتيجة أمام صمود سعيد، فأمر أن
يذهبوا به فيقتلوه، فلما خرج من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك فأمر
برده فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلمه عليك^(٣).
ز- صلاة ما قبل الرحيل:

عندما علم سعيد بأن عاقبته الشهادة توجه إلى الجلادين قائلاً: دعوني
أصلي ركعتين^(٤).
والصلاة رحلة العشاق التي يدرك مداليلها أمثال سعيد، وهم الذين
يأوون إليها في أحلك الظروف ليكشفوا من خلالها أنهم لا يرون قدرة
سوى قدرة الله.
ر- وتحققت الأمنية:

لقد وجه سعيد حين الذبح إلى عدة جهات ولكنه لم يتراجع، وكان

(١) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣١، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٢.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣١.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٣١، تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧٣.

(٤) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٦٨.

البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير ١٤١

يردد آيات القرآن ليقول في آخر المطاف: اللهم لا تسلطه على أحد غيري^(١).
وقتل سعيد، فخرج منه دم كثير حتى راع الحجاج فدعا طبيبا، فقال له: ما بال
دم هذا كثير؟ قال: إن أمتني أخبرك، فأمنه قال: قتله ونفسه معه^(٢). فسعيد لم
يخش الموت حتى حينما كان يواجه الموت، وهو موقف عظيم في حد ذاته.

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٦.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٠ - ٣٤١.

القسم الثالث

سعيد بن جبير

من الواقع للعاش إلى الثورة



الفصل الاول

البعد السياسي والاجتماعي

في واقع سعيد بن جبير

البعد السياسي والاجتماعي

لا يمكن الحديث عن الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي ما لم نلق نظرة على مسلسل الأحداث التي عاصرها سعيد بن جبير وملوك وولاة زمانه.

فالفترة من ٥٠ هـ وحتى ٩٤ هـ وهي الفترة التي وعها سعيد بن جبير من أكثر فترات التاريخ وقائع وأشدها ظلماً وإراقة للدماء، وهي بالضبط الفترة التي تحدث عنها ابن أبي الحديد تحت عنوان «بعض ما مني به ال البيت من الأذى والاضطهاد»^(١)، فالمنطقة الإسلامية كانت تشهد غلياناً لا نظير له، وكل هذه الأحداث تنعكس دون شك على الفرد مهما كانت عصاميته وتترك آثارها النفسية مما تجعله يتطلع إلى الفجر دون نتيجة، وهي طويلة بالنسبة إلى من يشهد كل تفاصيلها. أربع وأربعون سنة وبعبارة أخرى حدود نصف قرن يمضي على الإنسان وكله سجون ومعتقلات وقتل وتشريد وهدم دور وتهجير ومطاردة، ومع كل ذلك يحافظ الإنسان على لّبه، إنه أمر يثير التعجب والدهشة لا سيما وأنه لحم ودم وعواطف واحاسيس، ومن الغريب في هذه الحقبة الزمنية هيمنة النهج الدموي والاستئثار بالسلطة على كل مرافق الحياة، فلا يمكن قراءة المسار العلمي او الثقافي او الاجتماعي بمعزل عن تقلّبات الأحداث السياسية والسلطوية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٤٣.

سنة ٥٠ هـ:

١- عین معاوية زياد بن أبيه والياً على الكوفة والبصرة فكان زياد يستعين بسمرة بن جندب على البصرة حين يتوجه إلى الكوفة^(١)، وقد عرف بالبطش والقتل كما سيأتي في الحديث عنهما، وقد أثر على الوضع السياسي والفكري والنفسي في العراق البلد الذي ينتمي إليه سعيد بن جبیر.

٢- شهادة الإمام الحسن عليه السلام^(٢).

سنة ٥١ هـ:

١- شهدت الكوفة مواجهات بين أنصار حجر بن عدي وزياد بن أبيه انتهت باعتقال حجر وإرساله إلى معاوية فقتل في مرج عذراء وكان لشهادته وقع كبير على نفوس الكوفيين وغيرهم^(٣)، فعن أبي إسحاق قال: أدركت الناس وهم يقولون إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد^(٤).

٢- قتل عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل بعد مطاردته من قبل زياد بن أبيه^(٥).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٧٤.

(٢) كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٠٥، وذهب اليعقوبي في تاريخه ج ٢، ص ٢٢٥ وغيره إلى أنه استشهد سنة ٤٩ هـ.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٨٧-١٩٦، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٠.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٠٨.

(٥) نفس المصدر: ص ١٩٧.

سنة ٥٣هـ:

ولّى معاوية سمرة بن جندب على البصرة ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر بعد موت زياد بن أبيه ثم عزله^(١). وكان سمرة لا يعرف الرحمة ولا يتقي في الدماء.

سنة ٥٤هـ:

ولّى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان^(٢).

سنة ٥٥هـ:

١- ولّى معاوية عبيد الله بن زياد البصرة^(٣).

٢- وولى الضحّاك بن قيس الكوفة^(٤).

سنة ٥٦هـ:

دعا معاوية الناس إلى بيعه ابنه يزيد من بعده وجعله ولي العهد^(٥)، ولم تكن عملية طبيعية ناشئة عن رغبة او اختيار وإنما كانت بالقوة والفرض والتهديد كما سيأتي.

سنة ٥٨هـ:

١- ولّى معاوية الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة بعد

(١) نفس المصدر: ص ٢١٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٢١٩.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٢٢.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٢٣.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٢٤.

١٥٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبير
انصرف عنها مروان^(١).

٢- وولى عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، وهو ابن
أم الحكم أخت معاوية، على الكوفة بعد أن عزل الضحاك بن قيس، فأساء
عبد الرحمن السيرة فطرده أهل الكوفة^(٢).

٣- ثورة الخوارج بقيادة حيان بن ظبيان في بانقيا^{(٣)(٤)}.

٤- قتل عبد الله بن زياد من الخوارج جماعة كثيرة صبراً وفي الحرب
جماعة أخرى^(٥).

٥- مواجهات بين جيش ابن زياد ومرداس أبي بلال في الاهواز^(٦).

سنة ٥٩ هـ:

١- ولى معاوية النعمان بن بشير على الكوفة وعزل عبد الرحمن بن
أم الحكم^(٧).

٢- واستعمل على خراسان عبد الرحمن بن زياد بن سمية^(٨).

(١) نفس المصدر: ص ٢٢٨.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٢٨ - ٢٣١.

(٣) بانقيا بكسر النون: ناحية من نواحي الكوفة/ معجم البلدان: ج ١، ص ٣٣١.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٢٩ - ٢٣١.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٣١.

(٦) نفس المصدر: ص ٢٣٣.

(٧) نفس المصدر.

(٨) نفس المصدر.

- ١- مات معاوية فخلفه ابنه يزيد^(١).
- ٢- كتب يزيد إلى واليه على المدينة: أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا^(٢).
- ٣- هرب ابن الزبير إلى مكة^(٣).
- ٤- خرج الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى مكة ومنها إلى كربلاء^(٤).
- ٥- ولّى يزيد عمرو بن سعيد بن العاص على المدينة ومكة بعد أن عزل الوليد بن عتبة^(٥)، وكان الوليد أبدى مرونة مع الإمام الحسين ولم يرغب بمواجهته^(٦).
- ٦- وجّه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله لحربه، فكان النصر حليف الأخير^(٧).
- ٧- عيّن يزيد عبيد الله بن زياد على الكوفة وعزل النعمان بن بشير^(٨)، ولم يكن الأخير يرغب بمواجهة الإمام الحسين عليه السلام^(٩).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٣٩، وص ٢٥٠، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٥٠.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٥٢.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٥٤.

(٦) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١.

(٧) نفس المصدر: ص ٢٥٤-٢٥٦.

(٨) نفس المصدر: ص ٢٥٨ وص ٢٦٤.

(٩) نفس المصدر: ص ٢٥٨.

١٥٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

٨- استشهاد مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة، وقد شهدت هذه المدينة أحداثاً ومواجهات مع ابن زياد^(١).

٩- كانت البصرة تشهد اجتماعات في دار مارية بنت سعد وقيل بنت منقذ بن عبد القيس للتداول في نصرة الحسين^(٢).

سنة ٦١هـ:

١- إستشهاد الإمام الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على يد جيش ابن زياد وبأمر من يزيد بن معاوية، وذلك في يوم العاشر من المحرم^(٣).

٢- ولّى يزيد الوليد بن عتبة على المدينة وعزل عمرو بن سعيد^(٤).

٣- أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد وخلعه وبويع له. وكان جلّ أهل مكة وأهل المدينة قد مالوا إليه^(٥).

سنة ٦٢هـ:

١- ثورة نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين^(٦).

٢- ثورة ابن الزبير^(٧).

(١) نفس المصدر: ص ٢٦٠.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٣.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٥٠ وص ٣٠٢.

(٤) نفس المصدر: ص ٣٦٣.

(٥) نفس المصدر: ص ٣٦٣ وص ٣٦٧.

(٦) نفس المصدر: ص ٣٦٧.

(٧) نفس المصدر.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٥٣

٣- ولّى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان على المدينة وعزل الوليد بن عتبة فأرسل عثمان وفداً من أهل المدينة إلى يزيد، فرأوا انتهاك يزيد للمحرمات فكانت النتيجة ثورة المدينة وواقعة الحرة^(١).

سنة ٦٣هـ:

١- ثورة المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة^(٢).
٢- إستباح مسلم بن عقبة قائد جيش يزيد المدينة^(٣) وقتل فيها قتلاً ذريعاً.

٣- إحراق الكعبة من قبل جيش يزيد^(٤).

سنة ٦٤هـ:

١- حوصرت مكة أربعاً وستين يوماً من قبل جيش يزيد^(٥).
٢- هلاك يزيد^(٦).
٣- إقتال مروان بن الحكم والضحاك بن قيس عشرين يوماً^(٧).

(١) نفس المصدر: ص ٣٦٨ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٨١، البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٦٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٧٠، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٣١٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٧٣، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٣٩، البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٦٢، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٥١.

(٤) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٢.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٨١-٣٨٣.

(٦) نفس المصدر: ص ٣٨٤.

(٧) نفس المصدر: ص ٤١٢-٤١٥.

سنة ٦٥ هـ:

١- كان معاوية بن يزيد حاكماً في الشام وعبد الله بن الزبير في الحجاز^(١).

٢- موت معاوية بن يزيد بعد ثلاثة أشهر من الحكم^(٢)، وقد أدى موته إلى حدوث فراغ على مستوى السلطة وهرج، وقد قال الشاعر في ذلك:

إنني أرى فتنة قد حان أولها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا
ويعني بأبي ليلى معاوية بن يزيد^(٣).

٣- بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطليح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، وأرسل إلى أهل الكوفة رسولا يدعوهم لمثل ذلك لكنهم ابوا وحصبوا الوالي الذي كان عليهم، ثم خالفه أهل البصرة أيضاً فهاجت بالبصرة فتنة ولحق عبيد الله زياد بالشام^(٤)، وعين أهل البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أميراً لهم^(٥).

٤- طرد أهل الكوفة الوالي عمرو بن حريث، وعزلوه عنهم، واجتمعوا على عامر بن مسعود^(٦).

(١) نفس المصدر: ص ٣٨٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٣٨٦.

(٣) نفس المصدر: ص ٣٨٣.

(٤) نفس المصدر: ص ٣٨٧.

(٥) نفس المصدر: ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٦) نفس المصدر: ص ٤٠٣.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٥٥

٥- ثار زفر بن عبد الله الكلبي بقنسرين^(١) يبايع لعبد الله بن الزبير^(٢).

٦- بايع النعمان بن بشير بحمص لابن الزبير^(٣).

٧- ثار نائل بن قيس بفلسطين وأخرج الوالي روح بن زنباع، واستولى على فلسطين، وبايع لابن الزبير^(٤).

٨- كان الضحاك بن قيس الفهري بدمشق يدعو لابن الزبير، وبايعه جلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم^(٥).

٩- كان مسجد دمشق شهد قتالاً بين قبيلة قيس التي تدعو لابن الزبير ونصرة الضحاك بن قيس، وقبيلة كلب التي تدعو إلى بني أمية وخالد بن يزيد^(٦).

١٠- دعي لابن الزبير على سائر منابر الحجاز ومصر والشام والجزيرة والعراق وخراسان وسائر أمصار الإسلام إلا طبرية من بلاد الأردن فإنّ حسان بن مالك بن بجدل الكلبي كان يريد عقد الأمر لخالد بن يزيد^(٧).

١١- بايع جند خراسان لمسلم بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتّى يجتمع الناس على خليفة ثم نكثوا بيعته بعد شهرين^(٨).

(١) قنسرين، بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم، كورة بالشام منها حلب، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٠-٤٠٤.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٠٩، التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٠٩، التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤١٠، التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤١٠-٤١٢، التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤١٢.

(٧) التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦.

(٨) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٢٠-٤٢١.

١٢- اختلف أهل الشام في تولية خالد بن يزيد ومروان بن الحكم، ولم يكن مروان يَمْنِي بها نفسه حتَّى اطمعه فيها عبيد الله بن زياد، وقد لعب الحصين بن نمير دوراً في ترجيح كَفْتِه مذكراً القوم بانجازاته وهي أنه قاتل عن عثمان يوم الدار، وقاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، فاختر مروان على أن يكون خالد بن يزيد من بعده، ثم عمرو بن سعيد بن العاص^(١).

١٣- كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان فغلب عليها^(٢).

١٤- تحرّكت الشيعة بالكوفة، واستعدّوا بالنخيلة^(٣) للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي، وولّوا سليمان بن صرد فقاموا بالثورة، وكانت المواجهة مع الجيش الاموي في عين الوردية، وعرفوا بجيش التوابين^(٤).

١٥- وجّه مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد إلى العراق، وأمره أن ينهب الكوفة إذا ظفر بأهلها ثلاثة أيام^(٥).

١٦- موت مروان بن الحكم وتولية عبد الملك بن مروان^(٦). يقول اليعقوبي في تاريخه عن هذه الفترة: تغلب من تغلب على كل بلد^(٧).

(١) التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٠٨ وص ٤١٢-٤١٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٢٠-٤٢٢.

(٣) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام / معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧٨.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٢٩ وص ٤٦٢، التنبيه والاشراف: ص ٢٦٩، تاريخ خليفة

بن خياط: ص ٢٠١.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥١٣.

(٦) نفس المصدر: ص ٤٧٤.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٦٩.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٥٧

١٧- وقع الطاعون بالبصرة، ويقال له الطاعون الجارف، فهلك خلق كثير من أهل البصرة^(١).

١٨- فارق الخوارج عبد الله بن الزبير وكانوا قدموا عليه مكة ووقفوا إلى جنبه في قتاله الحصين بن نمير، فصاروا إلى البصرة ثم افترقت كلمتهم فصاروا أحزاباً^(٢).

١٩- خاض الخوارج الحرب ضد الجيش الأموي الذي يقوده المهلب بن صفرة في سبلى وسلبرى^(٣) فقتل منهم سبعة آلاف^(٤) كما اشتدت شوكتهم في البصرة فقاتلوا السلطة الحاكمة في منطقة دولا ب من أرض الاهواز^(٥).

سنة ٦٦هـ:

١- قام المختار بالثورة في الكوفة طالباً بدم الحسين^(٦).
٢- كانت المدينة ومكة والبصرة لعبد الله بن الزبير، والكوفة للمختار، وخراسان لعبد الله بن خازم^(٧).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٧٦.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٣٦.

(٣) سلى وسلبرى: من نواحي خوزستان قرب جندي سابور / معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٣٢.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٨٣.

(٥) نفس المصدر: ص ٤٧٧.

(٦) نفس المصدر: ص ٤٨٧.

(٧) نفس المصدر: ص ٥٤٨.

سنة ٦٧هـ:

١- مقتل المختار على يد مصعب بن الزبير بعد مواجهات وحروب^(١)، وكان مصعب أراق دماء الكثير حتى أنه عندما التقى عبد الله بن عمر وسلم عليه قال له: أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر: نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة، عش ما استطعت. فقال مصعب: إنهم كفره سحرة. فقال ابن عمر: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً^(٢).

سنة ٦٨هـ:

- ١- وفاة عبد الله بن عباس^(٣) أستاذ سعيد بن جبير، ومن الطبيعي أن يكون لهذه الحادثة آثاراً نفسية على التلميذ.
- ٢- رجوع الازارقة إلى المدائن وشن الغارة على أهلها^(٤).
- ٣- ثورة عبيد الله بن الحر في الكوفة ونشوب الحرب بينه وبين مصعب بن الزبير ومقتله^(٥).
- ٤- وقوف أربع رايات في عرفات: راية ابن الحنفية في أصحابه، وراية ابن الزبير، وراية نجدة الحروري، وراية بني أمية^(٦).

(١) نفس المصدر: ص ٥٧٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٥.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٧٩-٥٩١.

(٥) نفس المصدر: ص ٥٩٢.

(٦) نفس المصدر: ص ٥٩٥.

سنة ٦٩ هـ:

١- وقوع طاعون الجارف في البصرة^(١).

٢- قتل نجدة الحروري الخارجي، قيل: قتله أصحابه، وقيل ظفر به أصحاب ابن الزبير^(٢).

٣- وثوب عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق على دمشق وطلب الخلافة في غيبة عبد الملك، وبعد رجوع عبد الملك جرى بينهما قتال وحصار ثم نزل اليه بالأمان^(٣)، فقتله بعد ذلك عبد الملك غيلة^(٤).

٤- وقوع حرب شديدة بين الازارقة والمهلب استمرت شهراً بسولاف^{(٥)(٦)}.

سنة ٧٠ هـ:

ثارت الروم وقوا على الإسلام لاختلاف كلمتهم فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي كل جمعة ألف مثقال، وهو أول وهن دخل المسلمين والإسلام^(٧).

(١) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٧، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٩٦.

(٤) البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٦٢، شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٧، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٦٠٣.

(٥) سولاف: بضم أوله وسكون ثانيه: قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان/

معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٨٥.

(٦) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٧.

(٧) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٧، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢.

سنة ٧١هـ:

١- مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير فقتل مصعب. وقيل كانت الحرب سنة ٧٠ وقيل سنة ٧٢^(١)، وعرفت بوقعة دير الجاثليق، وكانت وقعة هائلة^(٢).

٢- تنازع الرئاسة بالبصرة بين عبيد الله بن أبي بكر وحمران بن أبان^(٣).

٣- بعث عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله القسري والياً على البصرة^(٤).

سنة ٧٢هـ:

١- إستولى عبد الملك على العراق وولى أخاه بشيراً^(٥).

٢- بعث عبد الملك الحجاج إلى مكة لحرب ابن الزبير^(٦).

٣- حدوث حرب بين الخوارج والمهلب بن أبي صفرة^(٧).

٤- هزيمة جيش عبد الملك أمام الخوارج في فارس، وحدث قتال بينهم في الأهواز^(٨).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢.

(٢) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٩، التنبيه والاشراف: ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٣.

(٤) نفس المصدر.

(٥) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٩.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٠.

(٧) نفس المصدر: ص ١٥.

(٨) نفس المصدر: ص ١٧ و ص ١٩.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٦١

٥- خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين^(١).

سنة ٧٣هـ:

١- نازل الحجاج ابن الزبير فحاصره، ونصب المنجنيق على أبي قبيس وخرب بها الكعبة وأحرقها وهدم جدرانها، ودام القتال شهراً، فقتل ابن الزبير^(٢).

٢- ولي الحجاج أمر الحجاز (مكة)^(٣).

٣- دار قتال بين جيش عبد الملك وابي فديك الخارجي فهزم الأخير^(٤).

سنة ٧٤هـ:

١- موت عبد الله بن عمر^(٥) استاذ سعيد بن جبير.

٢- استعمل عبد الملك الحجاج على المدينة^(٦).

٣- ولي المهلب حرب الازارقة من قبل عبد الملك^(٧).

٤- نقل عبد الملك الأزدي وربيعة من البصرة إلى الموصل^(٨).

(١) نفس المصدر: ص ٢٠.

(٢) شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٩، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٩-٣٠، التنبيه والاشراف:

ص ٢٧١، البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٦٢.

(٣) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٠.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٣٤.

(٥) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨١.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٣٥.

(٧) نفس المصدر: ص ٣٦.

(٨) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٢.

سنة ٧٥هـ:

١- عزل عبد الملك الحجاج عن الحجاز وأمره على العراقيين^(١)،
فدخل الكوفة وخطب قائلاً: إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها،
وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى قد شمّرت عن ساقها تشميراً،
وبدأ بالقتل في الكوفة^(٢).

٢- ثار الناس ضد الحجاج في البصرة^(٣).

٣- دار قتال بين الخوارج وجيش عبد الملك في رامهرمز^(٤).

سنة ٧٦هـ:

١- وجّه الحجاج زائدة بن قدامة لحرب شبيب بن قيس الخارجي
الشيبياني فاستظهر شبيب وقتل زائدة وهزم العسكر مرات واستفحل أمره^(٥)،
وكان خروجه بالعراق^(٦).

٢- خروج صالح بن مسرح وكان من الخوارج، فحدثت معركة بينه
وبين جيش الحجاج فقتل أين^(٧).

(١) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٢، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤١-٤٤.

(٣) نفس المصدر: ص ٤٥.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٧.

(٥) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٣.

(٦) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٧) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٥٠-٥٦.

١- بعث الحجاج لحرب شبيب، عتاب بن ورقاء، فلقبي شبيب بسواد الكوفة، فقتل شبيب عتاباً وهزم جيشه، ثم جهّز الحجاج له الحرث بن معاوية الثقفي فقتل الحرث أيضاً، فوجّه له أبا الورد البصري فقتله أيضاً، فوجّه له طهمان مولى عثمان فقتله، ففرق الحجاج وسار بنفسه فاقتلوا أشد القتال وتكاثروا على شبيب فانهمزم ونجا بنفسه في فوارس من أصحابه، فسار إلى الاهواز وبها محمد بن موسى بن طلحة التميمي، فخرج لقتاله فبارزه فقتله شبيب وسار إلى كرمان فتقوى، ثم رجع إلى الأهواز فبعث إليه الحجاج سفين بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن فاقتلوا حتى حجز بينهم الليل، ثم ذهب شبيب وعبر على جسر نهر دجيل ففرق وحمل إلى الحجاج، فأمر بشق بطنه واستخرج قلبه^(١).

٢- خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة (وكان على المدائن من قبل الحجاج) على الحجاج وخلع عبد الملك ولحق بالجمال فقتل^(٢).

٤- قتل رأس الخوارج قطري بن فجاءة التميمي وكان الحجاج قد جهّز إليه جيشاً بعد جيش وهو يهزمهم، وقيل قتل سنة ٧٩هـ^(٣).

(١) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٣-٨٤

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٠٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٣٦، شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٦

سنة ٧٩هـ:

١- أصاب أهل الشام طاعون كادوا يفنون من شدته^(١).

٢- غزا عبيد الله بن أبي بكيرة رتبيل في سجستان^(٢).

سنة ٨٠هـ:

١- جاء سيل بمكة ذهب بالحجاج ففرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف^(٣).

٢- وجّه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك^(٤)، فخالف عبد الرحمن الحجاج سنة ٨١^(٥)، وذهب الواقدي أن ذلك كان سنة ٨٢^(٦).

٣- صلب عبد الملك معبد الجهني في القدر، وقيل بل عذبه الحجاج بأنواع العذاب وقتله^(٧).

سنة ٨١هـ:

قام ابن الاشعث بالثورة ضد الحجاج وكان معه عامة أهل البصرة من العلماء والعباد، فاجتمع له جيش عظيم ولقوا الحجاج يوم الأضحى

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٣٦، شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٧

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٣٦.

(٣) نفس المصدر: ص ١٣٨.

(٤) نفس المصدر: ص ١٤٠.

(٥) نفس المصدر: ص ١٤٥، التنبيه والاشراف: ص ٢٧١، شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٧

(٦) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٥.

(٧) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٨

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٦٥
فانكشف عسكر الحجاج وانهزم هو، وتمت بينهما عدة وقعات حتى قيل
كان بينهما أربع وثمانون وقعة في مائة يوم، ثلاث وثمانون على الحجاج
والاخرة له^(١).

سنة ٨٢هـ:

- ١- إستعرت الحرب بين الحجاج وابن الاشعث وبلغ جيش ابن
الاشعث ثلاثة وثلاثين الف فارس ومائة وعشرين الف راجل قاموا معه على
الحجاج^(٢) وذلك بالزاوية^(٣).
- ٢- كانت وقعة دير الجماجم في شعبان في سنة ٨٢ على قول^(٤)، وكان
شعارهم يالثرات الصلاة، لأن الحجاج كان يمت الصلاة حتى يخرج وقتها^(٥).
- ٣- قتل الحجاج كميل بن زياد النخعي^(٦).

سنة ٨٢هـ:

- ١- هزيمة عبد الرحمن بن محمد بدير الجماجم وذلك يوم الاربعاء
١٤ جمادي الاخرة، وهلك سنة ٨٥هـ وقيل سنة ٨٤هـ^(٧).

(١) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٨

(٢) نفس المصدر: ص ٩٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥١.

(٤) نفس المصدر: ص ١٥٤.

(٥) شذرات الذهب: ج ١، ص ٩٢.

(٦) نفس المصدر: ص ٩١.

(٧) نفس المصدر: ص ١٦٨ و ص ١٨٨ و ص ١٩١.

١٦٦ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

٢- الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الاشعث^(١).

٣- ولى عبد الملك هشام بن إسماعيل المخزومي على المدينة وعزل أبان بن عثمان^(٢).

سنة ٨٦هـ:

١- هلاك عبد الملك بن مروان^(٣) وتولية الوليد بن عبد الملك فصعد المنبر وخطب قائلاً: أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه. وكان جباراً عنيداً^(٤).

٢- بدأ غزو البلدان الاخرى في عهد الوليد، فقد أرسل قتيبة بن مسلم إلى الشرق^(٥).

سنة ٨٧هـ:

١- ولى الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينة، وعزل هشام بن إسماعيل^(٦).

٢- أرسل الوليد مسلمة بن عبد الملك إلى أرض الروم^(٧).

(١) نفس المصدر: ص ١٨٣.

(٢) نفس المصدر: ص ١٨٥.

(٣) نفس المصدر: ص ٢١٠.

(٤) نفس المصدر: ص ٢١٣-٢١٤.

(٥) نفس المصدر: ص ٢١٤.

(٦) نفس المصدر: ص ٢١٦.

(٧) نفس المصدر.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٦٧
سنة ٩١هـ:

- ١- غزا موسى بن نصير الاندلس^(١).
 - ٢- ولى الوليد خالد بن عبد الله القسري مكة، فلم يزل عليها إلى أن مات^(٢)، وذهب الواقدي أنه كان في سنة ٨٩هـ^(٣)، ولكن الذي ترجّحه أن ولايته كانت سنة ٩٣هـ أو بعدها كما سيأتي إن شاء الله.
- سنة ٩٢هـ:

- ١- فتحت بلاد الأندلس^(٤).
- ٢- غزا العباس بن الوليد أرض الروم^(٥).
- ٣- غزا مروان بن الوليد أرض الروم^(٦).
- ٤- غزا قتيبة بن مسلم سمرقند^(٧).

سنة ٩٤هـ:

- ١- كانت الغزوات نحو أرض الروم وأرض سورية وفرغانة^{(٨)(٩)}.

(١) نفس المصدر: ص ٢٣٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٤٣.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٤٥.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٤٥.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٤٦.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر: ص ٢٤٨.

(٨) فرغانة: بالفتح ثم السكون وغين معجمة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة

لبلاذ تركستان / معجم البلدان: ج ٤، ص ٢٥٣.

(٩) شذرات الذهب: ج ١، ص ٢٥٧.

٢- ولي عثمان بن حیان المدينة^(١).

٣- قتل الحجاج سعيد بن جبیر^(٢)، وقيل سنة ٩٥هـ^(٣).

٤- مات الحجاج ليلة ٢٧ من شهر رمضان سنة ٩٥ ودفن بواسط وهو ابن ثلاث وخمسين سنة^(٤).

حکام زمانه:

١- معاوية بن أبي سفيان

أبوه أبو سفيان قائد جبهة الشرك، وأمه هند بنت عتبة شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ ولما قتل حمزة مثلت به ولاكت كبده^(٥) ومعاوية طليق وابن الطلقاء^(٦).
ولاه عمر دمشق، وكان أخوه يزيد بن أبي سفيان عليها فمات، ولم يزل والياً حتى قتل عمر^(٧)، وقد قال أبو سفيان لابنه معاوية عندما ولاه عمر:

(١) نفس المصدر: ص ٢٥٨.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٠، الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٧.

(٣) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٥، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٩٢، عند ذكر ولاة زمان سعيد بن جبیر بالرقم (٥).

(٥) البداية والنهاية: ج ٧، ص ٥٩-٦٠.

(٦) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٦٠، تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٣٣٧، بلاغات النساء: ص ٢١، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٤٠.

(٧) الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٤٠٦، الأخبار الطوال: ص ١٤٠-١٤١، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٣.

يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم
وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصّر بنا تأخيرنا، فصاروا قادة وسادة وصرنا
أتباعاً، وقد وُلوك جسيماً من أمورهم، فلا تخالفهم فإنك تجري إلى أمد،
فنافس فإن بلغته أورثته عقبك^(١)، وولاه عثمان بن عفان ذلك العمل وجمع
له الشام كلها وبقي أميراً إلى أن قتل عثمان^(٢)، فكانت ولايته على الشام
عشرين سنة أميراً^(٣).

وقد طلب عثمان منه النصرة لما رأى ما نزل به وما قد أُنبت عليه من
الناس، فكتب إليه وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أهل
المدينة قد كفروا وخلعوا الطاعة ونكثوا البيعة فأبعث إليّ من قبلك من
مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب
رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم^(٤)، وحينما تولى الإمام علي أمور
المسلمين عزل معاوية، ولكنه لم يرضخ للعزل، وخاض حرباً مدمرة طالت
شهوراً وأكلت الأخضر واليابس، عرفت بمعركة صفين، ولما لم يستطع
مقاومة الخليفة الإسلامي رفع جيشه المصاحف يدعون إلى مكيدة من
عمرو بن العاص^(٥). وانتهى الأمر إلى الهدنة.

(١) البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٢٦.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٤٠٦، الأخبار الطوال: ص ١٤١، البداية والنهاية: ج ٨،

ص ٢٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٤٠٦.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٠٢.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٣٢.

وفي خلافة الإمام الحسن كاد القتال يقع ثانية لولا حرص الإمام الحسن على الإسلام ودماء على المسلمين، فوقَّع الطرفان الهدنة بشروط منها: أن لا يتبع شيعة علي عليه السلام ومنها: أن لا ينصب أبنه بعده خليفة على المسلمين^(١). ولكنه لم يلتزم بها، والحقيقة إن معاوية لم يكن خليفة، بل كان ملكاً. كما يقول ابن كثير: السَّنة أن يقال لمعاوية ملك ولا يقال له خليفة لحديث سفينة: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً»^(٢). واستمر ملكه عشرين سنة^(٣) ولم يكن معاوية يؤمن بنبوة النبي ومن هنا يقول: لله أبوك يا بن عبد الله لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين^(٤).
دخل معاوية المدينة في فترة سلطته وكان استقبله وجوه قريش، فقال لهم: إني والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرّون بولايتي ولا تحبونها وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ولكني خالستكم بسيوفي هذا مخالسة^(٥). ومما ارتكبه في زمنه قتل حجر بن عدي سنة (٥١ هـ). وقد أثار ذلك الصحابة الكرام وحتى عائشة فقالت له: سمعت رسول الله يقول: سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء^(٦).

(١) البداية والنهاية: ج ٨، ص ٤٥.

(٢) نفس المصدر: ص ١٤٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٤٠٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٠١.

(٥) البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٤١.

(٦) نفس المصدر: ص ٦٠.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٧١

وقال الحسن البصري: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه
منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها
أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه
بعده، سكّيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطناير، وادعاؤه زياداً وقد قال
رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله جبراً، ويلاً له من
حجر، وأصحاب حجر، مرتين^(١).

كما قتل الكثير من أصحاب الإمام علي رغم أن شروط الهدنة كانت
تقضي بعدم إراقة دمائهم^(٢)، وألحق زياد بن أبيه بأبي سفيان وكان أبو
سفيان جاء الطائف في الجاهلية فوقع على سمية على فراش عبيد فولدت
زياداً، وكان يقال له: زياد بن أبيه، لما وقع في أبيه من الشك^(٣) وعمل على
تخريب الإسلام كما كان ذكر عمر بن الخطاب مخاطباً المغيرة بن شعبة:
أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام كما أعورت عينك هذه، ثم ليعمينه حتى لا
يدري أين يذهب ولا أين يجيء^(٤) فمنع رواية فضائل الإمام علي وأهل
بيته^(٥)، وبدأ بحركة وضع الحديث في فضائل بني أمية^(٦).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢) كشف الغمة: ج ٢، ص ١٩٣، ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر: ص ١٨٦.

(٣) فوات الوفيات: ج ٢، ص ٣١-٣٢.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٢، ص ٨٢.

(٥) نفس المصدر: ج ١١، ص ٤٤.

(٦) نفس المصدر.

١٧٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

مات في النصف من رجب سنة ستين^(١)، روى الطبري: جعل يغرغر بالموت وهو يقول إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثاً^(٢).

٢- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

ولد سنة (٢٥ هـ)^(٣)، مهّد له أبوه معاوية الطريق للملك وجعله ولياً للعهد مستخدماً كل الوسائل، فقد استشار زياد بن أبيه في ولاية عهد يزيد فكره ذلك لما يعلم من لعب يزيد وأقباله على اللعب والصيد^(٤). وقدم معاوية سنة (٥١ هـ) الى مكة طالباً البيعة ليزيد فجمع الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير ولكنهم رفضوا البيعة فقال لهم: «إني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر وأنه قد كان يقوم منكم القائم إليّ فيكذبني على رؤوس الناس فاحتمل له ذلك واصفح عنه، وإني قائم بمقالة إن صدقت فلي صدقي وإن كذبت فعليّ كذبي، وإني أقسم لكم بالله لئن رد عليّ منكم إنسان كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إليّ رأسه فلا يرعين رجل إلا على نفسه». وكان هذا بعد أن عرض عليه ابن الزبير أن يتّبع طريقة عمر في تعيين الخليفة.

وأثر هذا اللقاء خرج معاوية فخطب الناس مبيّناً أنهم قد بايعوا

(١) الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٤٠٧.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٩١، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٥٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٣١٠.

(٤) البداية والنهاية: ج ٦، ص ٨٦.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٧٣

يزيد^(١)، وكان أشد هؤلاء على معاوية عبد الرحمن بن أبي بكر^(٢).

ولما بلغ خبربيعة يزيد إلى المدينة قال عبد الرحمن بن أبي بكر لمروان: جعلتموها والله هرقلية وكسروية- يعني جعلتم الملك لمن بعده من ولده- وبعث معاوية إلى عبد الرحمن مائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد فردّها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي؟ وخرج إلى مكة فمات بها^(٣).

وبعد موت معاوية كتب يزيد إلى واليه الوليد بن عتبة أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير قائلاً: فخذهما بالبيعة فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث لي برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة فمن أمتنع فانفذ فيه الحكم^(٤).

وقد عرف يزيد بشرب الخمر وإتيان بعض الفواحش وكان فاسقاً^(٥)، وهو اللاعب بالشطرنج والنرد والمتصيد بالفهود^(٦)، وكان سعيد بن المسيب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم: في السنة الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله، والثانية استباح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة^(٧).

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) البداية والنهاية: ج ٦، ص ٨٦.

(٣) نفس المصدر: ج ٦، ص ٩٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١.

(٥) البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٦) فوات الوفيات: ج ٢، ص ٣٢٨.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٤.

يقول ابن كثير: وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيع المدينة ثلاثة أيام وهذا خطأ كبير فاحش مع ما انضم الى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد، وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة المنورة ما لا يعد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ودوام أيامه من غير منازع فعاقبه الله بنقيض قصده وحال بينه وبين ما يشتهي، فقصمه الله قاصم الجبابة وأخذه أخذ عزيز مقتدر «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد»^(١).

هلك يزيد في ربيع الآخر سنة (٦٤هـ) فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أو تسعة أشهر^(٢).

٣- معاوية بن يزيد بن معاوية

ولاه أبوه يزيد، فخطب معاوية الناس قائلاً: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإننا بلينا بكم وبلغتم بنا، فما نجعل كراحتكم لنا وطعنكم علينا ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى منه في القرابة برسول الله وأحق في الإسلام، سابق المسلمين وأول المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه ما لا تتكرون، حتى أتته منيته وصار رهنأ بعمله، ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاؤه، فأخلفه

(١) البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٨٤، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٩٤.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٧٥

الأمل وقصر عنه الأجل، فقلّت منعه وانقطعت مدّته وصار في حفرته رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه، ثم بكى وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول وأباح الحرمة وحرّق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم ولا المحتمل تبعاتكم، فشأنكم إمرتكم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها، فقال له مروان بن الحكم: سنّها فينا عمرية، قال: ما كنت أتقلّدكم حيّاً وميتاً، ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر، ومن لي برجل مثل رجال عمر؟^(١)

ولم يدم ملكه طويلاً، فقد كان ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوماً^(٢)، ولم يزل مريضاً حتى مات^(٣)، وقال بعض الناس: دسّ إليه فسقي سمّاً وقال بعضهم: طعن^(٤).

٤- مروان بن الحكم

ولي الملك بعد معاوية بن يزيد، وكان ولد في زمن رسول الله، عن راشد بن سعد: إن مروان بن الحكم لما ولد دفع الى رسول الله ﷺ ليدعو له فأبى أن يفعل، ثم قال: ابن الزرقاء، هلاك عامة أمتي على يديه ويدي ذريته^(٥)، وكان أبوه طريد رسول الله^(٦)، ولم يسمح له الخليفة الأول والثاني

(١) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٨٦، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٤، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٩٦.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٩٦.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٠٩.

(٥) كتاب الفتن للمروزي: ص ٧٢.

بالرجوع من منفاه، وعندما تولّى عثمان الخلافة أعاده وولده مروان^(٢) وجعل الأخير كاتباً له^(٣)، وكان كتاب مروان لأمير مصر بقتل المعترضين على عثمان، وصلب البعض الآخر وقطع أيدي وأرجل بعض^(٤)، السبب في تصاعد الموقف مما أدى الى قتل الخليفة.

وخرج مروان مع جيش طلحة والزبير، وحاول أن يتحىّن الفرص فقتل طلحة بسهم^(٥). والتفت الى أبان بن عثمان وهو الى جنبه، فقال: قد كفيّتك أحد قتلة أهلك^(٦). وقال أيضاً: لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان^(٧). وفي سنة (٤٢ هـ) ولي المدينة لمعاوية^(٨). وبويع في سنة (٦٤ هـ)^(٩)، وكان الاختلاف دب بين أهل الشام بعد موت معاوية بن يزيد، فكان أول من خالف من أمراء الاجناد ودعا الى ابن الزبير النعمان بن بشير بحمص، وزفر بن الحارث بقنّسرين، ثم دعا الضحاك بن قيس بدمشق الناس سرّاً الى

(١) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٣٠، وج ١٥، ص ٢٣٩، أسد الغابة: ج ٢، ص ٣٤، الأعلام للزركلي: ج ٧، ص ٣٥٢ تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ١٦٤، الاستغاثة: ج ١، ص ٥٠، النزاع والتخاصم للمقريزي: ص ٢١، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣٠٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤١٢.

(٤) البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٠٨.

(٥) تاريخ المدينة: ج ٤، ص ١١٧٠، البداية والنهاية: ج ٧، ص ٢٨٧٦، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢.

(٦) تاريخ المدينة: ج ٤، ص ١١٧١.

(٧) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢.

(٨) المنتخب في ذيل المذيل للطبري: ص ١١٨.

(٩) التنبيه والاشراف: ص ٢٦٦.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٧٧

بيعة ابن الزبير، ثم دعا علانية، فأجابه الناس الى ذلك وبايعوه له، ولما رأى مروان ذلك خرج يريد ابن الزبير بمكة ليبيع له، وفي أذرعَات لقيه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق فنهاء، قائلاً له: أنت سيد بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه، فرجع الى الشام، وأخيراً إنتهى الأمر ليكون الخليفة^(١).

مات سنة (٦٥ هـ)، وكانت ولايته تسعة أشهر وأياماً^(٢)، وكان موته على يد زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية، فقد عيرَ خالداً في مجلسه بقوله: اسكت يا بن الرطبة، فقامت أم خالد وجواربها بخنقه^(٣).

٥- عبد الملك بن مروان

ببيع سنة (٦٥ هـ) وبسط نفوذه على البلاد الإسلامية بعد مقتل ابن الزبير سنة (٧٣ هـ)^(٤)، فكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وعدة أشهر^(٥)، ولما سلم عليه بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك^(٦)، وكان له إقدام على سفك الدماء^(٧)، فقد خطب في الحج سنة (٧٥ هـ) قائلاً: إني والله لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف ولست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة المدهن - يعني معاوية - ولا

(١) الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٤٠-٤١.

(٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٦٩.

(٣) فوات الوفيات: ج ٤، ص ١٢٦.

(٤) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٧٧، التنبيه والاشراف: ص ٢٧٠.

(٥) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٣.

(٦) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٧٦-٧٧.

(٧) نفس المصدر: ص ٧٧.

الخليفة المأبون - يعني يزيد بن معاوية-^(١)، وقدم المدينة فصلى صلاة الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أهل المدينة، الحمد لله الذي أذلكم بعد عزكم ووضعكم بعد ارتفاعكم وأنزل بكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، أما والله لو قتلتم في نواحيها لكنتم لذلك أهلاً^(٢).

وفي زمنه صلب الحجاج الثقفي، عبد الله بن الزبير بمكة منكساً^(٣) ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى أحرقه وهدم البيت^(٤) وكان عبد الملك نقل الأزد وربيعه من البصرة الى الموصل^(٥). ومنع الناس حينما كان ابن الزبير يسيطر على مكة من الخروج إليها فضجوا وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا؟ فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد الى السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا به كما يطوفون حول الكعبة وأقام على ذلك أيام بني أمية^(٦).

(١) نفس المصدر: ص ٧٧-٧٨.

(٢) تاريخ المدينة: ج ٣، ص ١٠٨٥.

(٣) المحبر: ص ٤٨١.

(٤) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٦٦.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٧٢.

(٦) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣٠٨.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٧٩

وكان يقول: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه^(١).

يقول صاحب كتاب فوات الوفيات حول مقولته هذه: قيل إن صحّت ... فعبد الملك بن مروان أول من نهى عن المعروف في الإسلام، ويضيف: وهو أول من غدر في الإسلام؛ لأن والده عهد لعمر بن سعيد بن العاص فقتله عبد الملك، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وإن الناس قبله يراجعون الخلفاء ويعترضون عليهم فيما يفعلون، وهو أول خليفة بخُل^(٢)، وقد أوصى ابنه الوليد لما احتضر بإكرام الحجاج الثقفي^(٣)، وقال له: إذا أنا مت خادع الناس إلى بيعتك، فمن أبي فالسيف^(٤). مات سنة (٨٦ هـ)^(٥).

٦- الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان مولده سنة خمسين وكان أبواه يترفانه، فشبّ بلا أدب وكان لا يحسن العربية^(٦) ببيع سنة (٨٦ هـ)^(٧) وكانت أول خطبة له بعد موت أبيه نعى أباه، وقال: أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإنه من أبدى ذات نفسه

(١) فوات الوفيات: ج ٢، ص ٤٠٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٨١، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٥٨.

(٤) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٨٢.

(٥) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٣، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٠، المحبر: ص ٢٥.

(٦) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٨٣.

(٧) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٣، المحبر: ص ٢٥، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٠.

ضربت الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه^(١)، وكان جباراً عنيداً^(٢).
عزل عمر بن عبد العزيز عن ولاية المدينة وذلك لأن الأخير كتب إليه يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جنانية ... وعندما علم الحجاج كتب الى الوليد كتاباً وضّح فيه أن مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلو عن العراق ولجأوا الى المدينة ومكة، وأن ذلك وهن، فكتب الوليد الى الحجاج: أن أشر عليّ برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله، فولّى خالداً مكة وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز وذلك سنة (٩٣ هـ)^(٣) وقيل: سنة (٨٩ هـ)^(٤)، مات سنة (٩٦ هـ) وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أو تسعة أشهر^(٥).

أسود ولاية زملائه:

١- زياد بن أبيه

عينه معاوية والياً على الكوفة والبصرة سنة (٥٠ هـ)^(١)، فكان يولي سمره بن جندب على البصرة حينما يتوجّه الى الكوفة^(٢). وكان زياد يتبع شيعة علي بن أبي طالب فيقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٨٣، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٤، تاريخ ابن خلدون:

ج ٣، ص ٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٤.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٥٦.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٠.

(٥) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٤، المحبر: ص ٢٥.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٧٤.

(٧) نفس المصدر: ص ١٧٦.

منهم الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم^(١)، ومن المناسب أن نشير الى مفردة واحدة من بطشه وتعسفه، لقد طلب الفرزدق فهرب الى المدينة مستجيراً بسعيد بن العاص، يقول الفرزدق: طُلبت أشد طلب حتى جعل من كان يؤويني يخرجني من عنده، فضاقت عليّ الأرض^(٢) مات سنة (٥٣ هـ) ولما بلغ خبر وفاته ابن عمر، قال: إذهب إليك ابن سمية فلا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركت^(٣).

٢- سمرة بن جندب

ولاه زياد البصرة حين شخص من البصرة الى الكوفة، وكان لا يتقي الله في الدماء، فعن محمد بن سليم قال: سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحداً؟

قال: وهل يُحصى من قتل سمرة بن جندب؟! إستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت^(٤). وعن أبي نضرة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال لعشرة من أصحابه: آخركم موتاً في النار، فيهم سمرة بن جندب، قال أبو نضرة: فكان سمرة آخرهم موتاً^(٥). مات سنة (٥٩ هـ)^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٤٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٨٣.

(٣) نفس المصدر: ص ٢١٥.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٧٦، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ١٠.

(٥) البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٥٣.

(٦) نفس المصدر: ص ٢٥٤.

٣- الضحاك بن قيس الفهري

ولاه معاوية الكوفة سنة (٥٥ هـ)^(١)، وكان من قواد عسكر معاوية التي كانت تغير على العراق والمناطق الأخرى فترة خلافة الإمام علي عليه السلام، وقد «أمره معاوية أن يمرّ بأسفل واقصة فيغير على الأعراب ممن كان على طاعة علي وعلى غيرهم ممن كان في طاعته ممن لقيه مجتازاً» فأقبل الى القطقطانة^(٢) وجعل يأخذ أموال الناس من الأعراب وغيرهم ويقتل من ظن أنه على طاعة علي أو كان يهوى هواه حتى بلغ الثعلبية وأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم صار الى القطقطانة منصرفاً، ولقيه بالقطقطانة على طريق الحاج عمرو بن عميس ابن مسعود ابن أخي عبد الله بن مسعود، فقتله - فلما ولاه معاوية الكوفة كان يقول: يا أهل الكوفة، أنا أبو أنيس قاتل ابن عميس، يعلمهم بذلك أنه لا يهاب القتل وسفك الدماء^(٣). عزل عن الكوفة سنة (٥٨ هـ)^(٤).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٢٣.

(٢) القطقطانة: بالضم ثم السكون ثم قاف أخرى مضمومة: موضع قرب الكوفة من جهة

البرية بالطف / معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٧٤.

(٣) انساب الاشراف: ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٣١.

٤- عبيد الله بن زياد

ولّى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان سنة (٥٤ هـ)^(١) ثم البصرة سنة (٥٥ هـ)^(٢) وعيّنه يزيد على الكوفة سنة (٦٠ هـ) بعد أن أشار عليه سرجون بذلك^(٣)، فقام بقتل الإمام الحسين إمتثالاً لأوامر يزيد^(٤). وكان ينكر الحوض في الجنة^(٥)، ويحتقر أصحاب النبي^(٦). قتل سنة (٦٧ هـ) قتله المختار الثقفي^(٧).

٥- الحجاج بن يوسف الثقفي:

وبما أن الحجاج هو الذي ارتكب جريمة قتل سعيد، فنتوسع فيه عنده بما يناسب الموضوع:

الحجاج الثقفي هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف^(٨).

(١) نفس المصدر: ص ٢١٩.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٢٢.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٥٨.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٥٢ وص ٣٠٩ وص ٣٤٨.

(٥) فتح الباري: ج ١١، ص ٤٠٦، المعجم الكبير للطبراني: ج ٥، ص ١٨١.

(٦) مسند أحمد: ج ٤، ص ٤٢١، عون المعبود: ج ١٣، ص ٦٠، صحيح ابن حبان: ج ١٠،

ص ٣٦٩، السنن الكبرى للبيهقي: ج ٨، ص ١٦١.

(٧) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٠، شذرات الذهب: ج ١، ص ٧٤، تاريخ الطبري: ج ٤،

ص ٥٥٢. أنساب الاشراف: ص ٨٣.

(٨) الثقات ج ٢ ص ٣١٧.

ولد سنة ٣٩^(١) أو ٤٠هـ أو ٤١هـ^(٢) استطاع الحجاج أن يتغلغل في أوساط السلطة الحاكمة. وذلك لما كان عليه من البطش، فهو أداة مناسبة يمكن أن تقضي من خلالها على الخصوم وتكّم الافواه، فها هو عاصم بن ابي وائل يقول للحجاج: إني ما علمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك والله لأتعارّ من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتى أصبح، هذا ولست لك عليّ عمل، قال: هيه! كيف قلت؟ فاعدت عليه، فقال: إني والله لا أعلم على وجه الارض خلقاً هو أجرأ على دم مني^(٣).

وقد سخرته السلطة الاموية لتدعيم سلطانها: ففي سنة ٧٢هـ وجهه عبد الملك الى مكة لقتال ابن الزبير^(٤)، وفي سنة ٧٣هـ ولأه مكة والمدينة والطائف^(٥)، وجعله في نفس السنة والسنة التي بعدها على الموسم^(٦)، وعزله عن ولاية الحجاز بعد مقتل ابن الزبير^(٧) بعد أن كان والياً ثلاث سنين^(٨)، ليوليه العراق سنة ٧٥^(٩) فقدمه في رجب^(١٠) ولم تقتصر ولايته على العراق

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٥.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٦.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٦.

(٥) نفس المصدر ص ٢٢٦.

(٦) نفس المصدر ص ٢٣٢.

(٧) تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١١٣.

(٨) نفس المصدر ص ٢٠٠.

(٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٢٦، تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٩٢.

(١٠) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٣٩.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٨٥

بل شملت السند^(١) واصفهان^(٢). استمرت ولايته على العراق عشرين سنة كان منها إحدى عشرة سنة أيام عبد الملك، وتسع سنين فترة الوليد ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر^(٣).

مات الحجاج ليلة ٢٧ من شهر رمضان سنة ٩٥هـ وقيل: ليلة الرابع والعشرين، وقيل: في شوال من نفس السنة، ودفن بواسط^(٤) وهو ابن ثلاث وخمسين سنة^(٥) وعندما بلغ خبر هلاكه الحسن البصري سجد وقال: اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع سنته، وأرحنا من سنته واعماله الخبيثة ودعا عليه^(٦).

قيل للحسن: إن ابن سيرين لا يلعن الحجاج قال: لكنني العنه، لعنه الله كثيراً^(٧).

ولما علم ابراهيم النخعي بالخبر بكى من الفرح^(٨).

(١) نفس المصدر ص ٢٣٠، السند: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان / معجم البلدان ج ٣، ص ٢٦٧.

(٢) طبقات المحدثين باصفهان ج ١ ص ١٥٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٩٢.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٨٥ وص ١٩٧-١٩٨ وص ٢٠٠، الثقات ج ٢ ص ٣١٧.

(٥) الثقات ج ٢ ص ٣١٧، تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٣٩. هذا بناء على أنه ولد سنة ٤١ أو بعدها.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٩٦.

(٧) الثقات ج ٦ ص ٢٤١.

(٨) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٩٧.

هذه نبذة مختصرة عن حياة الحجاج واليك بعض أفعاله وأقواله:

١- موقفه من النبي محمد ﷺ: قال الحجاج في خطبة له: «رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟» ويقصد أن الخليفة الاموي أفضل من الرسول ﷺ وقد دعت هذه الخطبة بزيع - والذي كان قد حضرها - أن لا يصلّي خلفه ويعلن الجهاد ضده فقاتل في الجماجم حتى قتل^(١).

وقال سعيد بن جبير: أليس كافر بالله من زعم أن عبد الملك أكرم على الله من محمد رسول الله^(٢) وخطب الحجاج في الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: إنما يطوفون بأعواد ورمّة بالية هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله^(٣).

ولم يكن هذا الامر خافيا على الامويين، فهم كانوا يعرفون حقيقته، ولكنهم لم يتخذوا منه موقفاً، عن محمد بن ادريس الشافعي قال: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج بن يوسف: ما من أحد الا وهو عارف بعيوب نفسه، فعب نفسك ولا تخبأ منها شيئاً، قال: يا أمير المؤمنين، أنا لجوج حقود حسود. فقال له عبد الملك: إذا بينك وبين ابليس نسب فقال: يا

(١) نفس المصدر ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) انساب الاشراف ج ٧ ص ٣٦٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٢٤٢.

أمير المؤمنين إن الشيطان إذا رآني سالمني^(١).

ولم يكن كل ذلك بهمم عند خلفاء الجور ما زال يوالي بني أمية فقد كتب في وصيته: إنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك عليها يحيى وعليها يموت^(٢) ومن هذه وصيته أيضا يظهر جرأته على الله ونبيه.

٢- الجراءة على الانبياء: عن الصلت بن دينار قال: سمعت الحجاج بن يوسف على منبر واسط تلا هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾^(٣)، قال: والله إن كان سليمان لحسوداً^(٤).

٣- الجراءة على الاسلام وحرماته: عن الازاعي قال: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول: كان الحجاج ينقض عرى الاسلام^(٥)، وعن عاصم بن أبي النجود قال: ما بقيت لله تعالى حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج^(٦)، وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسنته، فانه كان يصلي الصلاة لغير وقتها ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع^(٧).

٤- الجراءة على الصحابة: عن عاصم والأعمش قالا: سمعنا الحجاج بن يوسف على المنبر يقول: عبد هذيل -يعني ابن مسعود- يقرأ القرآن

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٦١.

(٢) نفس المصدر ص ١٥٧.

(٣) سورة ص: ٣٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٦١.

(٥) نفس المصدر ص ١٨٧.

(٦) نفس المصدر ص ١٨٨.

(٧) نفس المصدر ص ١٨٦-١٨٧.

رجزا كرجز الاعراب، ويقول هذا القرآن، أما لو أدركته لضربت عنقه^(١).
وعن اسحاق بن يزيد قال: رأيت أنس بن مالك مختوماً في عنقه
ختمة الحجاج، أراد أن يذّله بذلك. قال محمد بن عمر: وقد فعل ذلك بغير
واحد من اصحاب رسول الله ﷺ يريد أن يذّله بذلك، وقد مضت العزة
لهم بصحبة رسول الله ﷺ^(٢).

وعن الاعمش قال: شكونا الحجاج بن يوسف قال: فكتب أنس الى
عبد الملك: إني خدمت النبي ﷺ تسع سنين، والله لو أن اليهود والنصارى
أدركوا رجلاً خدّم نبيهم لأكرموه^(٣).

وقد نال علي بن أبي طالب أعظم الظلم، فقد وردت نصوص كثيرة
تؤكد ذلك، ونكتفي بهذا الخبر: دعا محمد بن يوسف وهو أمير اليمن
حجر المدري - تابعي يمني - فقال: إن أخي الحجاج بن يوسف كتب
إليّ أن أقيمك للناس فتلعن علي بن أبي طالب، فقال: إجمع لي الناس
فجمعهم، فقال: الا إن الأمير محمد بن يوسف أمرني بلعن علي بن أبي
طالب فالعنوه، لعنه الله^(٤).

٥- زج الناس في السجون: عن عباد بن كثير عن قحذم قال: اطلق
سليمان بن عبد الملك في غداة إحدى وثمانين ألف أسير... وعرضت
السجون بعد الحجاج فوجد فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب على أحد منهم

(١) نفس المصدر ص ١٦٠.

(٢) نفس المصدر ص ١٧٠ - ١٧١.

(٣) نفس المصدر ص ٣٧٢.

(٤) معرفة الثقات ج ١ ص ١٣٣ وص ٢٨٨.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٨٩
قطع ولا صلب^(١).

وقال الهيثم بن عدي: مات الحجاج وفي سجنه ثمانون ألف أسير،
منهم ثلاثون ألف امرأة^(٢). وكان حبسه لاشيء فيه يكتنهم فيه من حر ولا برد
ولا برد ويسقون الماء مشوبا بالرماد^(٣).

وعن السري بن يحيى يقال: مر الحجاج في يوم جمعة فسمع استغاثة،
فقال: ما هذا؟ فقليل له: أهل السجون يقولون: قتلنا الحر قال: قولوا لهم:
﴿اَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾^(٤) قال فما عاش بعد ذلك الا أقل من جمعة
حتى مات^(٥) وقد بنى في واسط سجنا عرف بالديماس لظلمته^(٦).

٦- إراقة الدماء وزهق الأنفس: لقد افتتح الحجاج ولايته على
العراق بخطبة قال فيها: إني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، كأني
أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى^(٧).
وكتب عبد الملك الى الحجاج: أما بعد، فقد بلغني سرفك في
الدماء وتبذيرك الأموال^(٨).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٨٤.

(٢) نفس المصدر ص ١٨٥.

(٣) التتبيه والاشراف ص ١٧٥.

(٤) سورة المؤمنون: ١٠٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٩٢.

(٦) تاج العروس: ج ٨ ص ٢٩٢.

(٧) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢، ص ١٢٧ وص ١٣٠ وص ١٣٤. تاريخ الطبري: ج ٥،

ص ٤١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥، ص ٣٢١، كتاب الفتوح لابن اعثم: ج ٧، ص ٨

(٨) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢، ص ١٥٥.

١٩٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

وعن هشام بن حسان قال: أحصوا ما قتل الحجاج صبراً مائة ألف وعشرين ألفاً^(١) سوى من قتل في زحوفه وحروبه، وتوفي في محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة^(٢).

وممن قتله الحجاج:

أ- كميل بن زياد: الذي روى عن عثمان وعلي وعبد الله، وشهد مع علي صفين وكان شريفاً مطاعاً في قومه، فلما قدم الحجاج الكوفة دعا به فقتله^(٣).

ب - محمد بن سعد بن أبي وقاص^(٤).

ج - عبد الله بن شداد: وكان ثقة كثير الحديث متشيعاً^(٥).

د- عبد الله بن الزبير: قتله الحجاج في المسجد الحرام سنة ٧٢ هـ ثم صلبه في ولاية عبد الملك بن مروان^(٦).

هـ - حوط الكوفي: عذبه الحجاج بأنواع العذاب حتى مات، وعرض عليه الماء عند الموت فأبى، وقال: لا أشرب إلا من ماء الحياة إن شاء الله (عز وجل)^(٧).

(١) نفس المصدر ص ١٨٤.

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٧٩.

(٤) نفس المصدر ج ٥ ص ١٦٧.

(٥) نفس المصدر ج ٦ ص ١٢٦.

(٦) مشاهير علماء الأمصار ص ٥٥، الثقات ج ٣ ص ٢١٢.

(٧) الثقات ج ٦ ص ٢٤١.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٩١

ز- فضيل بن بزوان: مولى بني عامر بن صعصعة، أحد الزهاد^(١).

ح- عبد الله بن المنذر بن الجارود^(٢).

ط- سعيد بن جبير بن هشام الوالبي: وكان آخر من قتله الحجاج.

٧- سوء السياسة المالية والتلاعب بالاموال:

كان في بيت المال مائة الف الف وبضعة عشر ألف ألف درهم، فتولى الحجاج العراق وخارجها مائة ألف ألف درهم، فلم يزل بتعنته وسوء سياسته حتى صار خارجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم^(٣).

كل هذا وغيره كان فعال الحجاج، والذي يمكن أن يتلخص بكلمة لا زالت ترنّ في الأذهان مهما تصرّمت الايام، قالها عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان ليصلح لدنيا ولا لآخرة^(٤).

٦- هشام بن اسماعيل المخزومي

ولاه عبد الملك على المدينة سنة (٨٣ هـ)^(٥) ولم يسلم من أذاه وظلمه حتى الإمام علي بن الحسين السجاد وأهل بيته، فقد كان يخطب بذلك على المنبر وينال من علي عليه السلام^(٦)، كما ضرب سعيد بن المسيب أحد الفقهاء

(١) اكمال الكمال ج ١ ص ٢٦١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٢٦٥.

(٣) التنبيه والاشراف ص ٢٧٤.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ١٨٥.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ١٥٢، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٨.

(٦) الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٢٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٦، ص ٢١٥.

الكبار ستين سوطاً حين دعاه الى البيعة للوليد^(١)، وعندما علم عبد الملك بذلك، قال: بش ما صنع هشام، مثل سعيد لا يضرب بالسياط، كان ينبغي أن يضرب عنقه أو يدعه^(٢)، وهذه من عجائب قوانين أمراء بني أمية.

ومضت الأيام، وعندما اعتلى الوليد سدة الحكم قام بعزله وذلك سنة (٨٧ هـ)^(٣)، وأمر به أن يوقف للناس، فكان يقول: لا والله ما كان أحد من الناس أهم إلي من علي بن الحسين، كنت أقول رجل صالح يسمع قوله، فجمع علي بن الحسين ولده وحامته ونهاهم عن التعرض له وغدا ماراً لحاجة فلما عرض له ناداه هشام: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^{(٤)(٥)}، وفي بعض الأخبار: مرّ به علي بن الحسين فأرسل إليه إستعن بنا على من شئت، فقال هشام: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٦).

خالد بن عبد الله القسري

ولد من أم نصرانية، وقد بنى لها بيعة في الشام سميت بيعة خالد^(٧) وجده أسد بن كرز، وعقبه شرّ عقب، ولم يكن أضّر على الإسلام منه، قاتل علياً في صفين، ولعنه على المنابر عدة سنين^(٨).

(١) نفس المصدر: ص ١٢٦.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٢٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٦.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٢٢.

(٦) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٩٤.

(٧) معجم البلدان: ج ١، ص ٥٣٢، بلاغات النساء: ص ١٦٠.

(٨) معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٤٦، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٥٦.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٩٣

ولاه الوليد بن عبد الملك مكة بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز، وكان قد اقترحه الحجاج بن يوسف، وذلك سنة (٨٩ هـ) وقيل (٩٣ هـ)^(١)، وقد عرف عنه الإساءة الى النبي والمقدسات، فكان يسمي زمزم: أم الجعلان^(٢)، وعن نافع مولى بني مخزوم قال: سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس: أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استقاه فسقاه ملحاً أجاجاً، واستسقى الخليفة فسقاه عذباً فراتاً - يعني البشر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم الى جنب زمزم، ليعرف فضله على زمزم، قال: ثم غارت تلك البشر، فذهب ماؤها، فلا يدرى أين هو الى اليوم^(٣).

وقد كتب إليه الوليد باخراج من بالحجاز من أهل العراقين وحملهم الى الحجاج بن يوسف، وكان هذا القرار الجائر شمل سعيد بن جبير كما سوف يأتي، وفي زمن هشام بن عبد الملك ولاه العراق وذلك سنة (١٠٥ هـ)^(٤)، وعزله الوليد بن يزيد وقتله يوسف بن عمر بأمر الوليد^(٥).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٤، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٠، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٠٥.

(٢) تاريخ بغداد: ج ٧، ص ١٦، نشوار المحاضرة: ج ٦، ص ٣٦، الاغانى: ج ٣، ص ٥٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٢٥، البداية والنهاية: ج ٩، ص ٩٢، والعجيب من ابن كثير أنه ينقل هذا الكلام ويقول: وهذا الكلام يتضمن كفراً إن صح عن قائله، وعندى أن خالد بن عبد الله لا يصح منه هذا الكلام، وإن صح فهو عذو.

(٤) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٣١٦، البداية والنهاية: ج ٩، ص ٢٦١.

(٥) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٣٣١، البداية والنهاية: ج ١٠، ص ٩.

عثمان بن حيان

ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة باقتراح الحجاج الثقفي، فلم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد.

وخطب فقال: والله ما جرّبت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول وما هم لهم بشيعة، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم، ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم، فإنني والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم أو إكراه منزلاً ولا أنزله إلا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله، والله إنني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم^(١).

عن سعيد بن عمرو الأنصاري، قال: رأيت منادي عثمان بن حيان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد برئت ذمة الله ممن آوى عراقياً^(٢).

وعن عبد الحكم بن عبد الله بن أبي فروة قال: إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لإخراج من بها من العراقيين وتفريق أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم، فلم يبعثه والياً، فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه، فلما فعل في أهل العراق ما فعل، وفي منحور وغيره، أثبتته على المدينة فكان يصعد المنبر^(٣)، وعندما عزله سليمان بن عبد الملك وقلد أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فضرب عثمان بن حيان حدّين: أحدهما في شرب

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٥٩.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٦٠.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ١٩٥

الخمير، والآخر في قرفة على عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان^(١).

الثورات:

إذا كانت المنطقة قد شهدت أحداثاً فقد كان إلى جنبها ثورات هزت عروش الحكام وقد امتدت بامتداد المنطقة ورغم انها تختلف باختلاف الأهداف إلا أن لها انعكاساتها في الواقع الخارجي وهذه بعض الثورات:

- ١- ثورة حجر بن عدي في الكوفة.
 - ٢- ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.
 - ٣- ثورة المدينة المنورة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة.
 - ٤- ثورة التوابين في عين الورد.
 - ٥- ثورة عبد الله بن الزبير في مكة.
 - ٦- ثورة المختار بن عبيدة الثقفي في الكوفة.
 - ٧- ثورات الخوارج في مناطق عديدة من العالم الإسلامي.
 - ٨- ثورة دير الجماجم، وقد شارك فيها سعيد بن جبير.
- وثورات أخرى.

سعيد بن جبير والوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي

كان سعيد بن جبير فرداً من أفراد المجتمع، والمجتمع مجموعة من البشر تحكمهم عادات وتقاليد ونظم، وينبع من ذلك وجود سلطة وقوانين. وإذا كانت السلطة تعبر عن متطلبات المجتمع فإنها سوف تساعد

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٩٤.

على نمو الفرد وازدهار المجتمع، وربما كانت انعكاساً لواقع المجتمع السوء، وقد قيل: كيفما تكونوا يولّى عليكم، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)^(١) وأما إذا هيمن البطش والقتل فمن الصعب أن تتوفر الأرضية المناسبة لبروز النخب والنشاط.

وهذا ما نلمسه بوضوح من خلال مسلسل الاحداث في بلاد المسلمين المختلفة في القرن الأول الهجري، وخاصة الكوفة موطن سعيد فهي أكثر تعقيداً ومعاناة نتيجة لتركيبية اجتماعية غير منسجمة تجعلها عرضة للتشتت والتفرق وهو ما يبرز في بيعة أهلها للإمام الحسين عليه السلام ثم التراجع من قبل الغالبية العظمى.

إن الكوفة لم تكن متجانسة دينياً أو مذهبياً أو سياسياً أو قومياً، وإنما هي متلوّنة في تركيبها وأمية في نسيجها الاجتماعي، فمن الناحية الدينية نلاحظ:

١- اليهود: حيث أجلاهم الخليفة الثاني من المدينة والحجاز فاستقروا في الكوفة^(٢).

٢- النصارى: وهم نصارى نجران أو ما يعرفون بالنجرانية، وقد أدّت كثرتهم في الكوفة إلى أن تسمّى إحدى أحيائها باسمهم^(٣)، واستطاعوا النفوذ في المجالات المختلفة، وكانوا على طائفتين: النساطرة واليعاقبة^(٤).

٣- الصابئة.

(١) الرعد/١١.

(٢) مبعوث الحسين: ص ٥٨. حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٣) فتوح البلدان: ج ١، ص ٧٨.

(٤) مبعوث الحسين: ص ٥٨. حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٤٣.

٤- المجوس^(١).

هذا بالإضافة إلى الغالبية العظمى من المسلمين.

وأما من الناحية المذهبية ففي الكوفة:

١- الخوارج^(٢): وهم من أهلها ومن جيش الإمام علي عليه السلام ولكنهم

تمردوا في قضية التحكيم، وكان لهم دور في افساد جيش الإمام الحسن عليه السلام^(٣).

٢- العثمانية^(٤): وهم الخط الأموي الذي اتخذ من قتل عثمان قميصاً

للوصول إلى أهدافه، ويمثلهم وجهاء الكوفة كقيس بن الأشعث ويزيد بن الحرث وشيث بن ربعي^(٥).

٣- النواصب: وهم الذين كانوا يحملون راية العداء لأهل بيت

النبي عليه السلام.

٤- الجبرية.

٥- القدرية.

٦- المرجئة.

٧- المفوضة^(٦).

٨- الشيعة: وكانوا فئة نادرة، التحق بعضهم بالإمام الحسين عليه السلام

(١) مبعوث الحسين: ص ٥٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩١.

(٣) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٤٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٧.

(٥) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٤١.

(٦) مبعوث الحسين: ص ٦٠.

واستشهدوا معه، وزج الكثير منهم في السجون، وأما من يسمون شيعة فقد كان تشيعهم عاطفياً لا عقائدياً^(١).

ومن الناحية القومية يتكوّن المجتمع الكوفي من:

١- الاتراك.

٢- الاكراد^(٢).

٣- الفرس: وكانوا يسمون بالحمراء، وقد عرف منهم في التاريخ «حمراء ديلم»، وهم مجموعة من جند الجيش الفارسي يبلغ عددهم أربعة الاف انضموا إلى الجيش الفاتح بعد مقتل رستم قائداهم ونزلوا الكوفة، وكان الفرس في الكوفة يشكلون أكثر من نصف سكانها^(٣).

٤- الانباط^(٤).

٥- الروم: وهم النسبة الكبيرة الثانية بعد الفرس^(٥).

٦- السريانيون: وقد جاؤا من نصيبين وجندي سابور وحران، قدموا الكوفة قبل الفتح الإسلامي للعراق^(٦).

٧- الاشوريون.

٨- الأرمن^(٧).

(١) نفس المصدر: ص ٤٤٢.

(٢) مبعوث الحسين: ص ٦١.

(٣) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٣٧. مبعوث الحسين: ص ٦١.

(٤) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٣٨.

(٥) مبعوث الحسين: ص ٦١.

(٦) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٣٩. مبعوث الحسين: ص ٦١.

(٧) مبعوث الحسين: ص ٦١.

٩- العرب: وهم الأغلبية وكانوا يتكوّنون من مجموعة قبائل.

ومن الناحية القبلية فقد كانت القبائل العربية التالية:

١- القبائل اليمنية: حيث بلغ عدد افرادها في الكوفة ١٣ ألفاً، وقد نزلوا في الجانب الشرقي من المسجد، وأهم بطونها مذحج وهمدان وكندة^(١)، وهؤلاء يمثلون الخط المعارض للسلطة عادة^(٢).

٢- القبائل العدنانية: وعددها ثمانية الاف شخص^(٣).

٣- قبائل بني بكر.

هذا بالإضافة إلى قبائل أخرى^(٤)، وتعتبر قبيلة كنانة وحلفائها من الاحابيش وغيرهم من انصار السلطة^(٥).

وقد سادت الروح القبلية في ذلك المجتمع بحيث كان لكل قبيلة حي خاص بها، ولها مسجدها ومقبرتها وأطلقت على الشوارع والسكك اسمائها، وكان هذا النهج القبلي ساعد زياد بن أبيه على القاء القبض على حجر وإخماد ثورته، فضرب الأسر بعضها ببعض كما استغل هذه الظاهرة عبيد الله بن زياد في إنهاء حركة مسلم^(٦).
ومن الناحية الطبقية فهناك عدة طبقات:

(١) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٣٣.

(٢) مبعوث الحسين: ص ٦١.

(٣) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٣٤.

(٤) نفس المصدر.

(٥) مبعوث الحسين: ص ٦١.

(٦) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤٣٥-٤٣٦.

- ١- طبقة الاشراف والوجهاء.
 - ٢- طبقة الموظفين التابعين للسلطة.
 - ٣- طبقة الكادحين.
 - ٤- طبقة العبيد والموالي.
 - ٥- المرتزقة: وهم الجند الذين تصرف لهم العطاءات من بيت المال. وغيرها من الطبقات^(١).
- إن هذا الواقع لا يخلو من مشاكل، وإذا أضيف إليه الظلم سوف لن يكون العيش متصوراً في الكوفة، ومن هنا «عانى الكوفيون من الظلم ما لم يعاناه غيرهم، فقد أخذت السلطة تحاسبهم حساباً عسيراً على وقوفهم مع الإمام في أيام صفين، وعهدت في شؤونهم إلى الجلادين أمثال المغيرة بن شعبة وزيايد بن ابيه، فصبوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم»^(٢).
- في هذا الواقع ولد وترعرع وعاش سعيد بن جبير، ولم يغادره إلا إلى مكة أو إلى بلاد المهجر، ولم يكن فيهما أحسن حالاً مما كان عليه في الكوفة، فلقد عمّ الظلم، لا سيما بالنسبة لمن يرتبطون بأهل البيت في جميع البلاد الإسلامية.
- هذا هو الوضع الاجتماعي والسياسي، وقد انعكس بوضوح على خطوات سعيد المصيرية التي اتخذها ليقف ثائراً بوجه السلطة وتحمل أشكال الأذى والغربة والاختفاء، الأمر الذي سنقف عنده في الفصول المقبلة إن شاء الله. وأما الوضع الثقافي فقاتم إلى الغاية. ومن الأفضل أن

(١) مبعوث الحسين: ص ٦٢-٦٣.

(٢) حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ١١٨.

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير ٢٠١

نلخص هذا الوضع بكلام للإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: «وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة». «وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعة في كل بلدة، وقطعت الأيدي والرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتل، وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له: شيعة علي»^(١). وإذا نظرنا إلى حياة سعيد الثقافية والعلمية لوجدنا أن أخصب مرحلة من مراحل عمره قضاها في المطاردة وربما كتب وآلف ولكن التنقل عرّضها للتلف، هذا بالإضافة إلى ما حدث من تشويه لأرائه وفتاواه. لقد بدأ بالهجرة وهو في سن الخامسة والاربعين، أو الخامسة والثلاثين وهذا يعني أنه كان في فترة العطاء.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٤٣.

الفصل الثاني

البعد الجهادي

في حياة سعيد بن جبير

البعد الجهادي

كان سعيد بن جبير من المجاهدين المخلصين وله مواقف مشهودة ضد الظلم الأموي وهذا ما يظهر من سبر تاريخه في حوادث عمره والتي منها:

جيش الطواويس

وجّه الحجاج سنة (٨٠ هـ)^(١)، وقيل (٨١ هـ)^(٢)، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى سجستان^(٣) لحرب رتبيل صاحب الترك^(٤) ملك زابلستان^(٥) وكان الأخير قتل الجيش الأموي الذي كان يقوده عبيد الله بن بكرة^(٦)، وقيل ولأه الحجاج على سجستان بعد موت أميرها عبيد الله بن بكرة^(٧).

وكان قوام الجيش الذي قاده عبد الرحمن عشرين ألف رجل من

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٠، شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٧

(٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٧١.

(٣) سجستان بكسر أوله وثانيه: ناحية كبيرة وولاية واسعة في أطراف خراسان/ معجم البلدان: ج ٣، ص ١٨٩-١٩٠.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٠.

(٥) التنبيه والاشراف: ص ٢٧١.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٠.

(٧) الأنساب للسمعاني: ج ٤، ص ٥٤٢، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٢، الامامة والسياسة:

ج ٢، ص ٤٥.

أهل الكوفة وعشرين ألف رجل من أهل البصرة^(١)، وقيل كان عددهم عشرة آلاف منتخب^(٢) وقد عرف بجيش الطواويس^(٣)، وذلك لتكامل أهبتهم وعدتهم ونبلمهم وشجاعتهم^(٤). وجدّ الحجاج في إعداد ذلك الجيش وشمر وأعطى الناس عطياتهم كملاً وأخذهم بالخيول الروائع والسلاح الكامل^(٥).

لماذا عبد الرحمن بن محمد؟

لقد اختار الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قائداً للجيش رغم أن أحدهما كان يبغيض الآخر^(٦)، فلماذا هذا الاختيار؟ لنقرأ ما كتبه ابن قتيبة المعروف بميله للحجاج: ذكروا أن الحجاج لما قدم العراق أميراً، زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد بن الأشعث بن قيس الكندي رغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها، وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها إلى مصافاته، ليكونوا له يداً على من ناواه، وكان لها أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، له أبهة في نفسه وكان جميلاً بهياً منطقاً مع ما كان له من التقدم والشرف، فأزدهاه ذلك وملاه كبراً وفخراً وتطاولاً، فالزمه نفسه وألحقه بأفاضال أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة، صلة لصهره، وحباً لاتمام الصنيعة

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) التنبيه والاشراف: ص ٢٧١.

(٤) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٠٩.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٠-١٤١.

(٦) نفس المصدر: ص ١٤٠.

إليه وإلى جميع أهله، فاقام عبد الرحمن كذلك حيناً مع الحجاج، لا يزيده الحجاج إلا إكراماً، ولا يظهر له إلا قبولاً، وفي نفس الحجاج من عجبه ما فيها، لتشمخه زاهياً بأنفه حتى إنه كان ليقول إذا رآه مقبلاً: أما والله يا عبد الرحمن، إنك لتقبل عليّ بوجه فاجر، وتدبر عني بقفاء غادر، وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك. فمكث بهذا القول منه دهرأ، حتى إذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن، أراد أن يبتلي حقيقة ما يتفرّس فيه من الغدر والفجور، وأن يبدي منه ما يكتّم من غائلته، فكتب إليه عهده على سجستان، فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن.

فزعوا من ذلك فزعاً شديداً، فأتوا الحجاج، فقالوا له: أصلح الله الأمير، أنا أعلم به منك، فإنك به غير عالم، ولقد أدبته بكل أدب، فأبى أن ينتهي عن عجبه بنفسه، ونحن نتخوف أن يفتق فتقاً، أو يحدث حدثاً، يصيبنا فيه ما يسؤونا. فقال الحجاج: القول كما قلتم، والرأي كالذي رأيتم، ولقد استعملته على بصيرة، فإن يستقيم فلنفسه نظر، وإن يفترج سبيله عن بصائر الحق يهد إليها إن شاء الله^(١).

إن ما يستوقفنا في هذا النص أمور:

(١) ان الحجاج زوج ولده محمداً ميمونة بنت محمد بن الاشعث أخت عبد الرحمن.

(٢) كانت اسباب الزواج شرف البنت وجمالها وفضلها واستمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاة الحجاج ليكونوا له يداً على من ناواه.

(١) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٥. والملاحظ أن ضمائر المفرد الموجودة مثل أدبته لا تناسب والنص إلا إذا كان المتكلم أحد أفراد الأسرة، وأن قول: «نحن نتخوف» كلام آخر، أو أنه نفس كلام المتكلم الأول، ولكنه أراد التعبير عن رأي الجميع.

(٣) كان أخوها عبد الرحمن يمتلك صفات التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملاه كبيراً وفخراً وتطاولاً.

(٤) حاول الحجاج استمالته فالحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره، وأجرى عليه العطايا الواسعة.

(٥) كان ذلك الإكرام صلة لصهره وحياً لإتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله.

(٦) كان في نفس الحجاج من عجبه ما فيها ويرى فيه الفجور والغدر.

(٧) أراد الحجاج أن يبتلي حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدي ما يكتُم من غائلته.

(٨) كتب إليه عهده على سجستان. وإذا قرأنا النص بتأمل أمكننا أن نستنتج ما يلي:

١- إن عبد الرحمن كان ينتمي لأسرة يسعى الحجاج لتكون عوناً له أو للحيلولة دون أن تكون في الجبهة المقابلة.

٢- كان عبد الرحمن لا يرضخ للحجاج رغم سطوته فعمل على استمالته بالمال فلم يفلح.

٣- كتب إليه عهده على سجستان، وهذا يعني أن عملية تأميره رغم علم الحجاج به لم تكن لإبتلاء حقيقته بل للتخلص منه فسجستان محرقة ستأكل ابن الأشعث وأهل العراق، الأمر الذي أدركه مطرف بن عامر بن وائلة الكناني وكان شاعراً وخطيباً فقد خطب في المقاتلين معه عندما فكروا بخلع الحجاج وهم في سجستان قائلاً: إن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القاتل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس فان هلك هلك، وإن نجا فلك. إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً

كثيرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء، الذي لا يبالي عنتهم ولا يبقى عليهم^(١). كما أريد لسجستان أن تكون منفى لعبد الرحمن وجيشه، وهذا ما أكدّه عبد المؤمن بن شيث بن ربيعي التميمي أحد أفراد هذا الجيش، حيث قال: عباد الله إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمّركم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمّر البعوث ولن تعاينوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثرهم^(٢).

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والحجاج عداوة متبادلة

لقد اختار الحجاج ابن الأشعث لهذه المهمة ولم يكن بالعراق رجل أبغض إليه منه، وكان يقول ما رأيته قط إلا أردت قتله. وفي المقابل كان عبد الرحمن يبغض الحجاج ويقول: وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فاجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء^(٣)، فكان مصراً لخلعان طاعة الحجاج^(٤).

نحو سجستان:

سار عبد الرحمن بجيشه الى سجستان، فجمع أهلها حين قدمها وصعد المنبر وحض الناس على القتال وعندما علم رتبيل بذلك كتب الى عبد الرحمن معتذراً مما أصاب المسلمين، وأعلمه أنه كان كارهاً وأنهم ألجأوه

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) نفس المصدر: ص ١٤٧.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٠.

(٤) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٥.

الى قتالهم وسأله الصلح، وعرض عليه أن يقبل منه الخراج إلا أن عبد الرحمن رفض الطلب وسار فدخل أول بلاد رتبيل، وأخذ الأخير يضم اليه جنوده ويدع له الأرض رستاقاً رستاقاً وكان عبد الرحمن يتقدم ويسيطر على هذه الأماكن ويغنم الغنائم العظيمة، واكتفى بهذا المقدار مصمماً على الاستمرار في العام القادم^(١).

وكتب الى الحجاج كتاباً وضح فيه ما جرى والرأي الذي ارتأه وبعد فترة جاء رد الحجاج حيث أشار الى أن ما رآه عبد الرحمن كان عن ضعف والنيث، وأمره بالوغل في أرضهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم، وأردف ذلك بكتاب ثانٍ وثالث مهدداً بعزله وتأمير إسحاق بن محمد أخيه على الناس إن لم يمثل الأمر^(٢).

لا للحجاج:

جمع عبد الرحمن جيشه وأعلمهم بما تضمنته كتب الحجاج وقال: إنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيت وأبى إذا أبيتم، فثار اليه الناس فقالوا: لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع، وقام مطرف بن عامر بن وائلة الكناني وكان شاعراً خطيباً فطالبهم بخلع الحجاج ومبايعة عبد الرحمن، وأشدهم أنه أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله ووثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصر لي وجهاده معي حتى ينفية الله من أرض العراق فبايعه الناس^(٣).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤١-١٤٢، التنبيه والاشراف: ص ٢٧١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٦، التنبيه والاشراف: ص ٢٧١.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٦-١٤٧.

لقد كان هذا المشهد بداية لمشاهد أخرى وحروب، فخلع الحجاج كان نقطة الانطلاق، وكان السبب في كل ذلك أنهم شعروا بخطر يحدق بهم، فالحجاج قد ألقى بهم في لهوات الحروب دون أن يكثر بموتهم، فهم الخاسرون وإذا كان هناك نصر فهو للحجاج وحسب^(١)، كما كانوا يبغضون الحجاج ويخافون سطوته^(٢).

ولم يكن هؤلاء في الوهلة الأولى يطالبون بخلع الحجاج^(٣) وكان خلع الحجاج سنة (٨٠ هـ أو ٨١)^(٤).

كتاب ابن الأشعث للحجاج

أعلن ابن الأشعث خلع الحجاج وكتب إليه كتاباً كتبه أيوب بن القرية^(٥)، وقيل أُملى عليه ابن القرية فكتب^(٦):

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، الى الحجاج بن يوسف: سلام على أهل طاعة الله، وأوليائه الذين يحكمون بعدله، ويوفون بعهده، ويجاهدون في سبيله، ويتورعون لذكره، لا يسفكون دمأ حراماً، ولا يعطلون للرب أحكاماً، ولا يدرسون له أعلاماً، ولا يتكّبون النهج، ولا يرمون السي، ولا يسارعون في الغي، ولا يدللون الفجرة، ولا يترضون

(١) نفس المصدر: ص ١٤٦.

(٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٧١.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٦.

(٤) شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٧ تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٥.

(٥) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٦.

(٦) الأخبار الطوال: ص ٣١٨.

الجورة، بل يتمكنون عند الاشتباه، ويتراجعون عند الإساءة.
أما بعد: فإني أحمد إليك الله حمداً بالغاً في رضاه، منتهاً إلى الحق في
الأمر الحقيقية لله علينا.

وبعد، فإن الله أنهضني لمصاولتك، وبعثني لمناضلتك، حين تحيرت
أمورك، وتهتكت ستورك، فأصبحت عريان حيران، مبهتاً لا توافق وفقاً، ولا
ترافق رفقا، ولا تلازم صدقا، أو مل من الله الذي ألهمني ذلك، أن يصيرك
في حبالك، أو أن يجي بك في القرن، ويسحبك للذقن وينصف منك من لم
تنصفه من نفسك، ويكون هلاكك بيدي من أتهمته وعاديته. فلعمري لقد
طال ما تطاولت، وتمكنت وأخطيت، وخلت أن لن تبور، وأنت في فلك
الملك تدور، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب فسر لأمرك، ولاق
عصاة خلعتك من حبالها خلعتها نعالها، وتدرعت جلالها، تجرها مطالها، لا
يحدرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيداً، يتأملون خزائتك، ويتجرعون
إمارتك، عطاشا إلى دمك، يستطعمون الله لحملك، وأيم الله ليناقدنك منهم
الأبطال، الذين يبتهم فيما يحاولونك به على طاعة الله، شروا أنفسهم تقرباً
إلى الله، فأغض عن ذلك يأبن أم الحجاج. فسنحمل عليك إن شاء الله، ولا
حول ولا قوة إلا بالله، والسلام على أهل طاعة الله^(١).

سعيد بن جبیر في جيش الطواويس

لم يكن سعيد بن جبیر جندياً عادياً في جيش الطواويس بل تحمّل
مسؤولية مالية وهي عطاء الجند^(٢)، فعن محمد بن الزبير الحنظلي أن

(١) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٦، الأخبار الطوال: ص ٣١٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠.

الحجاج وجه سعيد في جيش الطواويس وأعطاه ألفي ألفي درهم وولاه نفقات الجيش وقال له: إذا رأيت خلافاً فسدّه، ومن كان من ضعيف فاحمله ومن جريح فأنفق عليه، وولاه أمر الغنائم إذا غنم الجيش^(١).

حركة ابن الأشعث وسعيد بن جبير

سؤال يطرح نفسه متى التحق سعيد بن جبير بحركة ابن الأشعث؟ لقد كان جيش ابن الأشعث عراقياً فوقف الى جانبه في إعلان التمرد على الحجاج الذي يحكم العراق وأذاق أهله الويل والثبور، فهل كانت العلاقات التي تربط سعيد ببعض هؤلاء دفعته للألتحاق أو أنه كان جزء من الجيش شأنه شأن الكثير من أهل الكوفة الذين صدرت أوامر الحجاج لهم بالانضمام الى جيش ابن الأشعث؟.

ذكر الطبري أن الحجاج جعل سعيد بن جبير على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه^(٢).

ويعني هذا النص، أن سعيد بن جبير كان في صميم الأحداث منذ البداية، فقد تحمّل مسؤولية توزيع رواتب المقاتلين الذين توجهوا الى سجستان، وكان الى جنبهم، وربما كان يتحين الفرص للقيام ضد الحجاج؛ وذلك لأنه يعتقد كفره^(٣).

(١) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٧، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٣، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٤.

وما إن تأت الظروف المناسبة حتى كان من الشائرين رافضاً ولاية
الحجاج وقد خلع الحجاج وهو في سجستان^(١).

وفي المقابل نقل ابن قتيبة قائلاً: ذكروا أن عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة
بن الحارث بن نوفل، وبنو عون بن عبد الله، وعمر بن موسى بن معمر بن
عثمان بن عمرة، وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، فقال لهم: ما ترون؟
فقالوا: نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله، فإن خلعه من أفضل أعمال
البر، فخلعه وأظهر خلعه، فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير، فقالوا
له: إنا حبسنا أنفسنا عليك، فما الرأي؟

قال: الرأي أن تكفّوا عما تريدون فإن الخلع فيه الفتنة، والفتنة فيها
سفك الدماء، واستباحة الحرم، وذهاب الدين والدنيا، فقالوا: إنه الحجاج
وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى سار معهم وهو كاره، قال:
وانتهى الخبر إلى الحجاج فقليل له: إن عبد الرحمن قد خلعتك ومن معه
فقال: إن معه سعيد بن جبير، وأنا أعلم أن سعيداً لا يخرج وإن أرادوا ذلك
فسيكفيهم عنه، فقليل له: إنه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه، وسار
معه^(٢)، ويذكر أيضاً أن سعيداً كان حامل كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث
فلما وصل إلى الأخير ضمه فلم يظهره للناس وكنم الكتاب وجعل يستخلي
بابن جبير في الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٧.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤١.

هو من خلع الحجاج، فأبى سعيد ذلك عليه.
فمكث بذلك شهراً كاملاً فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه
في رغبته^(١).

إن ما يفهم من هذا النص أمور:

(١) إن سعيد بن جبير لم يكن معهم فقدم عليهم وكان يحمل كتاب
الحجاج.

(٢) إن هؤلاء عرضوا عليه خلع الحجاج وكانوا يهتمون بوجهة نظره
كثيراً، «إنا قد حبسنا أنفسنا عليك فما، الرأي؟». أو أن ابن
الأشعث عرض عليه الدخول معه.

(٣) رفض سعيد هذا المقترح متذرعاً بأن في الخلع فتنة والفتنة فيها
سفك الدماء، واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا.

(٤) حاولوا اقناعه بذكر أفعال الحجاج.

(٥) قَبِلَ رأيهم مكرهاً.

ولكن ما ذكره ابن قتيبة ليس بصحيح، وذلك للأمور التالية:

(١) إن سعيد بن جبير كان يرى كفر الحجاج، ويعتقد بمشروعية
قتاله، فعن الزبير، قال الأسدي: قال: سألت سعيد بن جبير في
الجماجم، فقلت له: إني مملوك ومولاي مع الحجاج، أفتخاف
عليّ إن قتلت أن يكون عليّ وزر؟ قال: لا، قاتل فإن مولاك لو
كان هاهنا قاتل بنفسه وبك^(٢)، وكان يقول يوم دير الجماجم:
قاتلوهم على جورهم في الحكم وخروجهم عن الدين وتجبّرهم

(١) نفس المصدر: ص ٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٣.

على عباد الله، وأما تهم الصلاة واستدلالهم المسلمين^(١).

(٢) لم ير سعيد أن الخروج على الحجاج فتنة أو خروج عن الجماعة، فقد قال له الحجاج: أنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة، فردّه: ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة^(٢).

(٣) إن سعيد بن جبير كان ضمن الجيش الذي توجه الى سجستان، ولم يكن تخلف عنه، فمتى حمل كتاب الحجاج الى ابن الأشعث؟

(٤) إن هناك تهافتاً في كلام ابن قتيبة، فمرة يقول إن محمد بن سعد بن أبي وقاص ومن معه كان لهم تأثير على رأي سعيد، وأخرى يقول إن ابن الأشعث كان يخلو به ويدعوه الى خلع الحجاج. (٥) إن المكره على شيء لا يمكن أن يصمد الى آخر المشوار ولا يتصور أنه يمتلك دافعاً قوياً كالذي كان لدى ابن جبير.

(٦) العجيب في ابن قتيبة أنه يحاول أن يصوّر الآخرين وكأنهم بسطاء وسذج، فهم سرعان ما يتأثرون، فلم يكن يقتصر على سعيد بذلك، بل قال حول التحاق أيوب ابن القرية بابن الأشعث: لم يزل عبد الرحمن بابن القرية يختدعه، حتى ترك ما أرسل فيه، وأقام مع عبد الرحمن، وقد كان رسول الحجاج لابن الأشعث^(٣).

(١) نفس المصدر: ص ٣٦٥.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٢.

(٣) نفس المصدر: ص ٤٥.

وهكذا بالنسبة إلى الخزاعي الذي كان رسول ابن الأشعث إلى الحجاج، إذ يقول له الحجاج: أفمن وزراء ابن الأشعث أنت علينا في هذه الفتنة يا أخا خزاعة؟ قال: والله ما هويتها ولقد جلبني إليك مكرهاً^(١).

قائد ثورة القراء أو دير الجماجم

إن التاريخ لا يسعنا بمعلومات كافية عن قائد ثورة القراء وليس هناك سوى نتف وهي كلها تضع عليه وعلى أسرته علائم استفهام، إن لم نقل تقوم بعملية تسقيط. وعلى كل حال فهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي^(٢). وقد قيل عنه: «مات غادراً مخالفاً»^(٣). وأنه «صاحب مسلم بن عقيل» والمقصود أنه الذي أعلم أباه وكان عند ابن مرجانة بمكان مسلم «فقام محمد بن الأشعث فأعلم ابن مرجانة فقال له: جئني به فأتاه، فقال: إنه لا بأس عليك منه، وأنه جارك حتى أخذ السيف من يده، فلما جاء به إلى ابن مرجانة قتله»^(٤).

فعبد الرحمن إذن شريك في قتل مسلم، ومن هذا الخبر يتضح حال أبيه، فقد قيل عنه «غدر بأهل طبرستان»^(٥) وأنه ممن شارك في قتل

(١) نفس المصدر: ص ٥٢.

(٢) الأنساب للسمعاني: ج ٤، ص ٥٤٢.

(٣) المحبر: ص ٢٤٤.

(٤) المحبر: ص ٢٤٥-٢٤٦. البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٧. مقاتل الطالبين: ص ٦٨.

الارشاد: ج ٢، ص ٥٧.

(٥) المحبر: ص ٢٤٤.

٢١٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

الحسين، حيث قاد ألف فارس^(١)، وأرسل المختار من يأتي برأسه، ولكنه أفلت عندما حوَّصر قصره في قرية إلى جنب القادسية وفرَّ إلى مصعب^(٢).

وأما جده فهو الأشعث الذي قيل عنه أنه غدر ببني حارثة بن كعب^(٣)، وأنه صاحب المسجد الملعون^(٤) في الكوفة، وقد تواطأ مع ابن ملجم في قتل الإمام علي^(٥).

وأما أخته فهي جعدة بنت محمد بن الأشعث، كانت زوجة الإمام الحسن فسقته السم مقابل ما بذل معاوية لها عشرين ألف دينار، وإقطاع عشر ضياع من شعب سورا وسواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجه يزيداً ابنه^(٦).

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في حق هذه الأسرة: «إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام»^(٧).

فإذا كان قائد الثورة بهذه الصفات فكيف التحق به رجال كسعيد وكميل بن زياد؟ هذا ما سنتحدث عنه في الأبحاث الآتية.

ولكن يبقى الكلام في صحّة ما نسب إلى عبد الرحمن مع الاغماض عن أسرته وواقعها، فهي كما قيل عنها ولا يمكن أن نجد توجيهاً وعذراً

(١) العوالم: ص ١٦٤.

(٢) ذوب النصار: ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) المحبر: ص ٢٤٤.

(٤) أمالي الطوسي: ص ١٦٩. فضل الكوفة ومساجدها: ص ١٨.

(٥) الارشاد: ج ١، ص ١٩. مقاتل الطالبين: ص ٢٠. المستجاد من الارشاد: ص ٢٢.

(٦) دلائل الإمامة: ص ١٦٠. الارشاد: ج ٢، ص ١٥.

(٧) بحار الانوار: ج ٤٢، ص ٢٢٨.

لفعالها، فهل كان لموقفه من الحجاج دور في الصاق هذه التهم أو بعضها به؟ أو انه تاب عنها وندم؟.

هذا كله أمر محتمل ولكن ليس هناك ما يؤكد تاريخياً إلا أن العقلية السائدة في كتابة التاريخ لا تخلو من تأثيرات هيمنة السلطة وخصوصاً في ذلك الظرف الزماني مما يثير في النفس بعض الشكوك.

لماذا التحق سعيد بن جبير بابن الأشعث؟

سعيد بن جبير فقيه الكوفة والمفسر المعروف والمحدث الذي ذاع صيته، ورجل العقيدة، كيف يلتحق بابن الأشعث الذي لا يلتقي معه في الرؤى والأفكار وربما في الاهداف التي يؤمن بها سعيد لا سيما وأنه ينتمي الى مدرسة تختلف تماماً عن المدرسة التي يحسب عليها ابن الأشعث! وإذا تعمقنا أكثر وقبلنا تلك الأشكالات التي تثار حول ابن الأشعث وما عليه من صفات تجعله في عداد طلاب السلطة والزعامة؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال يتطلب الوقوف طويلاً عند هذه النقطة، وعرض مشتركات، ووضع علائم استفهام حول ما أورده بعض المؤرخين:

(١) لقد كان سعيد بن جبير يعتقد بكفر الحجاج مما يجعله يبحث عن الظروف المناسبة للثورة.

(٢) تحول اسقاط الحجاج الى قضية، فهو الظالم المتجبر الذي يهدف الأحرار الى التخلص منه، وهذا يمثل محوراً مهماً يلتقي عنده الكثير.

(٣) لم تكن الإطاحة بالحجاج أمراً يتسنى للكثير، بل يحتاج الى قدرات وطاقات واجتماع قوى، وتحقق كل ذلك في ظل هيمنة

الحجاج، لا يمكن أن يكون، فأنفاس الإنسان تحصى وحركته تراقب وقد يعرض نفسه للهلكة دون الوصول الى النتائج. من هنا كان ابن الأشعث أوجد الأرضية المطلوبة للإنطلاق، فهناك عشرات الآلاف من البشر قد التفت حول، وتملك حركته من مقومات الثورة ما لم يتوفر لدى الآخرين.

(٤) إن طبيعة حركة ابن الأشعث لم تأخذ طابعاً مذهبياً يجعلها محصورة في أطر خاصة، بل استطاعت أن تستقطب كل الطاقات، خلافاً لثورات الخوارج وطريقتهم في التعامل مع الأحداث.

(٥) لم تشهد تلك الفترة الزمنية حركة واسعة تستطيع الاطاحة بالحجاج، ولم يكن للعلويين أو الأطراف الأخرى التزبنة بمبادرات تهز عرش الحجاج.

(٦) رفع ابن الأشعث شعاراً يعبر عن الواقع الموجود ويعدّ حلماً تهفو إليه النفوس، فقد طالب الذين بايعوه في سجستان قائلاً: تبايعوني على خلع الحجاج، عدو الله، وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفية الله من أرض العراق^(١)، وكانت بيعته في فارس «تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه، وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحليين»^(٢)، هذا بالإضافة لما تضمنته رسالته الى الحجاج من أمور.

إن هذه الشروط يلتقي عندها سعيد بن جبير ويقبلها، وهو الذي يعلنها

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٧.

(٢) نفس المصدر: ص ١٤٨.

عندما يخاطب الشوار: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية و يقين، وعلى آثامهم، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين، واستذلّ لهم الضعفاء، وأما تتهم الصلاة^(١).

(٧) إن جيش ابن الأشعث عراقي، يضم أهل الكوفة مسقط رأس سعيد، والبصرة، وفيه القراء الذين يعتبر سعيد منهم، وهناك رجال لهم امتداد تاريخي وعقائدي قد انضموا إلى الثورة، ككميل بن زياد النخعي.

إن كل هؤلاء يمنحون الثورة قوة، وربما أمكن القول إنها ثورة وطنية تهدف إلى إزاحة الحاكم الظالم، وأما بقية التفاصيل فهي متروكة إلى ما بعد الانتصار.

(٨) إن ما أثير على ابن الأشعث قد يكون نتيجة لموقفه المناوئ للسلطة، فالمعيار عند بعض المؤرخين هو الولاء للحاكم، فإذا كان الإنسان موقف من الخلفاء أو ولايتهم، فهو فاسق، فاجر، كافر، مثير للفتن، متجبر، متكبر، قاتل للنفس المحترمة، وأما رجال السلطة فهم أتقياء، أبرار، أمراء المؤمنين، لا يعصون الله ما أمرهم، وهم بأمره يفعلون، ولا تجوز الثورة عليهم، أو ذكرهم بسوء، فهذا ابن قتيبة عندما يتحدث عن هزيمة ابن الأشعث وانتصار الحجاج، يقول: وكان بإذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان^(٢).

(١) نفس المصدر: ص ١٦٣.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٤.

إن إنتصار الحجاج بإذن الله، ولعله يطبق قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١)، في هذا الموضع، وإن الحجاج رجل السجود والدعاء والشكر. «على ما صنع الله به ومن كان معه»، والتحميد والتكبير^(٢) والتوكل على الله^(٣)، وقد مضى وصف ابن قتيبة لإبن الأشعث في الأبحاث السابقة.

المسير نحو الثورة

مرّ عام كامل على خلع الحجاج^(٤)، فسار عبد الرحمن راجعاً لإخراج الحجاج من العراق ومسألة عبد الملك إبداهم به^(٥) بعد أن صالح رتبيل وعين ولاية على تلك المناطق^(٦)، وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري فبعث إليه الحجاج الخيل فهزمها^(٧).

خلع عبد الملك بن مروان

وصل عبد الرحمن وجيشه اصطخر من بلاد فارس^(٨)، فقالوا: إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك، فقد خلعنا عبد الملك، وبايعوا عبد

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٤.

(٣) نفس المصدر: ص ٥٣.

(٤) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٥.

(٥) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٥، التنبيه والاشراف: ج ٢، ص ٢٧١.

(٦) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٤٧، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٧) نفس المصدر: ص ١٤٨.

(٨) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

الرحمن، وكانت بيعته: تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه، وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلين^(١)، وسمى نفسه: ناصر المؤمنين^(٢)، وعندما علم الحجاج بخلعه كتب الى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود عليه^(٣)، ولما وقع الكتاب الى عبد الملك هاله^(٤).

بداية المواجهة أو يوم دجيل

جمع الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر^(٥)، أو دونها من كور الأهواز بسبعة فراسخ^(٦)، وقدم بين يديه مطهر بن حر العكي أو الجذامي وعبد الله بن رميثة الطائي فجاءوا حتى انتهوا الى دجيل فمنا بالهزيمة، وذلك يوم عيد الأضحى^(٧)، وتوجهوا الى البصرة، فلحقهم ابن الأشعث^(٨) ونزل الخريبة^(٩) وذلك في سنة (٨٠ هـ)^(١٠)،

(١) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٨.

(٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٨، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٩.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٩.

(٦) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

(٧) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٠، شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٨.

(٨) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٩) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

(١٠) شذرات الذهب: ج ١، ص ٩٠.

أو (٨١ هـ)^(١)، أو (٨٣ هـ)^(٢). بلغ الحجاج خبر الهزيمة، فمضى حتى نزل الزاوية^(٣)، والتي تقع في طرف من ناحية البصرة في طريق بني تميم^(٤)، وخلقى البصرة لابن الأشعث، فدخل ابن الأشعث البصرة وبايعه جميع أهلها من قرائها وكهولها على حرب الحجاج، وخلع عبد الملك، وكان دخوله في آخر ذي الحجة^(٥). لقد كانت المواجهة في دجيل ضارية للغاية فقد قتل من جيش الحجاج خلق لا يحصى كثرة حتى يش من نفسه^(٦).

أسر سعيد بن جبیر

ذكر ابن قتيبة أن مواجهات الأهواز انتهت بهزيمة ابن الأشعث، وأسر سعيد بن جبیر، حيث قال: انهزم ابن الأشعث في سواد الليل وأصاب الحجاج عسكره، وأسر سعيد بن جبیر، وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الأشعث فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبیر، قال له: ويحك يا سعيد أما تستحي مني؟ ومدك الشيطان في طغيانك، إلا استحييت من المراقب لي ولك الحافظ عليّ وعليك؟ فقال: أصلح الله الأمير، وأمتع به! هي بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الأمير، وكما نسبه به وأضافه إليه، إلا أنني أتيت رجلاً قد أزهى وطفى ولبسته الفتنة، وركب الشيطان كتفيه، ونفت في

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٤٦.

(٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٠.

(٤) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥١.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٠.

(٦) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥١.

صدره وأملى عليّ لسانه فخفته وأتقته بالذي فعلت؟ فان تعاقب فبذنب، وإن تعف فسجية منك، فقال له الحجاج: فإننا قد عفونا عنك وسنردك إليه تارة أخرى ثم كتب كتاباً ووجهه مع سعيد بن جبير إلى عبد الرحمن، فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم عبد الرحمن فأخبره^(١).

وخلاصة كلام ابن قتيبة:

- (١) إن مواجهات تستر أو الأهواز كانت تتيجتها لصالح الحجاج.
 - (٢) أسر سعيد بن جبير في تلك المعارك.
 - (٣) جيء بسعيد إلى الحجاج فتكلم معه بما يتكلم به العرفاء وأهل التقوى، فهناك مراقب وحافظ على الحجاج وسعيد، وهو الله.
 - (٤) إعتذر سعيد بوقوع البلية ونزول العذاب.
 - (٥) تهجم سعيد على ابن الأشعث، ووصفه بالزهو والطغيان وأنه لبسته الفتنة و... ..
 - (٦) إن سعيد بن جبير كان مغفلاً للغاية، فخاف ما أملاه عليه لسان ابن الأشعث، واتقاه بالذي فعل.
 - (٧) عفى الحجاج عن سعيد؛ لأنه خيره بين العفو وهي سجية الحجاج أو العقوبة وهي حق طبيعي؛ لأنه مذنّب.
 - (٨) ردّه الحجاج إلى ابن الأشعث حاملاً كتابه.
 - (٩) في الطريق خرق سعيد الكتاب، وقدم عبد الرحمن فأخبره.
- ويرد على ما ذكر:

أولاً: إن ابن الأشعث لم يهزم في تستر كما ذكر الطبري وغيره^(١).
ثانياً: لم يتعرض المؤرخون إلى أسر سعيد كما أن الأسر لا يتحقق عادة بالنسبة إلى الجبهة المنتصرة بناء على ما رواه الطبري وغيره، وعليه فلم يؤت به إلى الحجاج.

ثالثاً: أين كان المراقب والحافظ بالنسبة إلى الحجاج الذي بلغ من قتله صبراً مائة وثلاثين ألفاً^(٢)، وفي رمي الكعبة بالمنجنيق^(٣).

رابعاً: كيف يمكن التوفيق بين اعتذار سعيد هذا، وما دار من حوار بينه وبين الحجاج عندما ألقى خالد القسري القبض عليه وأرسله إلى الحجاج^(٤)، فهو لم يتراجع عن مبادئه قيد أنملة، وقد عاش الغربية سنوات طويلة^(٥)، وكان الأجدر به أن يعتذر في مثل ذلك الوقت، لا سيما وأنه شارك في دير الجماجم، وكان من المحتمل كبيراً أن يقتله الحجاج.
خامساً: إذا كان يعتقد بزهو ابن الأشعث وطغيانه فلماذا التحق به مرة أخرى؟.

سادساً: إذا كان مغفلاً في المرة الأولى وخدعه ابن الأشعث، أما كان عليه أن يعتذر بعد الأسر عن إيصال الكتاب ويقول: أنا لا أريد لقاءه؛ لأنني بسيط وقد يخدعني مرة أخرى؟.

سابعاً: متى كان العفو سجية الحجاج، وهو القائل: أما والله إنني لأحمل

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٠.

(٢) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٦٢.

(٣) الأخبار الطوال: ص ٣١٤.

(٤) حلية الأبرار: ج ٤، ص ٢٩٣-٢٩٤، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٠-٣٣٣.

(٥) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦.

الشر محمله، وأخذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤساً قد أينعت
وحن قفافها، وإني لأنظر الى الدماء بين العمائم واللحي^(١).

ألم يقتل ابن القرية، وكان أرسله الحجاج الى ابن الأشعث فالتحق
بابن الأشعث فأسر فيمن أسر من أصحاب ابن الأشعث، فأدخل على
الحجاج وقدم ألوان الاعتذار، ولكن الحجاج وضع الحربة في ثنودته،
ودفعها حتى خالطت جوفه ثم خضخضها وأخرجها، فأتبعها دم أسود، فقال
الحجاج: هكذا تشخب أوداج الإبل^(٢).

فكل ما ذكره ابن قتيبة في سعيد يشبه ما كان عليه ابن القرية تماماً
ولم يشمله العفو.

ثامناً: لماذا يقوم الحجاج برده، وهو الذي حمل الكتاب الأول ليوصله
الى ابن الأشعث، ولكنه خدع فانضم الى ابن الأشعث.

تاسعاً: هل يمكن أن نتصور أن إنساناً يعتذر بالطريقة التي ذكرت،
ويعلن عن ندمه يقوم بخرق الكتاب، وإخبار عبد الرحمن عندما يقدم عليه،
وذلك بعد مرور أيام قليلة؟.

عاشراً: ما هو سند هذه القضية؟ لم يذكر ابن قتيبة المصدر الذي
اعتمده، مع وجود فاصلة زمنية كبيرة جداً بينه وبين سعيد بن جبير.

والنتيجة:

إن أسر سعيد كان من صنع خيال ابن قتيبة أو ممن نقل عنه.

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤١.

(٢) الأخبار الطوال: ص ٣٢٠، وص ٣٢٣.

يوم الزاوية:

في المحرم من سنة (٨٢ هـ) على رواية الطبري^(١)، حدث قتال شديد بين ابن الأشعث وجيش الحجاج، فهزمهم جيش ابن الأشعث حتى انتهوا إلى الحجاج فقاتلوهم على خنادقهم، وأنهزمت عامة قريش وثقيف، ثم إنهم تراحفوا في آخر المحرم، فهزم ابن الأشعث^(٢)، وكانت الحرب استمرت شهراً^(٣)، وقيل نحواً من شهرين^(٤)، وقد قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفاً^(٥)، وأقبل ابن الأشعث إلى الكوفة وتبعه الناس إليها^(٦)، فاستقبله أهلها بعدما جاز قنطرة زبارا ولما دخلها مال إليه أهلها كلهم وسبقت همدان إليه فحقت به وبايعه الناس وسقط إليه أهل البصرة وتقوّضت إليه المسالحي والثغور^(٧)، وسار الحجاج من البصرة في البر حتى مرّ بين القادسية والعذيب ومعه جيش ابن الأشعث بقيادة عبد الرحمن بن العباس من نزول القادسية، فنزل دير قرة، ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم^(٨).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥١، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥١.

(٤) التنبيه والأشراف: ص ٢٧٢.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٨٢.

(٦) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٧) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٥.

(٨) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٥، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨، التنبيه والأشراف:

شخصيات لامعة في دير الجماجم

كان في جيش ابن الأشعث في دير الجماجم أسماء لامعة، نكتفي بذكر بعضها:

- (١) سعيد بن جبير المترجم له.
- (٢) كميل بن زياد: وهو من أعظم خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأصحاب سره، وهو الذي ينسب إليه الدعاء المشهور^(١)، وكان عامله على هيت^(٢)، يقول ابن أبي الحديد عنه: كان كميل من صحابة علي عليه السلام وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب، فيمن قتل من الشيعة^(٣) وكان «رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب له بأس وصوت في الناس»^(٤).
- (٣) عبد الرحمن بن أبي ليلى: وهو من روى عن عمر وعلي وعبد الله وأبي بن كعب وسهل بن حنيف، وأدرك مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ. وكان من المدافعين عن علي، قتل بدجيل^(٥)، وفي كتاب الغدير: خاصة أمير المؤمنين وصاحب رايته يوم الجمل، ضربه الحجاج حتى اسود كتفه على سب علي فما فعل، كان من أصحاب رسول الله يسمعون لحديثه وينصتون له،

(١) سفينة البحار: ج ٢، ص ٤٩٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ١٧، ص ١٤٩.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٨.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ١٠٩، وص ١١٣.

- قال عبد الله بن حارث: ما ظننت أن النساء ولدن مثله^(١).
- (٤) عبد الله بن شداد بن الهاد: روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وقتل يوم دجيل، وكان ثقة، قليل الحديث وكان شيعياً^(٢).
- (٥) محمد بن سعد بن أبي وقاص: كان ثقة له أحاديث ليست بالكثيرة، شهد دير الجماجم، ثم أتى به الحجاج بن يوسف فقتله^(٣).
- (٦) محمد بن السائب الكلبي: كان عالماً بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم^(٤).
- (٧) مسلم بن يسار: قال أزهر السمان عن عون: كان مسلم بن يسار لا يفضل عليه في ذلك الزمان أحد^(٥). عابداً ورعاً^(٦).
- (٨) بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري وهم:
- (١) عبد الله.
 - (٢) الأحوص.
 - (٣) اسحاق.
 - (٤) نعيم.
 - (٥) عبد الرحمن.

(١) الفدير: ج ٢، ص ٩٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٦١، وج ٦، ص ١٢٦.

(٣) نفس المصدر: ج ٥، ص ١٦٧.

(٤) نفس المصدر: ج ٦، ص ٣٩٥.

(٥) نفس المصدر: ج ٧، ص ١٨٦.

(٦) نفس المصدر.

وقد هربوا الى الناحية التي بنيت بها قم، بعد واقعة دير الجماجم^(١).
 (٩) أبو الجوزاء الربيعي: وقد ورد عنه أنه قال: جاورت ابن عباس في داره اثنتي عشرة سنة، ما في القرآن آية إلا وقد سألتها عنها^(٢).

(١٠) ذر بن عبد الله بن زرارة أبو عمر بن ذر^(٣).

(١١) أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود^(٤).

(١٢) أبو البختری: سعيد بن فيروز، روى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر، وثقه أبو حاتم وأبو زرعة ويحيى بن معين^(٥).

(١٣) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي: كان أبو زرعة يقول عنه: علم من أعلام أهل الإسلام وفقهه من فقهاءهم^(٦)، وكان من فقهاء الكوفة^(٧).

هذا، بالإضافة الى مئات القراء، حيث ذكر خليفة بن خياط أن خمسمائة من القراء خرجوا مع ابن الأشعث، كلهم يرون القتال، وأشار الى أسماء بعضهم مثل:

عقبة بن عبد الغافر العودي، وعقبة بن وساج البرساني، وعبد الله بن

(١) الانساب: ج ٤، ص ٥٤٢-٥٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٢٢٥.

(٣) نفس المصدر: ج ٦، ص ٢٩٣.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢١٨.

(٥) تهذيب الكمال: ج ١١، ص ٣٣، طبقات خليفة: ص ٢٦٠، التعديل والتجريح: ج ٣، ص ١٢٣٦.

(٦) الجرح والتعديل: ج ٢، ص ١٤٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق: ج ٣١، ص ٣٣٦.

غالب الجهضمي، وعمران بن عصام الضبعي، وسيار بن سلامة أبي المنهال الرياحي، ومالك بن دينار، ومرة بن دباب الهراذي، وأبي نجيد الجهضمي، وأبي شيخ الهنائي، والحسن بن أبي الحسن، وطلحة بن مصرف الأيامي، ومحمد بن سعد بن مالك، وزيد بن الحارث الأيامي، وعطاء بن السائب^(١).

سعيد بن جبیر ومهامه في جيش ابن الأشعث

وقف سعيد موقف الرفض من الحجاج والتحق بالشوار، وكان من الطبيعي أن يكون له دور كبير في الثورة، فهو فقيه أهل الكوفة^(٢)، ومن هنا قام بالأدوار التالية:

١- الجندي الذي لم يتراجع عن قراره، أو يتزعزع وقد بقي إلى آخر لحظة من الثورة على ما كان عليه من اعتقاد بكفر الحجاج وقتاله^(٣).

٢- خطيب الثورة: كان سعيد أحد خطباء الثورة وملهبي المشاعر، ولم يترك مسؤوليته هذه حتى في المعركة، فقد كان يخاطب الشوار أثناء القتال: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنّة ويقين وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلّاهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة^(٤) إن هذا الكلام لم يكن يصدر عن خطيب عادي بل هي فتوى بالإضافة إلى ما تتضمنه من تقوية عزائم. وقد استطاعت كلماته أن توضح أهداف الثورة، فهو من منظري ثورة كادت تهد عرش الحجاج. لقد حدد الأهداف بوضوح:

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٤٩.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٣.

أ- الثورة ضد آثام الحجاج.

ب- جوره في الحكم.

ج- تجبره في الدين.

د- استذلاله الضعفاء.

هـ- أماته الصلاة.

ورفع الشك الذي قد يدفع البعض الى التردد في مشروعية الثورة بقوله: «قاتلوهم ولا تأموا من قتالهم بنية و يقين»، لماذا الشك والأهداف جلية للغاية؟!

والمتحدث فقيه من الفقهاء الذين شهد لهم الصحابة بالفقه وهناك عشرات الفقهاء والتابعين والقراء التحقوا بالثورة.

(٣) مسؤولية جمع الحقوق الشرعية:

عن حبيب بن أبي ثابت: إن سعيد بن جبير استعمله مطر بن ناجية في فتنة ابن الأشعث على ماصري الكوفة على الصدقة والعشور، قال حبيب: فركب وركبت معه، حتى انتهينا الى المأصر، أتانا رجل كان ينحت السفن قبل ذلك لمن كان قبله، فدخل السفينة ومعه محصة^(١)، فقال له سعيد بن جبير: إليك إليك، فأخرجه ثم نظر سعيد بن جبير وهو أول ما ركب إليه، فمن تقدم له يومئذ بيع من أهل الذمة فلم يرزه شيئاً، ولم يكن يرى أن عليهم عاشوراء ونظر من كان من أهل الإسلام، فأخذ منهم صدقة ما كان معهم^(٢)، وكان مطر بن ناجية من أنصار ابن الأشعث، وقد سيطر على الكوفة

(١) المحصة: بالكسر الفرجون، الصحاح: ج ٣، ص ٩١٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٣.

وذلك سنة (٨٢ هـ) على رواية الطبري، و(٨٣ هـ) على قول آخرين^(١).

وقعة دير الجماجم أو ثورة القراء

ها هي دير الجماجم وقراء جيش ابن الأشعث يدخلون التّاريخ، فهم يستعدون لمواجهات حاسمة، «لم يكن بعد وقائع صفين أعظم من هذه الحروب ولا أهول من هذه الزخوف»^(٢).

إنها معارك الموت والحياة فإما أن تكسر شوكة الحجاج وحكومة بني أمية إلى الأبد، أو القتل ولا قيمة لحياة في ظل هيمنة الحجاج، فهم يموتون كل يوم نتيجة لتعسفه وإرهابه.

هكذا كانت حسابات رجال ينتظرون الثورة وساعة صفرها ويحلمون بمثل هذا اليوم.

نحو لرض الثورة

سار ابن الأشعث نحو دير الجماجم، وكان نزل قبله عبد الرحمن بن العباس، أحد رجاله فيما نزل الحجاج دير قرة^(٣)، وقد وصلها ابن الأشعث غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول^(٤).

ودير الجماجم كما يحدثنا ياقوت الحموي: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة، قال أبو عبيدة: الجمجمة،

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٤.

(٢) التنبيه والأشراف: ص ٢٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٥.

(٤) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨.

القدح من الخشب، وبذلك سمي دير الجماجم؛ لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب، والجمجمة أيضاً: البشر تحفر في سبخة، فيجوز أن يكون الموضع سمي بذلك. قال ابن الكلبي: إنما سمي دير الجماجم؛ لأن تميم وذبيان لما واقعت بني عامر وانتصرت بنو عامر وكثر القتلى في بني تميم بنوا بجاجمهم هذا الدير شكراً على ظفرهم، وهذا عندي بعيد من الصواب، وهو مقول على ابن الكلبي، وليس يصح عنه، فإنه كان أهدى إلى الصواب من غيره في هذا الباب؛ لأن وقعة بني عامر وبني تميم وذبيان كانت بشعب جبلة وهو بأرض نجد وليس بالكوفة.

ولعل الصواب ما حكاه البلاذري عن ابن الكلبي أن الرماح، وبعضهم يقول بلاد الرماح وهو أثبت. ابن محرز الأيادي قتل قوماً من الفرس ونصب رؤوسهم عند الدير، فسمي دير الجماجم، وقرأت في كتاب أنساب المواضع لابن الكلبي، قال: كان كسرى قد قتل إياداً ونفاهم إلى الشام، فأقبل ألف فارس منهم حتى نزلوا السواد، فجاء رجل منهم وأخبر كسرى بخبرهم، فأنفذ إليهم مقدار ألف وأربعمائة فارس ليقتلوهم، فقال لهم ذلك الرجل الواشي: إنزلوا قريباً حتى أعلم لكم علمهم، فرجع إلى قومه وأخبرهم، فأقبلوا حتى وقعوا بالأساورة، فقتلوهم عن آخرهم وجعلوا جماجمهم قبة، وبلغ كسرى خبرهم، فخرج في أهليهم ليكون، فلما رأهم اغتم لهم وأمر أن يبنى عليهم دير وسمي دير الجماجم، وقال غيره: إنه وقعت بين إياد وبين بني نهد حرب في مكانه، فقتل فيها خلق من إياد وقضاعة ودفنوا قتلاهم هناك، فكان الناس إذا حفروا استخرجوا جماجمهم فسمي

بذلك، وإياد كانت تنزل الريف، معروف ذلك عند أهل هذا الشأن^(١).

لماذا في هذا المكان؟

نزل ابن الأشعث في دير الجماجم والحجاج في دير قرة، فلماذا كان هذا الاختيار؟.

لقد اختار الحجاج دير قرة؛ لأن ظهره فيها الى الشام مما يتسنى له الحصول على مدد عبد الملك بن مروان، وكان يريد قبل نزوله فيها أن يرتفع الى هيت وناحية الجزيرة، إرادة أن يقترب من الشام والجزيرة، فيأتيه المدد من الشام من قريب ويتقرب من رفاغة سعر الجزيرة، فلما مرّ بدير قرة، قال: ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين، وإن الفلاليج وعين التمر الى جنبنا فنزل^(٢).

وأما ابن الأشعث فان دير الجماجم كان بظهر الكوفة، وهي سنده ومدده، لا سيّما أن الكثير من أهل عسكره منها، وأنها تحت سيطرته حيث عليها مطر بن ناجية^(٣).

التعبئة العامة

التحق أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم من أهل المصريين^(٤) وجماعة من قرّاء العراق^(١)، وسبعة عشر نفساً

(١) معجم البلدان: ج ٢، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ١٥٦.

(٣) معجم البلدان: ج ٢، ص ٥٠٣-٥٠٤، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٥-١٥٦.

من علماء التابعين من العراقيين^(٢)، وانضموا إلى جيش ابن الأشعث، فبلغ قوام جيشه مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم^(٣)، وقيل: ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل^(٤). وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستمده، فأمدّه بابنه عبد الله بن عبد الملك، وأخيه محمد بن مروان^(٥) في أناس من بني أمية كثير^(٦).

صلح عبد الملك بن مروان

ذكر الطبري أن عبد الملك بن مروان أرسل ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان إلى أهل العراق، ليدعوهم إلى الصلح وعرض الخصال التالية عليهم:

- (١) نزع الحجاج عنهم.
- (٢) إجراء عطياتهم عليهم كما تجري على أهل الشام.
- (٣) أن ينزل ابن محمد (عبد الرحمن) أي بلد من العراق شاء يكون عليه والياً مادام حياً.

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٨، ذكر خليفة بن خياط في تاريخه: ص ٢٢٢، أن عدد القراء كان خمسمائة.

(٢) الانساب للسمعاني: ج ٤، ص ٥٤٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٦.

(٤) شذرات الذهب: ج ١، ص ٩٠.

(٥) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

(٦) الإمامة والسياسة: ج ٥، ص ٥١-٥٢.

فإذا قبلوا عزل عنهم الحجاج، وأن أبوا أن يقبلوا، فالحجاج أمير جماعة الشام وولي القتال، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته. ولما سمع الحجاج غاظه ذلك وأوجع قلبه، فكتب الى عبد الملك كتاباً ذكره بأن أهل العراق خرجوا مع الأشتر على عثمان، وأنهم عرضوا عليه خلع سعيد بن العاص، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه، وقال: إن الحديد بالحديد يفلح. ولكن عبد الملك أبى إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب، ولما عرضت هذه الخصال، جمع ابن الأشعث جيشه، وكان يميل الى الصلح ولكن الناس وثبوا من كل جانب وقالوا: لا والله لا نقبل، فأعادوا خلعه (أي عبد الملك) ثانية وكان اجتماعهم على خلعه بالجماعم أجمع من خلعههم بفارس. فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك الى الحجاج، فقالا: شأنك بعسكرك وجندك، فأعمل برأيك فإننا قد أمرنا أن نستمع لك ونطيع^(١).

ولكن صاحب كتاب التنبيه والاشراف يقول: كتب الحجاج الى عبد الله يستمده، فأمدّه بابنه عبد الله بن عبد الملك وأخيه محمد بن مروان^(٢). ويقول ابن قتيبة: كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان أن أمدني بالرجال، فقال: فأمدّه بمحمد بن مروان، في أناس من بني أمية كثير وجعل الحجاج أميراً عليهم^(٣).

فعلى رواية الطبري كان إرسال محمد بن مروان وعبد الله بن عبد

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٧، باختصار.

(٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

(٣) الإمامة والسياسة: ج ٥، ص ٥١-٥٢.

الملك لغرض الدعوة الى الصلح، وعلى رواية التنبيه والاشراف والإمامة والسياسة كان بعثهما لنصرة الحجاج.

والأرجح أنهما أرسلتا كمدد للحجاج، لأن ابن الأشعث لو كان يميل الى الصلح لحدث شرخ في جيشه، الأمر الذي لا تدل عليه الشواهد التاريخية.

تنظيم القوى:

بدأ الحجاج بتنظيم قواه، وهكذا كان الأمر بالنسبة الى ابن الأشعث، فقد جعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي^(١)، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي^(٢)، وقيل عبد الرحمن بن عبد الله العكي^(٣)، وعلى الرجالة عبد الرحمن بن حبيب الحكمي^(٤)، وعمرو الجرشي على القلب^(٥)، وعلى خيله سفيان بن الابرذ الكلبي^(٦)، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص وعلى مجففته عبد الله رزام الحارثي وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي^(٧).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٧، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٧.

(٣) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٣.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٨.

(٥) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٣.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٥٧.

(٧) نفس المصدر: ص ١٥٨.

وبدأت المعركة:

في شعبان سنة ٨٢ هـ^(١)، وقيل (٨٣ هـ)^(٢). وفي يوم الأربعاء كانت ساعة الصفر، وكان ابن الأشعث - كما يقول ابن قتيبة - يكره أن يكون يوم الأربعاء بداية المعركة بل كان يرغب بيوم قبل ذلك، فهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الأغبر الأشقر^(٣) ولكن الحجاج اعتمد حرباً نفسية ففي صبيحة يوم الأربعاء دعا ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافاً لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم، ونادى مناديه في عسكره: أن انهضوا الى قتال ابن الأشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجاله وآخر خلفه مقاتله حتى إذا كانوا من عسكر ابن الأشعث على مثال الأسهم وقف نصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الأشعث^(٤). والتحمت الجبهتان وكان شعار الثوار بالشارات الصلاة؛ لأن الحجاج كان يميئ الصلاة حتى يخرج وقتها^(٥).

كتيبة القراء في قلب المعركة

ضمّت كتيبة القراء عدداً كبيراً من قراء القرآن قادها جبلة بن زحر بن قيس الجعفي، وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش، وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن جبير وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى

(١) المنتظم: ج ٤، ص ٣٧١، شذرات الذهب: ج ١، ص ٩٠.

(٢) المنتظم: ج ٤، ص ٣٧١، شذرات الذهب: ج ١، ص ٩٢، وهو الأصح عنده.

(٣) الامامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٢.

(٤) نفس المصدر: ص ٥٢-٥٣.

(٥) شذرات الذهب: ج ١، ص ٩٢.

وكميل بن زياد النخعي.

وقد عرفت هذه الكتيبة ببسالتها، فكان أفرادها يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ويتحملون فلا يفرون فكانوا قد عرفوا بذلك، وكان يحسب لها الحجاج ألف حساب من هنا عبأ لها ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي فأقبلوا نحوهم.

قال أبو محنف: حدثني أبو يزيد السكسكي، قال: أنا والله في الخيل التي غيبت لجبله بن زحر قال: حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات، كل كتيبة تحمل حملة فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً^(١)، وعن أبي الزبير الهمداني قال: كنت في خيل جبله بن زحر فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، فقال: يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت علياً - رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين - يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكر بقلبه، فقد سلم وبرئ، ومن أنكر بلسانه، فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه باليقين.

فقاتلوا هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البختری: أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليغلبن على دنياكم.

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم فليكن بهم البدار.

وقال سعيد بن جبیر: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية و يقين وعلى آثامهم، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلّالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة^(١).

وتكلّم قائد الكتيبة - جبلة بن زحر - قائلاً: إذا حملتم عليهم فأحملوا حملة صادقة ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفّهم. وحملت الكتيبة يتقدّمها جبلة حملة الأبطال، فضربت الكتائب الثلاث، وتمكّنت من خرق صف العدو وإزالته عنه.

ومضت الأيام

لم يهدأ أوار المعركة فجيش ابن الأشعث يدكّ معاقل الحجاج ويمنيه بالخسائر، وفي كل يوم يبرز رجل من رجال جبهة ابن الأشعث ويسطر الملاحم، ولكن مع كل ذلك فالحرب كرّ وفر^(٢).

مصرع جبلة أول الوهن

قاد جبلة كتيبة القرّاء وكان يخوض غمار الحرب بشجاعة فائقة، فإذا هجم هو وأصحابه على العدو اضطروا الى التراجع ولم يكن يعرف الفرار أو التراجع، وفي خضم الصراع سقط جبلة صريعاً، وسرّ جيش

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٣، المنتظم: ج ٤، ص ٣٨٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٤-١٦٥.

من الهجرة إلى الاعتقال ٢٤٣

الحجاج وجذلو ونادوا: يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل الله طاغوتكم، فحزوا رأسه وحملوه الى الحجاج، فقال: يا أهل الشام أبشروا هذا أول الفتح.

وحينما علم أصحاب جيلة بمقتله هدّهم مصرعه وكان كل واحد منهم كأنما فقد أباه أو أخاه، بل كان في ذلك الموطن أشد عليهم فقداً. وحاول أبو البختری الطائي أن يهدّتهم قائلاً:

لا يستبين فيكم قتل جيلة بن زحر فإنما كان كرجل منكم أتته منيته ليومها، فلم يكن ليتقدّم يومه ولا ليتأخّر عنه، وكلكم ذائق ما ذاق ومدعو فمجيّب. وقرأ لهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا...﴾^(١).

وسعى سعيد بن جبیر أن يفعل ما فعله أبو البختری، فقرأ نفس الآية، وقام أبو البختری وسعيد بن جبیر بالحملة على جيش الحجاج حتى كانا يواقعا الصف^(٢).

إنقلاب موازين المعركة

استمرت الحرب مائة يوم^(٣) أو نحواً من أربعة أشهر^(٤)، ولم يكن أجراً على جيش الحجاج ولا أهون على جيش ابن الأشعث منهم. وفي يوم الأربعاء ١٤ جمادي الآخرة وعند امتداد الضحى ومتوع النهار

(١) سورة آل عمران: ١٤٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٧. المنتظم: ج ٤، ص ٢٨٣.

(٤) التنبيه والاشراف: ص ٢٧٢.

شهدت المعركة مواجهة حادة للغاية، فقد قاتل جيش ابن الأشعث عامة النهار أحسن قتال، ولم يكونوا يفكرون بالهزيمة عالون للقوم^(١). وكان جيش ابن الأشعث هجم على الميسرة، فنحى عبد الرحمن العكي، ولما رأى الحجاج انكسار ناحيته وزواله منها بعث إليه ابن عمه الحكم بن أيوب في خيل وبعث الى سفيان بن الأبرد، يأمره بقتال القوم ومحاربتهم^(٢)، فخرج في الخيل من قبل ميمنة أصحابه حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي، وهو على ميسرة ابن الأشعث، فلم يصمد الأبرد وهزم، فأنكرها الناس منه وكان شجاعاً ولم يكن من عادته الفرار فظن الناس أنه كان أو من وصولح على أن ينهزم بالناس، فتقوّضت الصفوف من نحوه وركب الناس وجوههم وأخذوا في كل وجه، ولم ينفع نداء ابن الأشعث طالباً الصمود، فقد دخل جيش الحجاج عسكر ابن الأشعث، وغادر الأخير ومعه جمع أرض المعركة^(٣)، وخدع الناس بالأمان^(٤).
 إنتهت معركة دير الجماجم بعد أن شهدت تلك الفترة الزمنية نحواً من ثمانين وقعة على ما قيل^(٥)، وكانت الهزيمة سنة (٨٣ هـ) على رواية^(٦).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٥-١٦٨، باختصار.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٨، باختصار.

(٤) نفس المصدر: ص ١٨٢.

(٥) التنبيه والأشراف: ص ٢٧٢، المنتظم: ج ٤، ص ٣٨٣.

(٦) المنتظم: ج ٤، ص ٣٨٣.

الشهادة بالكفر

لقد طويت صفحة دير الجماجم وبدأت الاعتقالات، فكان يؤتى بمن يلقي القبض عليه الى الحجاج، فيقول: أتشهد أنك قد كفرت، فإذا قال: نعم، بايعه وإلا قتله، وكان ممن جيء به كميل بن زياد النخعي، فقال له الحجاج: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين، وقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال: والله ما أدري على أيّنا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم عليّ حين عفوت عنه، ثم قال: أيها الرجل من ثقيف، لا تصرف عليّ أنيابك، ولا تهدم عليّ تهدم الكثيب، ولا تكسر كسران الذئب، والله ما بقي من عمري إلا ظمأ الحمار، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، إقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، قال الحجاج: فإن الحجة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين، اقتلوه، فقدّم فقتل^(١)، ولم تنته مأساة الذين يشهدون على أنفسهم بالكفر بهذا الإقرار، بل كان يتمّ ختمهم. قال المدائني عن عبد الله بن فائد وسحيم بن حفص، قالوا: عرض الحجاج أهل البصرة بعد هزيمة ابن الأشعث على الإقرار بالكفر والنفاق، فمن أقرّ ختم في يده ومن أبى قتله^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٩١.

ما بعد وقعة الجماجم

إذا كانت ثورة القراء في دير الجماجم لم تؤت أكلها فلم تكن نهاية المشوار، فقد واجه مقاتلوا جيش ابن الأشعث قوى الحجاج في أماكن أخرى كان منها وقعة مسكن، فقد التحق أهل الكوفة والفلول من الأطراف بابن الأشعث في البصرة، وتلاوم الناس على الفرار، وأقبل نحوهم الحجاج إلى مسكن على دجيل، وتقاتلوا أشد القتال، خمس عشرة ليلة، وذلك في شعبان، ولم يحالف ابن الأشعث الحظ فهزم وقتل أبو البختري وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومشى بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من الحفاظ من أهل المصريين، فكسروا جفون السيوف، فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً كشفوا فيه جيش الحجاج مراراً، فاستعان الأخير بالرملة فأحاطوا بهم من كل جانب، فقتلوا إلا قليلاً^(١).

نهاية ابن الأشعث

مضى ابن الأشعث والفل المنهزمين معه نحو سجستان^(٢)، وفي الطريق كانت هناك مواجهات كما في السوس^(٣) وسابور^{(٤)(٥)}. ولما بلغ الحجاج مكانه وأنه عند رتبيل أرسل أربعة آلاف من

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٧١.

(٣) السوس: بضم أوله وسكون ثانيه: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ﷺ / معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٨٠.

(٤) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس / معجم البلدان: ج ٣، ص ١٦٧.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٧٢.

أصحابه لإلقاء القبض عليه، وبعد محاولات استطاعوا إقناع رتبيل بتسليمه، فأخذوه وقيدوه مع جماعة معه وحملوه إلى الحجاج في الحديد، فلما صاروا بالرخج^(١) رمى بنفسه من فوق سطح فمات واحتزوا رأسه وحملوه إلى الحجاج، فحمله إلى عبد الملك، وذلك سنة (٨٤ هـ)^(٢)، وقيل إنه مات سنة (٨٥ هـ)، فلما أرادوا دفنه حزّ رتبيل رأسه وبعث به إلى الحجاج^(٣).
وقيل: إن رتبيل ألقى عليه القبض وأرسله وجماعة من أهل بيته إلى الحجاج فرمى بنفسه من عمارة، فمات فأحتز رأسه فأرسل به إلى الحجاج وهو إلى عبد الملك، ثم أرسل إلى عبد العزيز، وهو يومئذ على مصر^(٤)، وقيل: إن رتبيل قتله وبعث برأسه إلى الحجاج^(٥).

سعيد بن جبير عقيب وقعة الجماجم

عاش سعيد بن جبير تفاصيل وقعة الجماجم ولكن لم يحدثنا التاريخ عنه بعد انتهائها، فهل لازم ابن الأشعث في محطات المواجهة الأخرى أو فارقه إلى النهاية؟ إن بعض الشواهد ربما تساعد على اختيار الاحتمال الأول، فقد كان الحسن يقول: العجب من سعيد بن جبير قاتل الحجاج في غير موطن وأمر بقتاله، هرب فأتى مكة، فلم يملك نفسه^(٦)، فالقتال في غير

(١) الرخج: كورة ومدينة من نواحي كابل / معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٨.

(٢) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٨٨-١٨٩، المنتظم: ج ٤، ص ٣٩٦.

(٤) نفس المصدر: ص ١٩٠.

(٥) المنتظم: ج ٤، ص ٣٩٦.

(٦) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥.

موطن يدل على مشاركات ثورية مختلفة لسعيد، وهي بحسب القرائن بدأت بالجماجم لما لها من أهمية، ولا ينبغي أن يكون قد وقف الى جانب ابن الأشعث قبلها، ويؤكد هذا المعنى قول الطبري: لما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه، فلما هزم عبد الرحمن وهرب الى بلاد رتبيل هرب سعيد^(١). إن هزيمة ابن الأشعث الأخيرة كانت الى بلاد رتبيل، ولم تكن بعد وقعة دير الجماجم مباشرة، فسعيد قد بقي مع ابن الأشعث مرابطاً في المواقع الأخرى ولعلهما ذهبا معاً فاختار سعيد بلداً غير سجستان أو أنه ذهب الى هناك ثم غادره نتيجة لحدوث اختلافات في جيش ابن الأشعث^(٢).

عيال الثوار

لم يكتف الحجاج بقتل الثوار الذين خرجوا مع ابن الأشعث، بل عمد إلى تسيير عوائلهم الى قصر المسيرين، وكان لعبد الرحمن بن زياد، وهو قصر في جوف قصر، فحبسهم فيه^(٣)، وقال المدائني: كان الحجاج إذا قتل رجلاً فتزوجت امرأته كف عنها، وإذا لم تتزوج حبسها في قصر المسيرين، فحبس من قدر عليه من نساء أصحاب ابن الأشعث^(٤).

ولم يحدثنا التاريخ عن مصير تلك العوائل، فإذا كانت أسرة سعيد شملها قرار الاعتقال، فمعنى ذلك أنها أطلق سراحها فيما بعد، لأنها كانت

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠.

(٢) نفس المصدر: ص ١٧٤.

(٣) فتوح البلدان: ج ٢ ص ٤٣٦.

(٤) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٩١.

من الهجرة إلى الاعتقال ٢٤٩

قد التقت بسعيد عندما جيء به إلى الحجاج^(١)، وربما فرّت بعد الثورة
والتحقت بسعيد.

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٢-٣٣٣ وص ٣٣٨، كتاب المتوارين: ص ٥٧، تذكرة
الحفاظ: ج ١، ص ٧٦.

القسم الرابع

سعيد بن جبير

من الهجرة إلى الشهادة



الفصل الاول

من الهجرة إلى الاعتقال

الهجرة بعد ثورة القراء أو دير الجماجم

لقد التحق سعيد بن جبير بثورة القراء. وعندما لم يستطع ذلك الجمع من الثوار إلحاق الهزيمة بالحجاج وجنده تفرقوا في البلدان ليعيشوا حالة الاختفاء، وكان منهم سعيد. وليس هناك من يشك في أصل هجرته ولكن الاختلاف في الفترة الزمنية التي دخل فيها بعض المدن أو المدن التي جابها.

ومن هنا كان من اللازم أن نلقي نظرة على بعض المصادر توضيحاً للحقيقة لتحدث بعد ذلك عما يرتبط به في تلك الأصقاع:

١- جاء في سير أعلام النبلاء عن عمر بن حبيب قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث^(١).

وعن القاسم بن أبي أيوب: كان سعيد بن جبير بأصبهان ...^(٢).

وقال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير بفارس وكان يتحزّن، يقول: ليس احد يسألني عن شيء^(٣). وعن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين حصين قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت: إن هذا الرجل قادم يعني

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

خالد بن عبد الله ولا آمنه عليك، ... فقدم خالد مكة فأرسل اليه فاخذه^(١).
وعن عتبة مولى الحجاج قال: حضرت سعيدا حين أتى به الحجاج
بواسطة...^(٢).

ويستفاد من هذه النصوص:

أ- ذهاب سعيد إلى اصفهان.

ب- دخول سعيد فارس، والأرجح أن المقصود منها بلاد فارس
وليس المحافظة المعروفة اليوم ومركزها شيراز، وعليه فإن اصفهان جزء من
هذه البلاد، ولكن مرة يطلق الكل ويراد منه الجزء وأخرى يطلق الجزء
ويقصد منه الجزء، فذهابه إلى فارس أي إلى اصفهان، ومما يؤكد هذا
المعنى أن الراوي هو عطاء بن السائب والذي التقى سعيدا في اصفهان^(٣).

ج- رجوع سعيد من اصفهان إلى الكوفة، وهذا يعني انه لم يذهب
إلى مكة من اصفهان وإنما كانت رحلته إليها بعد أن رجع إلى الكوفة، ومن
الأخيرة كان يحرم للعمرة والحج^(٤).

د- الرحيل إلى مكة وكانت آخر محطة للاختفاء.

هـ- لم يتطرق الذهبي إلى المدن الأخرى كما لم يتعرض إلى أول
بلد نزل به بعد دير الجماجم.

٢- ورد في كتاب البداية والنهاية: كان من جملة من خرج مع ابن

(١) نفس المصدر ص ٣٢٧.

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٨.

(٣) طبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٣٦٧.

(٤) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٥.

الاشعث على الحجاج، فلما ظفر [الحجاج] هرب سعيد الى أصفهان، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين: مرة للعمرة ومرة للحج، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها، وكان بخراسان لا يتحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك^(١).

وفهم منه:

أ- ان هروب سعيد الى أصفهان كان بعد ظفر الحجاج ولم يذهب الى مكان اخر، وكان يتردد على مكة مرتين من أصفهان.

ب- إن دخوله الكوفة في فترة الاستقرار في أصفهان فهو يمر على الكوفة وربما يكون الدخول حينما يقصد الحج والعمرة.

ج- كان في خراسان، والذي نرجحه أن المراد من خراسان جميع بلاد إيران، وليس المحافظة التي تقع اليوم في الشمال الشرقي، وتعرف باسم مشهد محل دفن الإمام علي بن موسى الرضا، فمن الممكن حينئذ أن يراد من خراسان أصفهان، لأنها كانت جزء منها، لا أنه سافر إلى تلك المحافظة.

د- لم يتطرق المصنف إلى المناطق الأخرى التي نزلها سعيد.

٣- وفي تهذيب التهذيب: لما هزم ابن الاشعث هرب سعيد بن جبير إلى مكة، فأخذه خالد القسري بعد مدة وبعث به الى الحجاج^(٢).

وقال هشيم: حدثني عتبة مولى الحجاج قال: حضرت سعيد بن جبير حين أتى به الحجاج بواسط^(٣).

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٦.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٢.

(٣) نفس المصدر.

ويستنتج منه:

- أ- إن سعيداً بعد هزيمة ابن الأشعث هرب إلى مكة.
- ب- إنه نقل إلى واسط وكانت المحطة الأخيرة.
- ج- لم يشر هيثم إلى أصفهان أو الكوفة وغيرهما.
- ٤- وفي الطبقات الكبرى: لما انهزم أهل دير الجماجم، لحق سعيد بن جبیر بمكة فأخذه خالد بن عبد الله فحمله إلى الحجاج^(١).
- وعن محمد بن سيرين قال: كان سعيد بن جبیر خائفاً أنه فعل ما فعل ثم أتى مكة يفتي الناس^(٢).

والمتحصل منه

- أ- أن سعيداً ذهب إلى مكة بعد هزيمة أهل دير الجماجم، دون سواها.
- ب- نقل من مكة إلى الحجاج.
- ج- لم يتعرض المصنف إلى البلدان الأخرى ولا إلى أصفهان.
- ٥- وفي تاريخ الطبري: عن أبي بكر بن عياش قال: كتب الحجاج إلى فلان، وكان على أصفهان، وكان سعيد بها قال الطبري: أظن لما هرب من الحجاج ذهب إلى أصفهان، فكتب إليه: أن سعيداً عندك فأنتى (أي سعيد) إذريبجان واعتمر^(٣) فخرج إلى مكة فاقام بها^(٤).

(١) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٦٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ورد في بعض المصادر "فاغتم" بدلا من "واعتمر" والانسب ما جاء في تاريخ الطبري إذ الغم لا يتناسب، والجملة إذ أن ذكر "مكة" يمكن أن يكون قرينة على العمرة. وورد في بعض المصادر: "ثم طال عليه المقام" كما في تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٦٥.

(٤) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٦٠.

ويعرف منه:

أ- إن سعيداً ذهب الى أصفهان كما يظن الطبري وكان ذهابه بعد أن هرب من الحجاج.

ب- ترك أصفهان حينما بلغ الخبر الحجاج.

ج- إستقر في اذربيجان.

د- خرج من اذربيجان الى مكة معتمراً فأقام بها.

هـ- لم يتطرق المصنف إلى الأسفار الأخرى.

٦- ورد في تاريخ ابن خلدون: لما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع، فكان معه الى أن هزم وسار إلى بلاد رتبيل، فلحق سعيد بأصفهان وكتب الحجاج فيه إلى عاملها ... فسار الى اذربيجان ثم طال عليه المقام، فخرج إلى مكة^(١).

ويعني:

أ- إن خروج سعيد الى أصفهان كان بعد النكسة مباشرة.

ب- ترك أصفهان لانكشاف أمره.

ج- ذهب الى اذربيجان واستقر بها مدة طويلة.

د- خرج الى مكة من اذربيجان.

هـ- لم يتناول المصنف الأسفار الأخرى.

٧- وفي كتاب الثقات: لما هزم ابن الاشعث بدير الجماجم هرب سعيد بن جبير الى مكة، فاخذه خالد بن عبد الله القسري^(٢).

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٦٥.

(٢) الثقات ج ٤ ص ٢٧٥.

ونفهم منه:

أ- أن هجرة سعيد كانت الى مكة بعد حادثة دير الجماجم مباشرة، وكانت المحطة الأولى والأخيرة.

ب- لم يتعرض المصنف الى الأسفار الأخرى.

٨- وفي فتوح البلدان: دخل سعيد بن جبير الري أيضاً، فلقبه الضحاك فكتب عنه التفسير^(١).

ويدل:

أ- أن سعيداً دخل الري.

ب- لم يتحدث المصنف عن بقية محطات سعيد.

٩- وفي الأنساب للسمعاني في الحديث عن الضحاك بن مزاحم الهلالي: إنما لقي سعيد بن جبير بالري، وأخذ عنه التفسير^(٢). ويفهم منه نفس ما يفهم من سابقه.

١٠- وفي كتاب تاريخ قم: إن سعيد بن جبير فرّ من الحجاج وجاء الى قم فاستقر في جمكران ستة أشهر عند بني أسد، وذلك للعلاقة بينه وبينهم ثم ذهب الى إذربيجان ومنها الى مكة، وألقي القبض عليه فيها، وأرسل الحجاج فقتله^(٣).

ويدل:

أ- إن ذهاب سعيد بعد دير الجماجم كان الى قم.

(١) فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٩٢.

(٢) الأنساب ج ٥ ص ٦٥٧.

(٣) تاريخ قم ص ٣٨.

ب- إستقر في قرية جمكران ستة أشهر، وكانت تربطه ببني أسد الذي استقروا في المنطقة علاقة.

ج- ذهب من قم الى اذربيجان.

د- رحل من اذربيجان الى مكة.

هـ- أرسل الى الحجاج من مكة.

و- لم يتحدث المصنّف عن المراحل الأخرى من حياة هجرة سعيد.

النتيجة:

١- إن بعض المصادر ذكرت مدنا لم تتطرق إليها المصادر الأخرى، ولكن هذا لا يستلزم التضارب فيما بينها لأن التي لم تذكر ربما اقتضت على بعضها، فهي لا تنفي رحيل سعيد إليها.

٢- إن المحطة الأولى لسعيد كانت أصفهان، كما جاء في بعض المصادر، وفي مصادر أخرى: مكة، ولكن يمكن أن يقال: إن عدم الإشارة الى محطات ما قبل مكة لا تعني النفي، فهو قد دخل مكة بعد واقعة دير الجماجم قطعاً إلا أنه ليس من الضروري أن يكون ذلك مباشرة.

٣- إن الترتيب الزمني لرحلته الى أصفهان وإذربيجان والكوفة ومكة وواسط واضح، ولكن الكلام في أن نزوله قم كان أولاً أو أنه حطّ رحله في الري قبلها، فقم بالنسبة الى القادم من الكوفة أقرب من الري ولعلّه ذهب الى الأخيرة ثم عاد الى قم، ومما يرجّح هذا الاحتمال قول صاحب كتاب تاريخ قم إنه رحل من قم الى اصفهان، ووفقاً لهذا الترتيب ستتطرق لتلك المحطات.

الهجرة الأولى: إلى الري

رحل سعيد بن جبیر إلى الري، ومما يدل على أنه وصل الري واستقر فيها ما قاله بكر بن الهيثم: دخل سعيد بن جبیر الري أيضا فلقية الضحاک، فكتب عنه التفسير^(١) وقد أكد السمعاني هذه الحقيقة في حديثه عن الضحاک بن مزاحم الهلالي حيث قال: إنما لقي سعيد بن جبیر بالري وأخذ عنه التفسير^(٢) ولم يذكر المؤرخون مدة إقامته هناك. والري: إحدى المدن الإيرانية المهمة والكبيرة، حكى الاصطخري أنها كانت أكبر من أصبهان^(٣).

وقال: «مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها»^(٤)، وقد فتحها أهل الكوفة^(٥).

الهجرة الثانية: إلى قم

قم إحدى المدن الإيرانية وهي مدينة مستحدثة إسلامية، مصرها طلحة بن الأحمص الأشعري^(٦)، وقد افتتحها أبو موسى الأشعري، وقيل الأحنف بن قيس سنة (٢٣ هـ)^(٧).

وكان تمصيرها بدء سنة (٨٣ هـ) وذلك أن أبناء سعد بن مالك بن

(١) فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٩٢.

(٢) الانساب للسمعاني ج ٥ ص ٦٥٧.

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ١١٧.

(٤) نفس المصدر ص ١١٨.

(٥) نفس المصدر ص ١١٧.

(٦) معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٩٧.

(٧) فتوح البلدان: ج ٢، ص ٣٨٣.

عامر الأشعري قد فروا مع عبد الرحمن بن الأشعث إثر هزيمة الأخير وفشل ثورته، وهم عبد الله والأحوص وعبد الرحمن واسحاق ونعيم، فوقعوا إلى الناحية التي بنيت بها قم، وكانت في تلك الناحية قرى سبعة بعضها قرب بعض، ولكل قرية إسم واسم إحدى القرى كميدان، فنزل الأخوة على طرف نهر وبنو البنيان وصارت القرى سبع محلات من البلدة، ولقبت حصونها بها وسميت البلدة باسم قرية واحدة وهي كميدان، فاسقطوا بعض الحروف للإيجاز والاختصار، وأبدلوا الكاف بالقاف على ما جرت به عادة العرب وسموا الموضع بقم، وكان متقدم هولاء الأخوة عبد الله بن سعد وكان له ولد قد ربي بالكوفة واسمه موسى فانتقل منها إلى قم وكان إمامياً فهو الذي نقل التشيع إلى أهلها^(١).

وقد استقر سعيد بن جبير في قم لينتقل بعد ذلك إلى جملكران^(٢) وهي قرية تبعد عن قم حدود ٧ كيلو متر في الجنوب الشرقي منها^(٣) وقد امتد إليها البناء اليوم فأصبحت جزء منها، وكان في جملكران خطاب بن أسدي من قبيلة بن أسد، وقد بنى أول مسجد هناك وكان يصلي فيه وحده^(٤) ومن الطبيعي أن يرتبط بهؤلاء العرب القادمين من الكوفة، وذلك لعدة عوامل:

(١) الانساب: ج ٤، ص ٥٤٢.

(٢) تاريخ قم: ص ٣٨.

(٣) دائرة المعارف تشيع: ج ٥، ص ٤٤١.

(٤) تاريخ قم: ص ٣٨.

(١) العامل الجغرافي: إن الأشاعرة وبني أسد من الكوفة وسعيد كوفي أيضاً.

(٢) العامل القبلي: إن سعيد بن جبیر ينتمي الى قبيلة بني أسد التي انتقل بعض أبنائها الى قم وجمكران.

(٣) العامل العقائدي: إن القادمين من الكوفة شيعة وسعيد بن جبیر من الموالين لأهل البيت عليه السلام وهو تلميذ الإمام علي بن الحسين.

(٤) العامل الجهادي: لقد شارك الأشاعرة في ثورة دير الجماجم وقاتلوا مع بقية الثوار وكان سعيد من رجال تلك الثورة أيضاً.

بقي سعيد في جمكران ستة أشهر^(١)، ثم قرر بعدها الهجرة، ولم تتعرض الكثير من المصادر لأسباب هذه الرحلة.

الهجرة الثالثة: نحو اصفهان^(٢):

أصبهان « مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها وكانت مدينتها أولاً جيّاً ثم صارت اليهودية »^(٣) قال البلاذري: وكان فتح أصبهان ورسايتها في بعض سنة ٢٣ وبعض ٢٤ في خلافة عمر^(٤) ويرى أهل الكوفة

(١) تاريخ قم: ص ٣٨.

(٢) ذكر اخبار اصبهان ج ١ ص ٣٢٤، وج ٢ ص ٣٤٣ تهذيب الكمال ج ٢٣ ص ٣٣٨،

طبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٣٢٤ وص ٣٤٣، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٧٨،

الانساب للسمعاني ج ٤ ص ٣٢٨.

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٢٠٧.

(٤) نفس المصدر ص ٢١٠.

أن فتحها كان لهم^(١) « خرج منها جماعة من العلماء في كل فن قديما وحديثا وصنّف في تاريخها كتب عدة قديما وحديثا^(٢) وفي تلك البقعة نزل سعيد بن جبير في قرية سنبلان، وبقي فيها سنتين^(٣)، فارتبط به البعض هناك واحتفى به أهلها وذاع صيته، وكان مصلاه في المسجد المعروف بجلجلة بن بديل التميمي^(٤) ولم يكن يحاول أن يحدث هناك معللا ذلك بقوله: إنشربك حيث تعرف^(٥). ولعل ما ينقله كلثوم بن جبر أن رجلا سأل سعيد بن جبير عن شيء فلم يجبه، فقليل له، فقال: أزايشان^(٦) يرتبط بتلك الفترة. وفي مقابل ذلك هناك ما يدل على أنه كان يتألم، لأنه لم يسأله أحد عن شيء كما يروي عطاء بن السائب قال: دخلنا على سعيد بن جبير بأصبهان وهو يتحرك فقلنا: مالك؟ فقال: ما سألتني أحد عن شيء^(٧) ولعل نصوص الطائفة الاولى ترتبط بزمن غير زمن الطائفة الثانية. ومما يذكر عن تلك المرحلة: أنه كان له غلام مجوسي يخدمه وكان يأتيه بالمصحف في غلافه^(٨).

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر ص ١٧٥.

(٣) تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٣٣٧-٣٣٨، ذكر اخبار اصبهان ج ١ ص ٣٢٤، وفي الانساب للسمعاني ج ٣ ص ٣١٣ قال ابو بكر ابن مردويه: هي محلة من محال أصبهان.

(٤) ذكر اخبار اصبهان ج ١ ص ٣٢٤.

(٥) نفس المصدر.

(٦) سنن الدارمي ج ١ ص ١٠٩.

(٧) طبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٣٦٧.

(٨) ذكر اخبار اصبهان ج ٢ ص ٣٤٣.

وحدّث عنه من أهل اصبهان جماعة منهم جعفر بن أبي المغيرة وحجر الأصبهاني ويزيد بن هزاري والقاسم بن أبي أيوب^(١) وأبو جعفر أحمد بن سليمان بن يوسف بن صالح بن زياد بن عبد الله العقيلي الفابزاني وذكر أنه (أي سعيد) مرّ بهم، فلقيه فسأله^(٢).

لقد تحوّلت تلك البرهة الزمنية التي عاشها سعيد في أصفهان الى صفحة مضيئة في تاريخ المدينة، فدخلت قرية سنبلان الكتب، وكانت رؤية سعيد من دواعي فخر الأصفهانيين، فما هو دليل السنبلاني يذكر انه رأى سعيد بن جبیر بأصبهان^(٣).

وأخيرا قرر سعيد الرحيل، فقد كتب الحجاج الى عاملها يطالبه بإلقاء القبض عليه، فتحرّج من ذلك وأخبر سعيد بالأمر فسار الى إذربيجان^(٤).

الهجرة الرابعة: إلى إذربيجان

واذربيجان من مدن إيران «وهو صقع جليل ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال وفيه قلاع كثيرة وخيرات واسعة وفواكه جمّة»^(٥) فتحت أيام عمر بن الخطاب على يد حذيفة بن اليمان، وعن الواقدي: غزا المغيرة بن شعبة إذربيجان من الكوفة سنة اثنتين وعشرين ففتحها عنوة.

(١) ذكر اخبار اصبهان ج ١ ص ٣٢٤، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٧٨.

(٢) الانساب: ج ٤ ص ٣٢٨.

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٣١٣.

(٤) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٦٠، تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٦٥، البداية والنهاية لابن

كثير ج ٩ ص ١١٣.

(٥) معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨.

من الهجرة إلى الاعتقال ٢٦٧

وقال المدائني: لما هزم المشركون بنهاوند رجع الناس إلى أمصارهم وبقي أهل الكوفة مع حذيفة فغزا بهم اذريجان^(١).

لقد اختار سعيد الهجرة إليها بعد أن علم بما يبيت له الحجاج من خلال مطالبة والي أصفهان بالقاء القبض عليه فترك أصفهان واستقر في اذريجان فطال عليه المقام^(٢)، ولعل السبب في اختيار اذريجان هو بُعدها عن مركز السلطة، لاسيما وأنها كانت منطقة جبلية نائية عن الطريق العام الذي يربط البلدان.

الهجرة الخامسة: الكوفة

عاد سعيد بن جبير إلى الكوفة بعد سنوات من الغربة والعناء، وفي الكوفة لم ينقطع عن التحديث^(٣).

الهجرة السادسة: إلى مكة

لم يكن سعيد ينقطع عن مكة فترة اختفائه اثر معركة دير الجماجم والذي استمر حدود اثنتي عشرة سنة^(٤). فقد كان يتردد عليها حاجا أو معتمرا^(٥) ولكنه صمّم أن يستقر فيها مهما كلف الثمن وإن عاش متخفيا عن انظار السلطة.

(١) معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٦٥.

(٣) ذكر اخبار اصفهان ج ١ ص ٣٢٤.

(٤) البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٦.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢٥، البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٦.

يقول الزهري: أتاني سعيد بن جبیر بمنى فقال: أتخاف عليّ صاحبك؟ قلت: لا، بل آمن، يعني عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف^(١).

وفي خبر آخر عن معمر، قال: سمعت الزهري يقول: حج عمر بن عبد العزيز وأنا معه فجاءني سعيد بن جبیر ليلاً وهو في خوفه فدخل منزلي فقال: هل تخاف عليّ صاحبك؟ فقلت: لا، بل إئمن^(٢).

وليس هناك تناف بين أن يكون اللقاء بمنى أو في منزل الزهري، فلعل المنزل كان في منى.

ولم يدع سعيد مهمته كعالم يفتي الناس رغم ما كان يعانيه من مطاردة، فعن يحيى بن عتيق عن محمد قال: كان سعيد بن جبیر خائفاً أنه فعل ما فعل ثم أتى مكة يفتي الناس^(٣) وبقي مرابطاً في مكة إلى ساعة الاعتقال.

الحجّ قبل إلقاء القبض على سعيد بن جبیر:

كان والي الحجاز (مكة والمدينة) عمر بن عبد العزيز وفي عهده كان الوضع هادئاً جداً، فلم يستخدم عمر البطش والقتل، وكان يلجأ إلى مكة والمدينة كلّ من خاف الحجاج فيأمن^(٤)، وكان يحاول أن يدفع السلطة لاتخاذ أسلوب المداراة ونبذ كلّ ما يمكن أن يؤدي إلى العنف. ومن هنا كتب إلى الوليد كتاباً يخبره بعسف الحجاج على أهل عمله بالعراق

(١) التاريخ الصغير ج ١ ص ٢٥٤.

(٢) العلل لأحمد بن حنبل ج ١ ص ١٨٦.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٢٠٢.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جناية. وبلغ الخبر الحجاج فكتب إلى الوليد كتاباً وضح فيه أن مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة وأن ذلك وهن. وجاء رد الوليد إلى الحجاج يطالبه بترشيح رجلين يلبان أمر المدينة ومكة، فكان اختيار الحجاج عثمان بن حيان للمدينة، وخالد بن عبد الله لمكة فولأهما، وعزل عمر بن عبد العزيز^(١).

وقد اختلف المؤرخون في سنة العزل والتولية، فذهب الواقدي إلى أن عمر عزل عن مكة سنة ٨٩ وعن المدينة سنة ٩٤^(٢)، وأما فيري أن العزل عن مكة كان سنة ٩١، وعن المدينة سنة ٩٣^(٣)، وهذا يعني أن العزل عن مكة تحقق أولاً، ثم عن المدينة، وأن خالد بن عبد الله ولي الأمر قبل عثمان بن حيان، ولكن من البعيد أن يكون العزل عن مكة تقدّم على المدينة أربع سنوات على رواية الواقدي، وستين على رواية غيره، والذي ترجّحه هو أن العزل وتولية الواليين تمت في وقت متقارب إن لم نقل في نفس الوقت ويؤكد هذا الترجيح:

١- ما ذكره ابن خلدون في أحداث سنة ٩٣ يقول: ولّى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسري وعثمان بن حيان بإشارة من الحجاج، وعزل عمر عن الحجاز، وذلك في شعبان من السنة^(٤).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٥٦.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٢٥ وص ٢٥٧.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٤٣ وص ٢٥٦.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

٢- إن مجريات الاحداث والتأكيد في مرسوم ملكي صادر من الوليد على القاء القبض على سعيد بن جبیر^(١)، لا تتحمل كل هذه المدة الزمنية، فلقد جاء خالد إلى مكة في مهام، ولعل أهمها اعتقال سعيد، فلا يتصور أن تمضي سنوات وسعيد في مكة ولا يمكنه العثور عليه، وقد ملأ البلد بالجواسيس والعيون^(٢).

ومما يؤيد هذا الكلام ما رواه ابن قتيبة حيث ذكر قدوم خالد إلى مكة وقراءته لكتاب الحاكم الاموي والذي جاء فيه: برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبیر، وما قاله خالد في طلب سعيد، وأنه أجّل الناس ثلاثة ايام ليأتوا به.

قال ابن قتيبة بعد ذلك: فأتى رجل إلى خالد فقال له: إن سعيد بن جبیر بواد من أودية مكة مختفياً بمكان كذا^(٣). وهذا النص يكشف عن التقارب الزمني بين مجيء خالد والقاء القبض على سعيد والمقصود من التقارب الزمني مضي مدة قصيرة^(٤).

مدة الاختفاء:

لقد عاش سعيد بن جبیر قريباً من اثنتي عشرة سنة مطارداً مختفياً عن أعين الحجاج الثقفي^(٥)، قضاها مهاجراً في البلدان المختلفة، كان آخرها

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

(٤) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢.

(٥) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦.

اذربيجان فطال عليه السنون واعتمر فخرج إلى مكة فأقام بها وكان أناس من ضربه يستخوف فلا يخبرون بأسمائهم^(١).

إن هذه الفترة الزمنية طويلة جداً في ظل حكم الحجاج الذي امتد بطشه إلى البقاع المختلفة ولم يكن هناك مأمن منه بشكل دائم، كما يتضح في كلامنا عن الهجرة في حياة سعيد، فلم يتخلص منه وهو في اصفهان ولم يكن البيت الحرام ملاذاً آمناً رغم أن عمر بن عبد العزيز حاول أن يمنح المخالفين للحجاج الأمان، إلا أنه كان أقوى من عمر، وقد استطاع عزله عن ولاية الحجاز.

ويروي عثمان بن بوذويه عن فترة الاختفاء فيقول: كنت مع وهب بن منبه وسعيد بن جبير يوم عرفة، فقال وهب لسعيد بن جبير: أبا عبد الله كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل، فجاءني الذي في بطنها وقد جرح وجهه^(٢). أي أنه أصبح صبيماً يتحرك ويمشي.

تحذيرات على اعتاب قدوم الوالي:

لم يكن خالد بن عبد الله يصل مكة حتى أخذ الشعور بالخوف يدب في النفوس، فعن أبي حصين قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت: إن هذا الرجل قادم - يعني خالد بن عبد الله - ولم يقدم، ولا آمنه عليك فأطعني واخرج، قال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله عز وجل^(٣)، فقلت:

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٧، سير اعلام النبلاء:

ج ٤، ص ٣٢٧.

(٣) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٧.

والله إني لإراك كما سمتك أمك^(١)، قال: فقدم مكة، فأرسل اليه فأخذه^(٢).
 وذكر البعض بعد قوله: «حتى استحيت من الله»: سيجيئني ما كتب
 الله لي، قلت: أظنك والله سعيداً كما سمتك أمك، قال: فقدم ذلك الرجل إلى
 مكة، فأرسل فأخذ فلان له وكلمه فجعل يدبره^(٣).
 ونقل اخرون: فقال سعيد: والله لقد استحيت من الله مما أفر ولا مفر
 من قدره^(٤).

تتضمن هذه النصوص مجموعة من التساؤلات:

١- كيف علم أبو حصين بأن خالداً قادم ولم يكن قدم بعد؟
 إن مجريات الاحداث المتتالية وربما ما دار بين عمر بن عبد العزيز
 والوليد، وهو والحجاج، تسرب إلى العامة، وإن خبر الوالي الجديد سبق
 وصوله. إن ابا حصين يقول: بلغنا أن فلاناً قد أمر على مكة^(٥) ولم يوضح
 أكثر من ذلك.

٢- كيف عرف ابو الحصين خطر خالد ولم يتسلم مهامه بعد؟
 لقد قال ابن حصين لسعيد عن خالد: لا آمنه عليك، ولم يرد عليه
 سعيد بأن الامر ليس كما تقول، أو أن الوالي لم نجربه حتى الآن، بل رد:
 والله لقد فررت حتى استحيت من الله، وعندما سمع ابن حصين هذا الرد

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٦-٥٧.

(٢) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٧.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٤) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠.

منه لم يتوان عن التصريح بالمصير المحتوم: والله إنني لأراك كما سمتك أمك.

إن أبا حصين لم يكن يتردد قط في خطر خالد على سعيد فمن أين وصل إلى هذا اليقين؟

لقد كان أبو حصين يعرف خالداً إما مباشرة، أو لأختار الحجاج له، والحجاج لا يختار صالحاً قط، أو للمهمة التي أنيطت به، ولذا يقول عنه: إن هذا الرجل لا يؤمن وهو رجل سوء وأنا أتقيه عليك فأظعن واشخص^(١).
خالد في مكة:

وصل خبر قدوم الوالي الجديد مكة قبل أن يدخلها بفترة من الزمن كما مر في رواية أبي حصين، ويعني ذلك حدوث تغير في نمط تعامل السلطة، فوالي الامس أي عمر بن عبد العزيز لم يكن سفاكاً للدماء، أو مستهتراً بالقيم، ولكن الوالي القادم سيكون على طرف النقيض؛ لأنه يحمل مشروع تصفية المخالفين وتهجير غير المرغوب بهم، وليس هناك حرمة لمقدس في قاموسه.

تصرمت الليالي والايام وإذا بخالد بن عبد الله في المسجد يخرج طوماراً مختوماً ويفضّه ويصعد المنبر ليقراً كتاب ملك الشام وكان موجّهاً إلى أهل مكة: أما بعد، فإني وليت عليكم خالد بن عبد القسري فأسمعوا له وأطيعوا، ولا يجعلن امرؤ على نفسه سيلاً، فإنما هو القتل لا غير، وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام، ثم التفت اليهم خالد وقال: والذي نحلف به ونحجّ إليه لا أجده في دار أحد إلا قتلته وهدمت داره

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠.

ودار كل من جاوره واستبحت حرمة، وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام، ثم نزل^(١).

لقد توضحّت معالم مخطط القسري، فالمطلوب الأول في القائمة سعيد بن جبير، ومثل هذا القرار ينبئ عن أهمية الشخصية التي يراد اعتقالها، فالسلطة بدءاً من الشام وانتهاء بمكة ومروراً بالعراق تفكّر في القضاء عليه. إنها شخصية خطيرة للغاية لا تغمض عين لرجال الحكم مالم يتم تصفيتيها، فهي تقلقهم وتقض مضاجعهم وتشغل بالهم، فالبدار البدار مهما كانت النتائج والثمر، فليس المهم أن يعزل ابن عم الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإنما المهم القضاء على سعيد.

قرار الاعتقال:

ذكر المؤرخون أخباراً مختلفة فيما يتعلّق باعتقال سعيد بن جبير يمكن تلخيصها كالتالي:

١- كانت أوامر الاعتقال صدرت من الوليد نفسه، فقد أمر خالد بن عبد الله بحمل أهل العراق إلى الحجاج وكان سعيد بن جبير منهم، وقد كتب إلى خالد: برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير، وكان الكتاب نفسه الذي تضمن ولاية خالد على مكة^(٢).

٢- أقدم خالد بن عبد الله القسري على اعتقال سعيد ولم يكن الحجاج رغباً بذلك، ولما رأى الحجاج سعيداً شتم خالداً قائلاً: لعن الله ابن النصرانية

(١) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥، الإمامة والسياسة: ج ٣، ص ٦٠.

- (ويعني خالداً) وقال: لقد كنت أعرف أنه بمكة وأعرف البيت الذي كان فيه^(١).
- ٣- بعث الحجاج نفراً أمرهم بطلب سعيد بن جبير فخرج القوم في طلبه يسألون عنه وعن موضعه^(٢)، وعن عون ابن أبي شداد العبدى قال: بلغني أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرين رجلاً من أهل الشام من خاصة أصحابه^(٣).
- ٤- إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواماً من أهل الشقاق فبعث خالد بهؤلاء إليه^(٤).
- ٥- كتب الحجاج إلى خالد بن عبد الله أن ابعث إليّ بسعيد بن جبير وطلق بن حبيب، فبعث بهما إليه^(٥).
- ٦- كتب الحجاج إلى الوليد أن أهل النفاق والشقاق قد لجأوا إلى مكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم، فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري^(٦).
- ٧- أخذ عبد الله بن أسد ابن أخي خالد سعيد بن جبير^(٧).

(١) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٢٦٢، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

(٣) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩١، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٩، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٨.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠-٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤.

(٥) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

(٦) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

(٧) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٥.

٨- خرج المتمسّس بن الأحوص وجماعته يطلبون سعيداً، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة له، فسألوه عنه، فقال الراهب: صفوه لي، فوصفوه له، فدلّهم عليه^(١).

هذا ما نقله المؤرخون وربما يبدو متضارباً في الوهلة الأولى، من هنا نحاول حل الاختلاف:

١- لقد كتب الحجاج إلى الوليد يوضّح له وضع مكة والمدينة، وأن عمر بن عبد العزيز حولهما إلى ملجأ للهاربين من سطوته^(٢).

٢- أوكل الوليد أمر ترشيح والييين لمكة والمدينة إلى الحجاج، فاختار خالد بن عبد الله وعثمان بن حيان^(٣).

٣- كان تأكيد الحجاج على سعيد بن جبير بالخصوص، فطلب من الوليد أن يأذن له بإلقاء القبض عليه^(٤).

٤- أمر الوليد خالد بن عبد الله القسري أن يعتقل سعيداً^(٥).

٥- كتب الحجاج إلى خالد القسري مؤكداً ضرورة الاعتقال^(٦).

٦- التقى خالد القبض على سعيد، وذلك بواسطة ابن أخيه عبد الله بن أسد^(٧)، وعندما جيء به إليه قال: أنت ممن يطلب أمير المؤمنين وأنت مقيم

(١) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩١، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٥٦، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

(٣) نفس المصدر.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

(٥) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

(٦) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

(٧) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٥.

في جواربي؟، فبعث به إلى الحجاج^(١).

٧- عندما ألقى خالد القبض على سعيد صعد المنبر وهو إلى جانب الكعبة، فقال: لو أن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أنقض هذا حجراً حجراً- ووضع يده على الكعبة- لنقضته حتّى أدعه غديراً ترده الابل^(٢).

٨- كان الحجاج أرسل مجموعة مكوّنة من عشرين رجلاً من أهل الشام بقيادة المتلمّس بن الاحوص ليأخذوا سعيداً ومن معه من خالد ويوصلونهم إليه^(٣)، ويدلّ عليه ما ورد «كتب الحجاج إلى خالد بن عبد الله أن ابعث إلي سعيد بن جبير وطلق بن حبيب فبعث بهما اليه»، فإذا كان المتلمّس ألقى القبض عليه مع وجود إذن الوليد، فلا داعي لأن يطلب من خالد ذلك.

تبقى هناك بعض الملاحظات التي ينبغي الإشارة إليها:

١- ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: جعل عثمان بن حيان يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الاشعث من العراق إلى الحجاج في القيود فتعلم منه خالد بن عبد الله القسري فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير^(٤).

إن هذا النص لا يمكن أن يكون صحيحاً، فخالد ومنذ البداية وكما اشارت النصوص التي أوردناها كان يخطط لاعتقال سعيد، وقد اختير لهذه المهمة، ويؤيده ما ذكره اليعقوبي: أن خالداً بعث عثمان إلى المدينة

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

(٢) نفس المصدر: ص ٦٠.

(٣) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩١، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٨.

(٤) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤.

لأخراج من بها من العراقيين^(١).

٢- روى الطبري وابن كثير وابن خلدون: لما رأى الحجاج سعيداً شتم خالداً القسري قال: لعن الله ابن النصرانية، وقال: لقد كنت أعرف أنه بمكة وأعرف البيت الذي كان فيه^(٢).

وهذا من عجيب الكلام فالحجاج طارد سعيداً في اصفهان حيث كتب إلى واليها أن يبعثه إليه^(٣)، وهو الذي كتب إلى الوليد يشكو عمر بن عبد العزيز وتهاونه في اعتقال العراقيين في مكة والمدينة، وهو الذي كتب إلى خالد لألقاء القبض، وهو الذي أرسل المتلمس بن الاحوص.

فكيف نقبل براءة الحجاج؟!

ولست أدري ما هو الداعي لتزيهه، فإذا كان لا يرغب باعتقال سعيد فلم أقدم على قتله بتلك الصورة الفجيعة وكان بالإمكان أن يودعه السجن كما اودع مجاهد بن جبیر^(٤) أو يطلق سراحه.

٣- أورد الذهبي والأصفهاني ما جاء عن عون بن أبي شداد: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد بن جبیر أرسل إليه قائداً يسمي المتلمس بن احوص في عشرين من أهل الشام، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعته فسألوه عنه؟ فقال: صفوه لي، فوصفوه، فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجداً يناجي بأعلى صوته، فدنوا وسلّموا، فرفع رأسه فأتم بقية

(١) تاريخ البعوي: ج ٢، ص ٢٩٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠ - ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

صلاته ثم ردّ عليهم السلام، فقالوا: إنا رسل الحجاج إليك فأجبه، قال: ولا بد من الإجابة، قالوا: لا بدّ، فحمد الله وأثنى عليه وقام معهم حتّى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم...^(١).

يتضمن هذا النص عدة أمور:

١- إن الحجاج أرسل المتلمّس وعشرين معه يطلبون سعيد بن جبير.
٢- إن هذه الجماعة أخذت تطلب سعيد بن جبير فرأت راهباً في صومعته فسألته عن سعيد.

٣- طلب الراهب أن يصفوا له سعيداً.

٤- وصفوه له فدّلهم عليه.

٥- ذهبوا فوجدوا سعيداً ساجداً يناجي بأعلى صوته.

٦- سلّموا عليه، فلم يرّد السلام إلّا بعد إتمام بقية صلاته.

٧- فقام سعيد مع المجموعة حتّى انتهى إلى دير الراهب.

ويرد على هذه الأمور ما يلي:

١- إن خالد القسري كان ألقي القبض على سعيد^(٢).

٢- ما هي علاقة الراهب بسعيد، ومن أين يدري بمكانه وهو في حالة اختفاء^(٣)، والراهب في صومعته لا يجوز له أن يدخل حرم مكة للنهي عن

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٨-٣٢٩، حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩١.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤ وص ٢٦٥، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١١، كتاب المتوارين: ص ٥٩، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

دخول غير المسلم اليها، وهو لا يعرف سعيداً، ولذا طلب أن يصفوه له كما يقول الخبر، ولم يكن سعيد يعيش قريباً من صومعة الراهب، ولذلك ذهبوا فوجدوا سعيداً ساجداً كما في النص، فهذا القسم من الخبر لا يمكن قبوله.

٣- أورد ابن قتيبة: ذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان والياً على أهل مكة، فبينما هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام والياً عليها، فدخل المسجد، فلما قضى سلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى في الدرجة الثالثة تحت مسلمة، أخرج طوماراً مختوماً ففضّه ثم قرأه على الناس، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أهل مكة، أما بعد: فإنّي وليت عليكم خالد بن عبد الله القسري، فأسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلنّ امرؤ على نفسه سبيلاً فإنما هو القتل لا غير، وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبیر والسلام^(١).

إن هذا الخبر يتضمّن نقطتين لا بدّ من مناقشتهما:

- ١- كان والي مكة مسلمة بن عبد الملك.
 - ٢- إنّ عبد الملك بن مروان عيّن خالد القسري والياً على مكة.
- أمّا النقطة الأولى فيردّها نصوص كثيرة تدل على أن الوالي السابق كان عمر بن عبد العزيز^(٢).
- وأمّا النقطة الثانية، فمردوده ايضاً بما دلّ على أن عبد الملك مات سنة

(١) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

٨٦^(١)، ولم يذكر أحد من المؤرخين أن خالداً ولي في تلك السنة، بل إن عمر بن عبد العزيز ولي سنة ٨٧^(٢)، وقد تقدّمت فترة ولايته على ولاية خالد.

الوشاية بسعيد:

كان سعيد قد اختفى في واد من أودية مكة^(٣)، لم يتعرض إليه أحد، ولكن ترهيب الوالي أو ترغيبه جعلت البعض يبيع آخرته ويوغل يده في دم عبد صالح من عبيد الله، وهكذا هو ديدن ضعاف النفوس وما أكثرهم في كل زمان ومكان، فهم يبيعون آبائهم وأمهاتهم تزلفاً إلى السلطان، وهذا هو شأن الواشي الذي تقرب إلى خالد بسعيد، فقد أتى خالداً فقال له: إن سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفياً بمكان كذا^(٤).

وعن حفص بن خالد قال: حدثني من سمع سعيد بن جبير يقول يوم أخذ: وشى بي واش في بلد الله الحرام، أكّله إلى الله^(٥).

رسول خالد:

عرف خالد القسري مكان سعيد، فأرسل في طلبه فأتاه الرسول، فلما نظر إليه الرسول قال: إنما أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك إليه، وأعوذ بالله من ذلك، فالحق بأي بلد شئت وأنا معك، قال له سعيد بن جبير: ألك هاهنا أهل وولد؟ قال: نعم، قال: إنهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذي

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢١٣.

(٢) نفس المصدر: ص ٢١٦.

(٣) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠.

(٤) نفس المصدر.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

كان ينالني، قال الرسول: فإني أكلهم إلى الله، فقال سعيد: لا يكون هذا. فأتى به إلى خالد فشده وثاقاً وبعث به إلى الحجاج^(١).

ولكن ربما ينافيها ما رواه المدائني عن محمد بن ذكوان قال: اخذ سعيداً عبد الله بن أسد بن أخي خالد قال له: قد كنت أكره أن يجري أمرك على يدي، قال: فهلا إذا كرهت ذلك قلت كما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾^{(٢)(٣)}.

والتنافي من وجهين:

١- ان سعيد بن جبير رفض الهروب في الخبر الأول، ولكنه يقول لعبد الله: فهلا إذا كرهت ذلك قلت كما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾، وهذا يعني أنه لو أعلمه بالنوايا كان بالإمكان أن يفرّ كما فرّ موسى بن عمران عليه السلام.

٢- ذكرت الرواية الأولى أن الذي جاء إلى سعيد كان رسول خالد، بينما ذكرت الثانية ان عبد الله بن أسد قد أخذه، وهناك فرق بين الرسول والجلالوزة الذين يأتون للأخذ وإلقاء القبض.

ويجاب عليه:

١- من الممكن أن يقصد سعيد رد كلام عبد الله بقراءته الآية، لا أنه كان يرغب في الفرار فيما لو علمه قبل ذلك، وكأنه يريد أن يقول: إن الاعتذار لا يكفي، بل كان عليك أن تكون كالعبد الصالح، وهذه هي مشكلة العصور فأمثال عبد الله ينقذون رغبات الظلمة ويرفعون شعار

(١) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٦٠-٦١.

(٢) القصص: ٢٠.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٥.

«المأمور معذور» وإلا فإن سعيداً كما ذكر الخبر الأول عُرض عليه الفرار فلم يقبل، نعم قد يقال: ان سعيداً رفض الفرار خوفاً من الحاق الضرر بالرسول، لا أنه لا يقبل الفرار في صورة عدم ترتب أضرار على الآخرين، ولكن يمكن رده بأن أبا حصين كان قد حذّره من خالد ورغبه بالفرار لكنه رفض المقترح.

٢- إن الرسول هو من يرسل في مهمة وهو لا يختلف من حيث نوع المهمة، فقد يحمل رسالة أو يأتي طالباً من الفرد الامتثال أمام الحاكم، وهذا ما يفهم من الخبر الأول «إنما أمرت بأخذك، وأتيت لأذهب بك»، فقد يقال: إن الرسول في الخبر هو نفسه عبد الله الذي ذكر في الخبر الثاني، ولكن طبيعة الاشياء تردّ ذلك لأن عبد الله لو كان عرض على سعيد فكرة الفرار لما كان هناك معنى لقوله: فهلاً إذا كرهت ذلك قلت كما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾.

نعم يمكن ان يقال: إن الرسول جاء أولاً وأعقبه مجيء عبد الله فتمّ اعتقاله.

وأخيراً ألقي القبض على سعيد:

إستطاعت الوشاية أن توصل الأجهزة الحاكمة إلى مكان سعيد، ولم يصدّق خالد أنه استطاع القاء القبض على المطلوب رقم واحد، ولذا قال له عندما جيء به اليه: أنت ممن يطلب أمير المؤمنين، وأنت مقيم في جوازي^(١). ودوّى نبأ الاعتقال في مكة فأعظم الناس أخذ سعيد^(٢)، فلقد عرفته

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

(٢) نفس المصدر.

مكة بيتها وشعابها وأهلها متعلماً يتلمذ في مدرسة عبد الله بن عباس وعالمها فقيهاً تفخر به الأمة، وإذا به اليوم يقاد إلى الموت؟ عجيب هي الدنيا فهي بالبلاء محفوفة وبالقدر معروفة لا تدوم أحوالها، فالعلماء الأبرار يقادون إلى المشائق ونطع القتل، والسفلاء والسفهاء والأراذل والناقصون يعيشون أحراراً؟ لقد تحقق لخالد ما كان يصبو إليه، فهو العبد الوفي لسيدته الوليد، ولا يعبد سواه ويدل على ذلك صعوده المنبر وهو إلى جانب الكعبة وقوله: لو أن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أنقض هذا حجراً حجراً- ووضع يده على الكعبة- لنقضته حتى أدعه غديراً ترده الابل^(١).

قائمة المعتقلين:

اختلف المؤرخون في المعتقلين الذين اقتيدوا إلى الحجاج.

١- ذكر ابن خلدون: سعيد بن جبیر ومجاهد بن جبیر وطلق بن حبيب^(٢).

٢- وذهب الطبري وابن كثير وصاحب المنتظم إلى انهم: عطاء بن ابي رباح وعمرو بن دينار ومجاهد بن جبیر وسعيد بن جبیر وطلق بن حبيب^(٣).

ولكن العجيب أن صاحب المنتظم أورد وفاة طلق بن حبيب ضمن أحداث سنة ٨٢^(٤).

(١) نفس المصدر: ص ٦٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

(٤) المنتظم: ج ٤، ص ٣٧٧.

٣- وروى صاحب كتاب المتوارين عن عثمان بن خيثم قال: رأيت سعيد بن جبير وطلق بن حبيب يطوفان بالبيت في كبول حين خرج بهما إلى الحجاج^(١).

٤- وجاء في كتاب العقد الفريد: لما أتى الحجاج بأسرى الجماجم أتى فيهم بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله الشخير وسعيد بن جبير وكان الشعبي ومطرف يريان التقية، وكان سعيد بن جبير لا يراها، وكان تقدم كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا خلّى سبيله، ومن زعم أنه مؤمن يضرب عنقه، فقال الحجاج للشعبي: وأنت ممن ألّب علينا مع ابن الاشعث، إشهد على نفسك بالكفر، فقال: أصلح الله الامير نبا بنا المنزل وأحزن بنا الجناح واستحلّسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنة لم نكن فيها برة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، قال: لله ابوك! لقد صدقت، ما بررتم بخروجكم علينا، ولا قويتهم، خلّو سبيل الشيخ.

ثم قال لمطرف: أتقر على نفسك بالكفر؟ قال: أصلح الله الامير، إنّ من شقّ العصا وسفك الدماء ونكث البيعة وفارق الجماعة وأخاف المسلمين لجدير بالكفر. فخلّى سبيله.

ثم قال لسعيد بن جبير: أتقر على نفسك بالكفر؟ قال: ما كفرت منذ آمنت بالله. فضرب عنقه^(٢).

٥- ما رواه ابن سعد عن هشام الدستوائي قال: رأيت سعيد بن جبير

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

(٢) العقد الفريد: ج ٢، ص ٤٦.

يطوف بالبيت مقيداً ورأيتہ دخل الكعبة عاشر عشرة مقيدین^(١).

ويمكن مناقشة النصوص بما يلي:

اولاً: إنّ ما ذكره ابن خلدون، لا ينافي ما اختاره غيره، حيث اقتصر على الثلاثة الذين لم يصدر عفو من قبل الحجاج بحقهم، خلافاً لعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار فقد عفا عنهما لأنهما كانا من أهل مكة^(٢).

ثانياً: إنّ ما ذهب اليه صاحب المنتظم من وفاة طلق بن حبيب سنة ٨٢ يردّه ما جاء في مصادر مختلفة تؤكد انه كان ضمن قائمة المعتقلين الذين ارسلوا إلى الحجاج، أي بعد سنة ٨٢ قطعاً، ولكنه مات في الطريق قبل أن يصل^(٣).

ثالثاً: إنّ ما رواه صاحب كتاب المتوارين لا يناقض وجود آخرين، فربما كان اعتقال سعيد وطلق قبل الآخرين، أو انهما طلبا السماح لهما بالطواف دون غيرهم، أو أن الراوي ذكر سعيداً وطلقاً ولم يتعرض للآخرين، ومما يؤيد هذا الاحتمال: رواية عبد الملك بن ابي سليمان قال: سمع خالد بن عبد الله صوت القيود فقال: ما هذا، ف قيل له: سعيد بن جبیر وطلق بن حبيب وأصحابهما يطوفون بالبيت^(٤)... فهذا الخبر يشير إلى وجود آخرين.

رابعاً: ما جاء في العقد الفريد نوع من الخلط بالنسبة إلى الأحداث فعامر الشعبي لم يكن في مكة، وإنما كان في الري، فقد لجأ إلى هناك بعد

(١) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

أن هزم الناس بالجماجم ونادى منادي الحجاج: من لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو أمانه فلحق ناس كثير بقتيبة، وكان فيمن لحق به عامر الشعبي، فكتب الحجاج إلى قتيبة: أما بعد فابعث إليّ بالشعبي حين تنظر في كتابي هذا فسرّح اليه.

وقد ذكر الطبري هذه القصة وما دار من حوار بينه وبين الحجاج ضمن حوادث سنة ٨٣^(١)، بينما كان اعتقال سعيد عقب ذلك بأكثر من عشر سنوات، ولم يذكر المؤرخون الشعبي ومطرف بن عبد الله ضمن القافلة التي كان سعيد بن جبير أحد أفرادها.

خامساً: ما رواه ابن سعد لا ينافي ما ذكره غيره، فربّما كانوا عشرة لم يبعث بهم جميعاً إلى الحجاج، أو أن من ذكرته المصادر الأخرى هم المعروفون منهم، وعلى أي حال فنحن نرجح ما ذكره الطبري ومن وافقه في النقل، فالمعتقلون هم:

١- سعيد بن جبير: قتله الحجاج.

٢- مجاهد بن جبير: حبس فما زال في السجن حتّى مات الحجاج.

٣- طلق بن حبيب: مات في الطريق قبل الوصول إلى الحجاج.

٤- عطاء بن أبي رباح: أطلق سراحه من قبل الحجاج؛ لأنه كان من أهل مكة.

٥- عمرو بن دينار: عفا عنه الحجاج؛ لأنه مكّي^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، المنتظم: ج ٤، ص ٤٥٠.

فما أورده صاحب كتاب المتوارين من ذبح الحجاج لطلق^(١) عارٍ عن
الصحة.

وداعاً أيها البيت الحرام:

هاهي اللحظات الاخيرة التي يعيشها سعيد بن جبیر في مكة التي تعدّ
أغلى شيء في حياته، فهي تحمل أجمل الذكريات بالنسبة اليه، ففيها البيت
الحرام مهوى فؤاده ومحطة عروجه إلى الله، وهو يدرك عظمة هذا المكان،
فعن يعلي بن حكيم قال: قال سعيد بن جبیر: ما رأيت أرعى لحرمة هذا
البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة تعلقت
بأستار الكعبة تدعو وتتضرع وتبكي حتى ماتت^(٢).

لقد حُفرت هذه الواقعة في ذاكرته وعُبرت عما يعتلج في نفسه تجاه
البيت، ومن هنا كان يرغب أن يودّعه الوداع الأخير.

وعن أبي مريم الدستوائي قال: رأيت سعيد بن جبیر مقيداً بمكة
واستأذن خالد بن عبد الله في توديع البيت، فأذن له، فطاف أسبوعاً وهو
مقيد وقد اتكأ عليّ أو قال على رجل، فقال: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَضَيْتَ لِلْحَجَّاجِ
قَتْلِي فَأَجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِّذُنُوبِي^(٣).

وعن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال: رأيت سعيد بن جبیر وطلق بن
حبيب يطوفان بالبيت في كبول حين خرج بهما إلى الحجاج^(٤).

(١) كتاب المتوارين: ص ٦٠.

(٢) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٤.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٥.

(٤) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

وعن هاشم الدستوائي قال: رأيت سعيد بن جبير يطوف بالبيت مقيداً، ورأيت دخل الكعبة عاشر عشرة مقيداً^(١).

وبناءً على ما مرّ، فإن خالداً أذن لسعيد بالطواف، ولكن روى عبد الملك بن أبي سليمان قال: سمع خالد بن عبد الله صوت القيود فقال: ما هذا؟ فقيل له: سعيد بن جبير وطلق بن حبيب وأصحابهما يطوفون بالبيت فقال: اقطعوا عليهم الطواف^(٢).

ويمكن التوفيق بين الخبرين بالقول إنه أذن له في أول الأمر وقد طاف سعيد أسبوعاً، ولكن أصوات القيود أثارت مخاوفه فأمر بقطع طوافهم.
عدد الجلاوزة:

تضاربت الروايات في عدد الجلاوزة الذين اقتادوا سعيداً من مكة إلى واسط.

١- في رواية عون ابن أبي شداد قال: بلغني أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير، أرسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى المتلمس ابن الاحوص ومعه عشرين رجلاً من أهل الشام من خاصة أصحابه^(٣).

٢- وفي رواية الاشجعي قال: لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزلاً منزلاً قريباً من الربذة^(٤) ومثل هذا العدد في رواية يزيد بن أبي زياد. فقال

(١) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩١.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١.

الحرسیان: لا نعبر حتّى يعطينا كفيلاً^(١).

٣- وفي رواية الاعمش يقول: لما جيء بسعيد بن جبیر وطلق بن حبيب وأصحابهما دخلت عليهما السجن فقلت: جاء بكم شرطي أو جويليز من مكة إلى القتل، أفلا كتفتموه والقيتموه في البرية، فقال سعيد: فمن كان يسقيه الماء إذا عطش^(٢).

فالعدد يدور بين واحد أو اثنين، أو واحد وعشرين، والأنسب هو الأخير، إذ ليس من المعقول أن يقوم شخص واحد أو إثنان بمهمة كهذه، وأن المعتقلين كانوا أربعة على الأقل، وأن فيهم من طالب الوليد بن عبد الملك بالقاء القبض عليه.

ومن هنا لا يمكن قبول رواية الاعمش، ومما يزيد في ضعفها: أنه ذكر طلق بن حبيب فيمن لقيهم في السجن، بينما كان توفي في الطريق. ثم إن الخوف على الجويليز أو الشرطي لا معنى له خصوصاً وأنه يريد أن يحملهم إلى الحجاج ليقتلهم، أو يقتل بعضهم، وكان من الممكن أن يحملوه معهم ويلوذوا بالفرار.

وأما رواية الأشجعي ويزيد بن أبي زياد فقد يراد منهما الحرسان الموكلان به على الخصوص، وإن هناك آخرين وكلوا بغيره.

(١) نفس المصدر.

(٢) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠.

الهجرة السابعة: هجرة الشهادة والخلود

حمل سعيد الى واسط ولم تكن هذه الهجرة كسابقاتها، ففي الماضي لم يحط به زبانية الحجاج أو يصفد بالاغلال، ولكنه في هذه المرة يقاد مغلولاً يسار به الى الموت. والهجرة هذه لن يكون بعدها هجرة فقد اظناه الحلّ والترحال غريباً يجوب الفيافي مخاطرأً بالنفس.

لقد كان ينتظر هذه الهجرة، فقد اشتاق الى لقاء الله (سبحانه وتعالى) ولا بد أن يرحل عبر قافلة الشهادة. ولكن عليه أن يعدّ العدة ويختار أكثر الكلمات وقعاً ليقول من خلالها الطاغية، فإذا لم تكن سيوف وسهام دير الجماجم ترزعزع العروش، فإن الكلمات قد تكون أشد وهو ما حصل بالفعل، فواسط شهدت أعظم ثورة وأكبر نزال حيث التقت جبهة الحق والباطل لينتهي بانتصار المظلوم الذي طوى صفحة الحجاج الى الأبد.

قصة الرحيل:

صدر المرسوم الحكومي باعتقال سعيد وبدأت أجهزة السلطة بالبحث والتحرّي فالمطلوب شخصية أفضت مضجع ملك دمشق وكبير عمّاله الحجاج، وآخرها كانت الوشاية طريقاً للوصول إلى الهدف. اعتقل سعيد وانتشر الخبر في أرجاء مكة انتشار النار في الهشيم، فسعيد فقيه يدعن له الجميع بالفضل وعنده تحطّ الرحال كما أنه كان في مكة المكرمة وحرّمها الآمن، فتفاعلت النفوس مع الحدث^(١).

(١) كتاب المتوارين: ص ٦٠.

عند دير الراهب:

سارت مجموعة المتلمس تحت الخطى نحو الحجاج لعلها تحظى برضاه وإن أسخطت ربها، ووصلت إلى دير اتخذها أحد الرهبان مكاناً لعبادته، ولما رآهم قال الراهب لهم: إصعدوا الدير فإن اللبوة والاسد يأويان حول الدير، فعجلوا الدخول قبل المساء. ففعلوا ذلك، وأبى سعيد أن يدخل الدير، فقالوا: ما نراك إلا وانت تريد الهرب منا، قال: لا! ولكن لا أدخل منزل مشرك أبداً، قالوا: فإننا لا ندعك فإن السباع تقتلك، قال سعيد: لا ضير إن معي ربي فيصرفها عني ويجعلها حرساً حولي يحرسوني من كل سوء إن شاء الله، قالوا: فأنت من الانبياء؟ قال: ما أنا من الانبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب. قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينة، فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد، قال سعيد: إنني أعطي العظيم الذي لا شريك له، لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله، فرضي الراهب: ذلك^(١).

كرامات الاولياء:

إن سعيداً مقتول لا محالة ها هي السباع ستمزقه إرباً أرباً، ومع ذلك على المرء أن يسعى لعله يدفع الحيوانات المفترسة، من هنا قال الراهب لتلك المجموعة المكلفة بإيصال سعيد إلى الحجاج: إصعدوا وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح، فإنه كره الدخول عليّ في الصومعة لمكانكم، فلما صعدوا وأوتروا القسي إذا هم بلبوة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد تحاكت به وتمسحت به ثم ربضت قريباً منه، وأقبل الاسد فصنع مثل ذلك، فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل إليه فسأله عن شرائع

(١) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩١-٢٩٢، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٨-٣٢٩، تهذيب

الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٩-٣٧٠.

دينه وسنن رسوله محمد ﷺ ففسّر له سعيد ذلك كله، فأسلم الراهب وحسن اسلامه، وأقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل، فصلّوا عليه وهم يقولون: يا سعيد قد حلّفتنا الحجاج بالطلاق والعناق إن نحن رأيناك لا ندعك حتّى ن شخصك اليه، فمرنا بما شئت قال: إمضوا لأمركم فإني لائذ بخالقي ولا رادّ لقضائه^(١).
رؤيا الحرس:

جاء بسعيد بن جبير من مكة فتزل به الحرس منزلاً قريباً من الربذة فنام أحد الحراس واستيقظ بعدها «وقد رأى رؤيا فقال: يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي فليل: وملك تبرأ من دم سعيد بن جبير إذ ذهب حيث شئت لا أطلبك أبداً، فقال سعيد: أرجو العافية وأرجو، وأبى.
وفي منزل آخر نزلوا من الغد، فأري مثلها فليل: أبرأ من دم سعيد فقال: يا سعيد إذ ذهب حيث شئت إني أبرأ إلى الله من دمك»^(٢).
وداع العيال:

ذكرت بعض النصوص التاريخية أن سعيد بن جبير التقى عياله بعد إلقاء القبض عليه.

قال ابو بكر بن عياش اخبرني يزيد أبو عبد الله^(٣): أتينا سعيد بن جبير

(١) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩٢، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٩، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١.

(٣) وهو يزيد بن ابي زياد مولى بني هاشم، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٨.

حين جيء به فإذا هو طيب النفس وبنية له في حجره، فنظرت إلى القيد فبكت، قال: فشيعناه إلى باب الحبس، قال له الحرس: إعطنا كفلاء نخاف أن تغرق نفسك، قال يزيد: فكننت فيمن كفل به^(١).

وعن عمر بن سعيد - وهو ابن أبي الحسين - قال: دعا سعيد بن جبیر ابنه حين دعي ليقتل، فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة^(٢).

ولكن يبقى السؤال اين كان اللقاء الاخير؟

ربما يقال في واسط، وذلك لأنهم شيعوه إلى باب الحبس والحبس في واسط، لأنه لم يحبس في الطريق ولكن مطالبة الحرس بالكفلاء لا تناسب ذلك فليس بين باب الحبس والمحبس نهر، ومن هنا لا يمكن قبول أن يكون التشيع إلى باب الحبس، والمناسب إلى باب الجسر كما ذكر الطبري والذهبي في نقله لهذه الرواية حيث أورد الطبري: فانتبهنا به إلى الجسر^(٣)، والذهبي: وشيعناه إلى الجسر^(٤).

ومن وجوه الاختلاف في نقل الرواية ما جاء في تاريخ الطبري: فقال الحرسيان: لا نعبر به أبداً حتى يعطينا كفلاً نخاف أن يغرق نفسه، قال: قلنا سعيد يغرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به^(٥).

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٧.

(٢) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٥، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٧٦، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١.

(٤) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٨.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١.

وفي سير اعلام النبلاء: فقال الحرس له: إعطنا كفيلاً فإننا نخاف أن تغرق نفسك، قال: فكننت فيمن كفل به^(١).

والاختلاف في عدد الحرس والكفيل ونفي أن يغرق سعيد نفسه ويمكن حل ذلك بالقول: إن نسبة الكلام إلى الحرسين والحرس لا يعني كلامهما معاً، وإنما المقصود الجهة، فمن حمل سعيد إلى الحجاج طالب بالكفيل ويكفي أن يتكلم أحدهم، ومع ذلك نسب الكلام إلى الجميع.

وأما بالنسبة إلى تعداد الحرس الذين جاؤا بسعيد من مكة فقد مضى الحديث عنه، إذ المراد من الحرسين من اختصاً به، وإلا فمجموع من قاموا بالمهمة مع المتمسّس عشرون. وهكذا الكلام في الكفيل والكفلاء فإن المقصود من الكفيل جنس الكفيل لا الواحد، وهو ما يمكن أن يراد من الكفلاء.

ولعل بعض القرائن تفيد أن اللقاء كان في الكوفة كما يستفاد من رواية يزيد بن أبي زياد - كما رواها الطبري - قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، جيء به مقيداً، فدخل عليه قرّاء أهل الكوفة، قلت: يا أبا عبد الله فحدثكم؟ قال: إي والله، ويضحك وهو يحدثنا وبنية له في حجره، فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت، فسمعتة يقول: أي بنية لا تطيري، إياك، وشقّ والله عليه، فاتّبعناه نشيعه فانتبهنا به إلى الجسر، فقال الحرسيان: لا نعبر به أبداً حتّى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يغرق نفسه، قال: قلنا سعيد يغرق نفسه؟ فما عبروا حتّى كفّلنا به^(٢).

وما رواه ابو بكر بن عياش قال: قيل ليزيد بن زياد هل كان سعيد

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١.

يحدث...، قال: وأخذ بكفلاء لثلا يلقي نفسه في الفرات إذا مرّ به فكنت من كفّل به في الآخرين^(١).

فدار سعيد لم تكن في واسط، ولقاء الكوفة به قرينة أخرى توحى بأنهم التقوا به في مدينتهم، كما أن الاجواء التي حكمت لقاءهم به لا تناسب أن يكون في مدينة الحجاج، ولا معنى لعبور الجسر والمطالبة بالكفلاء في واسط، والفرات لا يمر عبر هذه المدينة، هذا مضافاً إلى أن الراوي - يزيد بن أبي زياد - يعدّ من الكوفيين^(٢)، ويضاف إليه ما جاء في رواية عمر بن قيس: فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه^(٣)، فالأرجح أن يكون المتلمّس قد سلك به طريق الكوفة، وهو الأنسب من الناحية الجغرافية.

وقد يقال: إن النص الثاني يدل على أنه التقى بابنه في واسط، وذلك لقول الراوي: دعا سعيد ابنه حين دعي ليقّتل. والجواب: إن سعيداً كان دعي ليقّتل منذ أن القي القبض عليه، وليس بعد صدور قرار الحجاج في قصره، فقد كان يعلم بأنه مقتول حين خرج من مكة مع المتلمس وهو الذي كان يقول لما أخذ: ما أراني إلا مقتولاً^(٤).

لقاء الحبيب:

لقد قطع أفراد القافلة ذلك الطريق الطويل، وهامهم على أبواب واسط (فلما دخلوا إليها قال لهم سعيد: يا معشر القوم قد تحرّمت بكم وبصحبكم،

(١) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٧١.

(٢) التاريخ الكبير: ج ٨، ص ٣٣٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١.

(٤) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠.

ولست أشك أن أجلي قد حضر، وأن المدة قد انقضت، فدعوني الليلة آخذ أهبة للموت وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، وما يحثي عليّ من التراب فإذا أصبحت، فالميعاد بيني وبينكم الموضع الذي تريدون. قال بعضهم: لا نريد أثراً بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتكم أملككم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه. فقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد كيف تحاكت به وتمسحت به وحرسته إلى الصباح. فقال بعضهم: هو عليّ، أدفعه اليكم إن شاء الله. فنظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبرّ لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه، فقالوا بجماعتهم: يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نسرح اليك؟ الويل لنا ويلاً طويلاً، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور. فقال سعيد: ما أعذرني لكم وأرضاني لما سبق من علم الله تعالى فيّ. فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة والكلام فيما بينهم قال كفيله: أسألك بالله يا سعيد لما زودتنا من دعائك وكلامك، فإننا لن نلقى مثلك أبداً ولا نرى أنا نلتقي إلى يوم القيامة، ففعل سعيد ذلك، فخلوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله ينادون بالويل واللهف، فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير ففرع الباب، فقالوا: صاحبكم وربّ الكعبة، فنزلوا إليه وبكوا معه طويلاً ثم ذهبوا به إلى الحجاج وآخر معه^(١).

(١) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩٢-٢٩٣، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٩-٣٢٠. تهذيب

الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٠-٣٧١.

سجن سعيد بن جبير:

روى الاعمش: لما جيء بسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وأصحابهما دخلت عليه السجن...^(١).

إن هذه الرواية تدل على سجن سعيد، فأين سجن؟

الثابت من الناحية التاريخية عدم وصول طلق إلى واسط، فقد توفي في الطريق، فلا يمكن أن يكون المقصود سجن واسط إلا إذا كان الرواي يقصد أن طلقاً كان مع تلك المجموعة في الطريق لا في السجن، وأن الرواي دخل على هذه المجموعة السجن دون أن يكون طلق معها فالمحتمل أن يكون بناء على هذه الرواية: انه قد أمضى بعض الوقت في سجن بالكوفة في صورة المرور به على تلك المدينة. هذا إذا كان طلق وصلها ومات بعد ذلك، نعم وهناك ما يدل على أن سعيداً أدخل سجن الديماس، وهو من سجون واسط، عن أبي الجهم قال: دخل علينا سعيد بن جبير الديماس^(٢) ولم يكن لكل واحد منا فيه مقعد إلا قدر ما يمد رجله فأوسعت له إلى جنبتي، فلما كان يوم أخرج ليقتل قال لي: شدّ عليّ ثيابي، قال: فشددت عليه بركبتي قباء كان عليه من خلفه وخرج به فقتل^(٣).

لماذا البكاء؟

عن الربيع بن أبي صالح قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج، فبكى رجل فقال سعيد: ما يبكيك! قال: لما أصابك، قال: فلا

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠.

(٢) سجن للحجاج بن يوسف الثقفي، يسمى به لظلمته، تاج العروس: ج ٤، ص ١٥٤.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٧٢.

تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^{(١)(٢)}.

تعذيب سعيد بن جبير:

لم تتمكن سطوة الحجاج أن ترهب سعيداً، فجنّ جنون الحجاج ولجأ إلى أسلوب يتعاطاه الظلمة في كل عصر، إنه التعذيب، فأمر جلاوزته باستخدام هذه الطريقة لعلها تجدي أو تخفف من غضبه، فعن عبد العزيز بن زمعة العامري: إن الحجاج أرسل إلى سعيد بن جبير فأتي به فلما دخل عليه قال: أنت شقي بن كسير؟ قال: إنا سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير؟ قال: أُمي كانت اعلم باسمي منك، فقال لصاحب عذابه: أسمعني صوته. فعذبه صاحب العذاب فلم يسمع له الحجاج صوتاً، فقال له: ألم آمرك أن تصب عليه العذاب حتى تسمعني صوته؟ قال: قد عذبتَه بألوان العذاب فلم أر أصبر منه قط. فدعا به الحجاج فقال: أو تصبر على عذابي؟ قال: إن من ذكر عذاب الله هان عليه عذابك^(٣).

(١) الحديد: ٢٢.

(٢) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٧.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٦٩.

الفصل الثاني

رحلة الشهادة

سعيد بن جبير في قصر الحجاج

اقتيد سعيد بن جبير إلى قصر الحجاج بن يوسف الثقفي دون أن
يراوده الخوف أو يفت من عزمه جبروت الطاغية الذي ما فتى يريق الدماء،
ووقف بصمود تقصر عنه قمم الجبال، فهو الذي اختار هذا الطريق بوعي
وإيمان، وكان يعلم أن الشهادة خاتمة مسيرة مملوءة بالعناء ومضّخة
بالدماء، وأمامه درب ممتد من المواقف التي رسمها الأنبياء والاولياء
والشهداء والرسالين، وهو الذي يردد كل يوم مرات ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١).
ألم يقل السحرة بالأمس لفرعون: ﴿إِقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا
تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

وقد احتفظت كتب التاريخ بذكريات هذه المحطة من حياة سعيد بن
جبير وإن حاول البعض التلاعب ببعض مشاهداتها أو دس ما لا يتناسب
وعصامية الرجل فيها.

ومن هنا نحاول عرضها من خلال رواياتها ومناقشة ما يثار حولها من
التساؤلات أولاً، ثم تقويمها بأسلوب قصصي تتضح من خلاله ملامح

(١) الفاتحة: ٦-٧.

(٢) طه: ٧٢.

البطولة ثانياً. إن النصوص التي تعرّضت للحادثة على طوائف:

الطائفة الأولى: الروايات التي اقتصرت على القتل دون الحول:

أولاً: رواية سالم الافطس:

قرأنا على أبي عبد الله بن البنا عن أبي الحسين بن الابنوسي أنبأنا أحمد بن عبيد وعن محمد بن محمد بن مخلد أنبأنا علي بن محمد بن خزفة قالاً: أنبأنا محمد بن الحسين، أنبأنا ابن أبي خيشمة، ثبأنا عبد الوهاب بن نجدة ثبأنا عتاب بن بشير، عن سالم الافطس، قال: أتني الحجاج بسعيد بن جبیر وقد وضع رجله في الركاب، فقال: لا أستوي على دابتي حتّى تبوأ مقعدك من النار، فأمر به فضربت عنقه...^(١).

مضمون الرواية:

١- إن الحجاج كان وضع رجله في الركاب عندما جيء بسعيد.

٢- تعجيل الحجاج بقتله.

٣- الأمر بضرب عنقه فضربت.

ثانياً: رواية سالم الأفطس الثانية:

حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد حدثنا يحيى بن أيوب وعبد الرحمن بن معاوية العتبي قالاً: حدثنا عمرو بن خلد قال: سمعت عتاب بن بشير عن سالم الافطس قال: أتى سعيد بن جبیر إلى الحجاج وفي

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ١٨٣، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، وفيه: الغرز أو الركاب، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤-١١٥ وفيه: وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الغرز. وفي السند إشكال في قوله أنبأنا علي بن محمد بن خزفة قالاً إذ الأنسب أن يقال: قال.

رجله قيود، فلما دخل عليه أمر بضرب عنقه^(١).

مضمون الرواية:

١- الاتيان بسعيد وفي رجله قيود.

٢- أمر الحجاج بضرب عنقه.

ثالثاً: رواية عبد الله بن شاذب^(٢):

حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن اسحاق، حدثنا عبد الله بن سعد الزهري، حدثنا ابن معروف، حدثنا ضمرة عن عبد الله بن شاذب قال: لما أمر الحجاج بسعيد بن جبير أن يقتل استقبل القبلة فنادى الحجاج من مجلسه: إصرفوه إصرفوه، قال: فصرف عن القبلة^(٣).

مضمون الرواية:

١- عندما أمر الحجاج بقتل سعيد استقبل القبلة.

٢- أمر الحجاج بصرفه عنها.

٣- صرف عن القبلة.

دراسة روايات الطائفة الأولى:

١- لم تتعرض هذه الطائفة إلى الحوار الذي دار بين الحجاج وسعيد، بل اقتصرت على القتل وليس من الواضح أسباب ذلك ولعله حصل نتيجة

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٧-٥٨.

(٢) ولد سنة ست وثمانين كما ذكر هو، وتوفي سنة ست وخمسين ومئة، وكان في واسط / سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٩٣ وج ١٧، ص ٤٣ وهذا يعني أنه كان في سن التاسعة عند شهادة سعيد.

(٣) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٩٠.

٣٠٦ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

للخوف من السلطة أو الاهتمام بأصل الحادثة، ومع كل ذلك فهي لا تنافي الطوائف الأخرى التي تعرضت للحوار لأنها لم تنف.

٢- جاء في الرواية أن الحجاج كان وضع رجله في الركاب عندما جيء بسعيد، بينما ذكرت الثانية: لما دخل عليه أمر بضرب عنقه.

وكلا الروایتين لراو واحد وهو سالم الافطس، وقد رواهما عنه عتاب بن بشير، فكيف يمكن الجمع بينهما؟ والحال أن الأولى تدل على أن الحجاج كان خارج باحة القصر، لأنه لا يضع رجله في الركاب داخلها، وأما الثانية فتثبت أنه أدخل عليه وتعني أنه كان في القصر.

ويمكن الجمع بينهما بأنه قد رآه حال ركوبه فعاد وأمر بإدخاله عليه.

الطائفة الثانية: الروايات التي ذكرت شيئا من الحوار مما يدين سعيد بن جبیر

وهي على قسمين:

القسم الأول:

(١) رواية هلال بن خباب:

قال محمد بن حاتم حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خباب قال: جيء بسعيد بن جبیر إلى الحجاج فقال: أكتب إلى مصعب بن الزبير؟ قال: بل كتب إلي مصعب، قال: والله لأقتلنك، قال: إني إذن سعيد كما سمعتني أمي، قال: فقتله^(١).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٥.

وقد رواها ابن كثير وفيها: بلى كتبت إلى مصعب^(١)، بدلاً من: بل
كتب إلي مصعب.

مضمون الرواية:

١- إن التهمة التي وجهها الحجاج لسعيد بن جبير هي مكاتبة مصعب
بن الزبير.

٢- التصميم على قتله.

٣- أعلن سعيد أنه سعيد بالقتل.

٤- قام الحجاج بقتله.

القسم الثاني:

(٢) رواية عتبة مولى الحجاج^(٢)

حدثنا ابو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا حاتم بن
الليث، حدثنا سعيد ابن هشيم، حدثني أبي، حدثني عتبة مولى الحجاج قال:
حضرت سعيد بن جبير حين أتى به الحجاج بواسط فجعل الحجاج يقول
له: ألم أفعل بك؟ ألم أفعل بك؟ فيقول: بلى، فيقول: فما حملك على ما
صنعت من خروجك علينا؟ قال: بيعة كانت عليّ، فغضب وشفق بيديه،
وقال: فبيعة أمير المؤمنين كانت أسبق وأولى أن تفي بها، وأمر به فضربت
عنقه^(٣).

(١) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٥.

(٢) جاء في تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٧٦، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٨، مولى
الحجاج بدلاً من عتبة.

(٣) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩٠، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، سير أعلام النبلاء: ج ٤،
ص ٣٢٨.

وقال الذهبي بعد هذه الرواية: وقيل: لو لم يواجهه سعيد بن جبير بهذا لاستغفاه كما عفا عن الشعبي^(١).

مضمون الرواية:

- ١- ذكر الحجاج ما تفضل به على سعيد.
- ٢- سؤاله من سعيد عن سبب خروجه.
- ٣- إعتذار سعيد بالبيعة لابن الأشعث.
- ٤- غضب الحجاج.
- ٥- رد الحجاج سعيداً بأن البيعة لعبد الملك كانت أسبق وأولى بالوفاء.

٦- أمر الحجاج بضرب عنقه.

(٣) رواية أنس بن أبي الشيخ^(٢)

ذكر أبو بكرة الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي الشيخ يقول: لما أتني الحجاج بسعيد بن جبير قال: لعن الله ابن النصرانية، قال: يعني خالد القسري، وهو الذي أرسل به من مكة. أما كنت أعرف مكانه، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ما أخرجك علي؟ فقال: أصلح الله الأمير إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة، قال: فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ورجا أن يتخلص من أمره قال: فعاوده في شيء فقال له: إنما كانت له بيعة في عنقي قال: فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفي رداؤه عن منكبه فقال: يا سعيد، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ثم أخذت

(١) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٨.

(٢) لم نثر على معلومات ترتبط به.

بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانية؟ قال: بلى، قال: فنكثت بيعتين لأمر المؤمنين وتفي بواحدة للمحائك ابن الحائك؟! إضربا عنقه^(١).

مضمون الرواية:

- ١- إن الحجاج لم يكن يرغب باعتقال سعيد رغم معرفته بمكانه.
- ٢- سؤال الحجاج سعيداً عن سبب خروجه مع ابن الأشعث.
- ٣- إعتذار سعيد بأنه يخطئ مرة ويصيب مرة.
- ٤- إرتياح الحجاج من الاعتذار.
- ٥- رجا أن يتخلص من أمره.
- ٦- أعاد الحجاج مساءلة سعيد.
- ٧- إعتذار سعيد بأن لابن الأشعث بيعة في عنقه.
- ٨- غضب الحجاج.
- ٩- رد الحجاج بأنك بايعت عبد الملك بيعتين، فكيف تنكثهما مقابل بيعة لابن الأشعث.
- ١٠- أمر بضرب عنقه.

(٤) رواية الفضل بن سويد^(٢):

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال سمعت الفضل بن سويد قال:

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤ ذكر إلى قوله: (كانت

له بيعة في عنقي) وأضاف: فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله.

(٢) كان في حجر الحجاج وكان أبوه أوصى به الحجاج/ الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥.

بعثني الحجاج في حاجة فجيء بسعيد بن جبیر فرجعت فقلت: لأنظرن ما يصنع. فقممت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: يا سعيد ألم أشركك في أمانتي؟ ألم استعملك؟ ألم أفعل؟ حتى ظننت أنه يخلّي سبيله، قال: بلى، قال: فما حملك على خروجك عليّ؟ قال: عزم عليّ، قال: فطار غضباً وقال: هيه رأيت لعزمة عدو الرحمن عليك حقاً ولم تر الله ولا لأمر المؤمنين ولا لي عليك حقاً! إضربا عنقه..^(١).

مضمون الرواية:

١- ذهاب الفضل في حاجة بعثه بها الحجاج، ولكنه عاد لينظر بعدما جيء بسعيد.

٢- عاتب الحجاج سعيداً وذكره بصنيعه.

٣- ظن أن الحجاج سيخلّي عن سعيد.

٤- مساءلته عن سبب خروجه.

٥- أجاب بوجود عزم عليه.

٦- غضب الحجاج عليه فأمر بضرب عنقه.

(٥) رواية الضبي

قال حماد بن زيد، حدثنا الفضل بن سويد، حدثنا الضبي قال: كنت في حجر الحجاج فقدموا بسعيد بن جبیر وأنا شاهد، فأخذ الحجاج يعاتبه كما يعاتب الرجل ولده، فأنفلتت من سعيد كلمة فقال: إنه عزم عليّ يعني ابن الأشعث^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦١-٢٦٢، الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ٣٦٩.

مضمون الرواية:

١- كان الضبي من مقربي الحجاج وقد شهد الاتيان بسعيد.

٢- عاتب الحجاج سعيداً.

٣- قال سعيد إنه عزم عليّ.

٦) قال ابو اليقظان^(١)

... قال له الحجاج: يا شقي بن كسير، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الأعرابي فجعلتك إماماً؟ فقال: بلى، قال: أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح للقضاء الاعرابي، فأستقضيت أبا بردة وكان ابن أبي موسى الاشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك؟ قال: بلى، قال: أما جعلتك من سمّاري وكلهم من رؤوس العرب؟ قال: بلى، قال: أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرّقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك، ثم لم أسألك عن شيء منها؟ قال: بلى، قال: فما أخرجك عليّ؟ قال: بيعة كانت في عنقي لابن الاشعث. فغضب الحجاج ثم قال: أما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل؟ والله لأقتلنك^(٢).

مضمون الرواية:

١- عاتب الحجاج سعيداً على ما أولاه من اهتمام من قبيل تولية

قضاء الكوفة وجعله من سمّاره وإعطائه مائة ألف درهم.

٢- إعتذار سعيد بأن له بيعة في عنقه لابن الاشعث.

(١) لم يعثر على ما يدل عليه في كتب الرجال، نعم هناك ابو اليقظان الذي يروي عنه جويريه

بن اسماء وهو لا يمكن أن يكون قد عاصر سعيداً/ تهذيب التهذيب: ج ٣، ص ٣٦٢.

(٢) شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٩.

٣- غضب الحجاج واعتراضه عليه ببيعته لعبد الملك.

دراسة روايات الطائفة الثانية

١- تتفق روايات هذه الطائفة على إدانة سعيد، فهو قد نقض البيعة (بيعة عبد الملك) وكاتب ابن الزبير، وبائع ابن الأشعث، وهذا يعني أنه يستحق القتل، ولكننا عندما نراجع الطوائف الأخرى من الأخبار لا نجدها تذكر مثل هذا الكلام وهذا يعني تنافياً مع عدد مهم من الأخبار.

٢- تختلف رواية هلال بن خباب عن غيرها من روايات الطائفة في أنها نقلت كلاماً عن سعيد يكشف عن سعادته بالقتل، وأما الروايات الأخرى فلم تذكر ذلك. والأمر واضح فإن الغالب عليها نفّس اتباع السلطة، أو الذين لا يلتقون مع سعيد في العقيدة، فالرواية الثانية لعتبة وهو مولى الحجاج، والثالثة لأنس بن أبي الشيخ وهو المتهم بالزندقة وقد صلبه الرشيد لذلك^(١)، وذلك في أيام نكبة البرامكة سنة ١٨٧^(٢)، كما أنه لم يكن يشهد مقتل سعيد بن جبير، وأما الفضل بن سويد فهو قد تربى في حجر الحجاج^(٣).

٣- أخطأ المؤرخون في إسناد الرواية الخامسة، فهي رواية الفضل بن سويد وليس الضبي، ومما يؤيده:

(أ) إن الرواية الرابعة رواها الفضل بن سويد، فلا معنى لأن يروي عن

(١) سير أعلام النبلاء: ج ٩، ص ٦٧، تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٤٩٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٢٩٤، كتاب المحبر: ص ٢٨، التنبيه والإشراف: ص ٢٩٩،

البداية والنهاية: ج ١٠، ص ٢٠٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥.

شخص آخر لا سيما وأنه كان في قصر الحجاج.

ب) جاء في الرواية الخامسة (كنت في حجر الحجاج) ومن المعلوم أن الفضل كان قد تربى في حجر الحجاج، كما مر، ولم يذكر عن الضبي في المصادر ذلك.

٤- ليس من المعقول أن يتذرّع سعيد بالبيعة أمام الحجاج إذا كان قد بايع عبد الملك بيعتين سابقاً، لأن البيعة لوحدها لا تكفي للخروج مع وجود بيعة أخرى، وإذا كان يقصد من ذلك أنه نقض الأولى فعليه أن يقول كانت ناشئة عن إكراه، أو إنني نقضتها، فجواب سعيد (بيعة كانت في عنقي) تكشف عن أن الذي اضطره للخروج هو البيعة لابن الاشعث لا نقض بيعة الحاكم الأموي، والعجيب أنه يقول: عزم عليّ، أي ابن الاشعث، فهل يعقل أن يبقى مع ابن الاشعث وهو لا يمتلك القناعة به وبعمله.

٥- ورد في رواية أنس أن الحجاج لعن خالد القسري لأنه قام بإرسال سعيد من مكة إليه، وهذا الكلام مما يضحك الثكلى، فهو الذي طلب من القسري أن يرسله إليه وهو الذي طارده، ثم قام بقتله، وقد مضى الحديث عن هذه النقطة، كما لم يرو مثله إلا عن طريق أنس.

٦- إعتذار سعيد بأنه يخطئ مرة ويصيب مرة، لا يتناسب وما ذكرته الروايات الأخرى من الموقف الصلب، وقد تكلمنا في حديثنا عن الموقف في حياة سعيد بن جبير، فسعيد لم يعتقد بإسلام الحجاج، ولم يشك في المنهج الذي سلكه، ثم إن طبيعة الحجاج لم تكن بالتي ترجى أن يتخلص منها أحد.

٧- إذا كان الحجاج يرجو أن يتخلص من أمر سعيد، كما ورد في رواية أنس، فلماذا حاول الإلحاح بالسؤال والمعاودة في شيء من شأنه أن يوسع هوة الخلاف؟ إن هذا التساؤل يشير شكوكاً بالنسبة إلى هذه الرواية.

٣١٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

٨- جاء في رواية الضبي أن الحجاج أخذ يعاتب سعيداً كما يعاتب الرجل ولده، ولست أدري ما إذا كان الراوي يقصد شيئاً غير ظاهرها، فظاهرها يدل على وجود روح أبوية شفافة وعاطفية لدى الحجاج، وإلا فلا يمكن أن يقصد وجود فارق في العمر، لأن سعيداً كان أكبر من الحجاج، ولم يكن الحجاج أعلم من سعيد.

فإذا لم يكن كل ذلك، لا يبقى إلا ما استظهرناه، وهو لا ينسجم مع روح الحجاج التي عرفت بالقتل والدمار.

٩- وأما فضائل الحجاج وسابغ أياديه على سعيد توليته القضاء وجعله من سماره و... فلم ترد في الأخبار الأخرى المعتمدة، نعم توليته القضاء إذا صح خبرها فهي لا تدل على تفضّل منه؛ لأن القضاء كان يوكل عادة لأهل العلم، وسعيد كان من العلماء، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع فيما مضى.

الطائفة الثالثة: الروايات التي ذكرت بعض الحول

١- رواية سليمان التيمي^(١):

قال (الحجاج) لسعيد: أكفرت؟ قال: لا. قال: اختر أي قتلة أقتلك؟ قال: اختر أنت فإن القصاص أمامك^(٢).

مضمون الرواية:

١- سؤال الحجاج من سعيد عن كفره.

٢- نفى سعيد الكفر عن نفسه.

(١) يروي عنه الواسطيون/ لسان الميزان: ج ٣، ص ١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٨.

٣- تخيير الحجاج سعيداً في كيفية القتل.

٤- يوكل سعيد ذلك إلى الحجاج.

٢- رواية إسماعيل السدي:

قال اسماعيل السدي: قال الحجاج لسعيد بن جبير: بلغني أنك لم تضحك قط، قال: كيف أضحك وجههم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت^(١).

٣- رواية عبد الملك بن سعيد بن جبير:

حدثني عمر عن محمد بن حاتم، عن القاسم بن مالك، عن رجل من أهل هجر، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال: لما قدم سعيد بن جبير على الحجاج قال: أنت شقي بن كسير، قال: أنا سعيد بن جبير. قال: والله لأقتلنك. قال: إذن ألقى الله بعملتي وتلقاه بدمي، لقد أصابت أمي إذن إذ سمعتني سعيداً. فقال الحجاج: يا حرس اضربه ضربة على جبل عاتقه تخالط رثته. قال: فأذن لي أصلي ركعتين. قال: صل. فلما توجه إلى القبلة قال: الله اكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً. قال الحجاج: لا، إلا إلى قبلة النصارى. فقال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢) فصلّى، ثم ضربه الحرس ضربة خالطت رثته^(٣).

مضمون الرواية:

١- أقسم الحجاج بأن يقتل سعيداً.

(١) كتاب التخويف من النار: ص ٢٩.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) انساب الاشراف: ج ٧، ص ٣٧٢.

٢- ردّ سعيد عليه بقوله: إذن ألقى الله بعلمي وتلقاه بدمي، وذكر أن أمه أصابت حين سمّته سعيداً.

٣- أمر أن يضرب عنقه.

٤- طلب أن يصلي ركعتين فأذن له.

٥- توجه إلى القبلة فمنعه الحجاج، وأمر بأن يوجه إلى قبلة النصارى، فقال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

٦- صلى سعيد ثم ضرب ضربة خالطت رثته.

٤- رواية سالم بن أبي حفصة^(١):

حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن أحمد بن خلف، حدثنا سفيان، عن سالم بن أبي حفصة قال: لما أتى سعيد بن جبير الحجاج قال: انت شقي بن كسير؟ قال: أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلك! قال: أنا إذن كما سمّني أمي، ثم قال: دعوني أصلي ركعتين! قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ثم قال: إني استعيز منك بما عازت به مريم. قال: وما عازت به مريم؟ قال: قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾^(٢).

مضمون الرواية:

١- واجه الحجاج سعيداً بقوله أنت شقي بن كسير.

(١) هو أبو يونس الكوفي، رأى عبد الله بن عباس، نفى عنه أحمد - أي ابن حنبل - البأس وقال: كان شيعياً/ تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩٠، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٨، سير أعلام النبلاء:

ج ٤، ص ٣٢٨، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦، كتاب المتوارين: ص ٥٨-٥٩ رواها

إلى قوله ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

٢- ردّه سعيد بقوله: أنا سعيد بن جبير.

٣- هدّده بالقتل.

٤- أعلن أنه سعيد بالقتل.

٥- طلب أن يصلي ركعتين.

٦- أمر الحجاج أن يوجهوه إلى قبلة النصارى.

٧- قرأ سعيد آية من القرآن.

٨- إستعاذ سعيد من الحجاج.

ولم تتعرّض الرواية إلى قتله.

٥- رواية محمد بن عبيد:

عن محمد بن عبيد قال: سمعت شيخاً يذكر: أنه كان جالساً عند الحجاج حين أتني بسعيد بن جبير وله ضفران، فكلمه ساعة، ثم قال: يا حرس إنطلق به فاضرب عنقه، فأنطلق به، فقال: دعني أصلي ركعتين، وتوجه نحو القبلة، فقال الحجاج: ما يقول لك؟ قال: قال: دعني أصلي ركعتين، قال: لا، إلا إلى المشرق. فقال له سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُؤْكُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ثم مدّ عنقه فضربها^(١).

مضمون الرواية:

١- الإتيان بسعيد إلى الحجاج.

٢- الأمر بضرب عنقه.

٣- سعيد يطلب من الحرس السماح له بصلاة ركعتين.

٤- توجه إلى القبلة.

(١) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

٥- الحجاج يسأل الحرس عما قال له سعيد.

٦- الحجاج يمنع من استقبال سعيد القبلة.

٧- سعيد يقرأ: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

٨- ضرب عنق سعيد.

٦- رواية ابن كثير:

قال: في رواية أنه قال له: لأبدلك بالدنيا ناراً تَلْظِي. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لأتخذتك إلهاً^(١).

مضمون الرواية:

هذه الرواية هي جزء من رواية عون بن أبي شداد العبدي وستنقلها بتمامها.

٧- رواية ابن كثير:

قال: في رواية إنه لما أراد قتله قال: وجَّهوه إلى قبلة النصارى. فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فقال: إجلدوا به الأرض. فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٢). فقال: إذبحه، فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم. فقال: اللَّهُمَّ لا تَسْلُطْهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي^(٣).

مضمون الرواية:

هذا مقطع من رواية الحسن ولكن قوله (فقال: اللَّهُمَّ لا تَسْلُطْهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي) غير موجود فيها، نعم هو موجود في رواية عون بن أبي شداد.

(١) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦.

(٢) طه: ٥٥.

(٣) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦.

دراسة روايات الطائفة الثالثة

نحيل دراسة هذه الروايات إلى البحث في روايات الطائفة الرابعة؛ لأنها قد تتضمنها.

الطائفة الرابعة: الروايات التي ذكرت الحول:

١- رواية عون بن أبي شداد العبدي^(١)

حدثنا أبي، حدثنا خالي أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرني أبو أمية بن إبراهيم في كتابه -إلى أن قال:- حدثنا حامد بن يحيى، حدثنا حفص أبو مقاتل السمرقندي، حدثنا عون بن أبي شداد العبدي قال:
ثم ذهبوا به إلى الحجاج وآخر معه، فدخلوا إلى الحجاج فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قالوا: نعم، وعائنا منه العجب، فصرف بوجهه عنهم. فقال: أدخلوه عليّ، فخرج المتمسك. فقال لسعيد: أستودعك الله وأقرأ عليك السلام. قال: فأدخل عليه، فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل كانت أمي أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلك بالدنيا ناراً تلظى. قال: لو علمت أن هذا بيدك لأتخذتك الهاً. فقال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة، إمام الهدى عليه الصلاة والسلام. قال: فما قولك في علي، في الجنة أم في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت من فيها. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: أيهم أعجب اليك. قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند

(١) روى عن انس بن مالك والحسن البصري، وثقه البعض وضعفه آخرون/ تهذيب

الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال: أبيت أن تصدقني. قال: إني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين، والطين تأكله النار. قال: فما بالنار تضحك؟ قال: لم تستو القلوب. قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يدي سعيد بن جبیر، فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذه لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا، ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب العود ونفخ الناي بكى سعيد بن جبیر، فقال له: ما يبكيك هو الله؟ قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الاوتار فإنها معاء الشاء يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج، فو الله ما تقتلني قتلة إلا أقتلك الله مثلها في الآخرة. قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال: إذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده. فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك. فأمر بالنطع فبسط فقال: اقتلوه. فقال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

قال: شدوا به لغير القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾، قال: كبوه لوجهه. قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، قال الحجاج: إذبحوه. قال سعيد: أما أني أشهد واحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا سعيد الله فقال: اللَّهُمَّ لا تَسْلُطْهُ عَلَى أَحَدٍ يَقْتُلْهُ بَعْدِي. فذبح على النطع رحمه الله^(١).
مضمون الرواية:

- ١- سؤال الحجاج سعيداً عن اسمه وجواب سعيد له.
- ٢- رد الحجاج بقوله: شقيت أنت وشقيت أمك.
- ٣- جواب سعيد: الغيب يعلمه غيرك.
- ٤- التهديد بنار تلظى.
- ٥- جواب سعيد بأن الأمر ليس بيدك.
- ٦- سؤال الحجاج عن محمد ﷺ وجواب سعيد له.
- ٧- سؤاله عن علي في الجنة أو النار، وجواب سعيد بأنه لم يدخل الجنة ليعرف أهلها.
- ٨- سؤاله عن رأيه في الخلفاء، ورد سعيد: بأنني لست بوكيل عليهم.
- ٩- سؤاله عن سبب عدم ضحكك وجوابه أن من خلق من الطين ينبغي أن لا يضحك.
- ١٠- سؤاله لماذا نضحك، وجواب سعيد له.

(١) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩٣-٢٩٤، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧١-٣٧٣، سير

اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٠-٣٣٣.

٣٢٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

١١- إتيان الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت ووضعها بين يدي سعيد، وكلام سعيد حول ذلك.

١٢- طلب الحجاج العود والناي وقول سعيد في ذلك.

١٣- قول الحجاج لسعيد: ويلك، ورد سعيد عليه.

١٤- قول الحجاج: اختر أي قتلة تريد، وجواب سعيد له.

١٥- سؤال الحجاج سعيداً عما إذا كان يريد العفو وردّ سعيد له.

١٦- الأمر بقتل سعيد.

١٧- ضحك سعيد وسؤال الحجاج منه عن السبب وجواب سعيد له.

١٨- الأمر ثانية بقتله.

١٩- سعيد يقرأ آية من القرآن.

٢٠- الأمر بشده لغير القبلة وقراءة سعيد آية أخرى.

٢١- الأمر بكبه لوجهه، وسعيد يردّد آية من القرآن.

٢٢- الأمر بذبحه.

٢٣- سعيد يتشهد الشهادتين ويحذّر الحجاج.

٢٤- دعاء سعيد بأن لا يسلط الحجاج على أحد.

٢٥- ذبح سعيد على النطع.

٢- رواية الحسن:

حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن جعفر وأحمد بن محمد بن موسى،
حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته، حدثنا إبراهيم بن الحسن العلاف، حدثنا
إبراهيم بن يزيد الصفا، حوَّش عن الحسن قال: لما أتني بسعيد بن جبير
قال: أنت شقي بن كسير؟ قال: بل أنا سعيد بن جبير. قال: بل أنت الشقي بن
كسير. قال: كانت أُمِّي أعرف بأسمي منك. قال: ما تقول في محمد؟ قال:

تعني النبي ﷺ. قال: نعم. قال: سيد ولد آدم النبي المصطفى خير من بقي وخير من مضى. قال: فما تقول في أبي بكر؟ قال: الصديق خليفة الله مضى حميداً وعاش سعيداً، مضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغير ولم يبدل. قال: فما تقول في عمر؟ قال: عمر الفاروق، خيرة الله وخيرة رسوله، مضى حميداً على منهاج صاحبه ولم يغير ولم يبدل. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: المقتول ظلماً المجهز جيش العسرة الحافر بثر رومة، المشتري بيته في الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنته، زوجة النبي بوحى من السماء. قال: فما تقول في علي؟ قال: ابن عم الرسول ﷺ وأول من أسلم وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين. قال: فما تقول في معاوية؟ قال: شغلتنى نفسي عن تصريف هذه الأمة وتميز أعمالها.

قال: فما تقول في؟ قال: أنت أعلم ونفسك. قال: بت بعلمك؟ قال: إذن يسوؤك ولا يسرك. قال: بت بعلمك. قال: اعفني. قال: لا عفى الله عني إن أعفيتك. قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة، وهي تقحمك الهلكة، وسترد غداً فتعلم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك. قال: إذن تفسد عليّ ديني، وأفسد عليك آخرتك. قال: يا غلام السيف والنطع.

قال: فلما وكى ضحك! قال: أليس قد بلغني أنك لم تضحك؟ قال: وقد كان ذلك. قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله ومن حلم الله عنك. قال: يا غلام اقتله. فاستقبل القبلة وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فصرف وجهه عن القبلة، قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، قال: إضرب به الأرض، قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً

أُخْرَى)، قال: إذبح عدو الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم^(١).

مضمون الرواية:

١- الحجاج يسأل سعيداً: أنت شقي بن كسير؟ ويجيبه الحجاج بأن أمه أعرف باسمه.

٢- سؤال الحجاج عن محمد ﷺ وجوابه.

٣- سؤاله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبيان فضائلهم.

٤- سؤاله عن معاوية وعدم الاجابة.

٥- سؤاله عن نفسه، وبيان سعيد حقيقة الحجاج بأنه مخالف للكتاب وطالب للهيبة.

٦- التهديد بالقتل بصورة لم يقتل بها أحد قبله أو بعده، وجواب سعيد بأنه سيخسر الدنيا، ولكن الحجاج سيخسر الآخرة.

٧- الحجاج يأمر غلامه بالسيف والنطع.

٨- سعيد يضحك عند الخروج.

٩- تعجب الحجاج من ضحك سعيد والسؤال عن سبب ذلك وردّ سعيد.

١٠- أمر الغلام ثانية بقتل سعيد.

١١- سعيد يقرأ آية من القرآن.

١٢- الأمر بصرف وجهه عن القبلة وسعيد يردّد آية أخرى.

١٣- الأمر بأن يضرب به الأرض وسعيد يرتل آية ثالثة.

١٤- الأمر بذبحه، وقول الحجاج: ما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم.

(١) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩٤-٢٩٥، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٤-٣٧٥.

٣- رواية ابو بكر الهذلي^(١)

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قام بين يديه فقال له: أعوذ منك بما استعازت به مريم بنت عمران حيث قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾^(٢). فقال الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. قال: شقي بن كسير. قال: أمي أعلم بأسمي. قال: شقيت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأوردنك حياض الموت. قال: أصابت إذن أمي. قال: فما تقول في محمد ﷺ؟ قال: نبي ختم به الله تعالى الرسل وصدق به الوحي وأنقذ به من الهلكة. إمام هدى ونبي رحمة. قال: فما تقول في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل إنما استحضت أمر ديني.

قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: أحسنهم خلقاً وأرضاهم لخالقه وأشدهم فرقاً. قال: فما تقول في علي وعثمان في الجنة هما أو في النار؟ قال: لو دخلتهما فرأيت أهلها إذن لأخبرتكم، فما سؤالك عن أمر غيب عنك. قال: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ قال: ما لك تسألني عن أمرئ أنت واحدة من ذنوبه. قال: فمالك لم تضحك قط؟ قال: لم أر ما يضحك، كيف يضحك من خلق من تراب والى التراب يعود؟ قال: فإني أضحك من اللهو. قال: ليست القلوب سواء. قال: فهل رأيت من اللهو شيئاً؟ ودعى بالناي والعود، فلما نفخ بالناي بكى. قال: ما يبكيك؟ قال: ذكرني يوم ينفخ في الصور، فأما هذا العود فمن نبات الأرض، وعسى أن يكون قد قطع من غير حقه، وأما هذه المغاش والأوتار فإنها سيبعتها الله معك يوم القيامة.

(١) وهو سلمى بن عبد الله بن سلمى ابو بكر الهذلي البصري، وقيل اسمه روح، مات سنة ١٦٧هـ لم يوثقوه (تهذيب الكمال: ج ٣٣، ص ١٥٩ وص ١٦٧).

(٢) مريم/١٨.

قال: إني قاتلك. قال: إن الله عز وجل قد وقّت لي وقتاً أنا بالغه، فإن يكن أجلي قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص ساعة، وإن تكن العافية، فالله تعالى أولى بها. قال: إذهبوا به فاقتلوه. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إستحفظها يا حجاج حتّى ألقاك يوم القيامة، فلما تولّوا به ليقتلوه ضحك. قال له الحجاج: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله جل وعلى عنك. ثم استقبل القبلة فقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال: افتلوه عن القبلة، قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْنَ فَهُمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾، قال: إضربوا به الأرض. قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، قال: إضربوا عنقه. قال: اللَّهُمَّ لا تحل له دمي ولا تمهله من بعدي...^(١).

مضمون الرواية:

- ١- إستعاذة سعيد بما استعاذت به مريم.
- ٢- سؤال الحجاج من سعيد عن اسمه.
- ٣- قول الحجاج: لأوردنك حياض الموت.
- ٤- السؤال عن النبي والخلفاء وعبد الملك بن مروان. وجواب سعيد له.
- ٥- السؤال عن سبب عدم الضحك.
- ٦- طلب الحجاج الناي والعود فجيء بهما.
- ٧- عندما نفخ بالناي بكى سعيد فسأله الحجاج عن علة بكائه، فبيّن السبب.

٨- قال له الحجاج: إني قاتلك. فلم يبال سعيد بذلك مبيناً أن هناك أجلاً للإنسان.

٩- أمر الحجاج بأن يذهبوا به ليقتلوه فتشهد.

١٠- ضحك سعيد، فسأله الحجاج عن سبب ضحكك فأجاب.

١١- إستقبل سعيد القبلة قائلاً: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

١٢- فأمر الحجاج بأن يفتلوه عن القبلة فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

١٣- أمر بأن يضربوا به الأرض فقراً: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

١٤- أمر الحجاج ثانية بضرب عنقه، فقال: اللَّهُمَّ لا تحل له دمي ولا تمهله من بعدي.

٤- رواية ابن قتيبة:

لما قدم سعيد على الحجاج قال له: ما اسمك؟ قال: سعيد. قال: ابن من؟ قال: ابن جبير. قال: بل شقي بن كسير. قال سعيد: أُمِّي أَعْلَمُ بِأَسْمِي وَاسْمِ أَبِي. قال الحجاج: شقيت وشقيت أُمُّكَ، قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: لأوردنك حياض الموت، قال سعيد: أصابت إذا أُمِّي إِسْمِي، فقال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى، قال سعيد: لو أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ بِيَدِكَ لَأَتَخَذْتُكَ إِلَهًا. قال الحجاج: فما قولك في محمد؟ قال سعيد: نبي الرحمة، ورسول ربِّ العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة، فقال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل، كلَّ أمرئ بما كسب رهين. قال الحجاج: أشتهم أو أمدحهم؟ قال سعيد: لا أقول ما

لا أعلم، إنما استحضت أمر نفسي، وقال الحجاج: أيهم أعجب إليك؟ قال: حالاتهم يفضل بعضهم على بعض. قال الحجاج: صف لي قولك في علي، أفي الجنة، أم في النار؟ قال سعيد: لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت، ولو رأيت من في النار علمت، فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب؟

قال الحجاج: فأني رجل أنا يوم القيامة؟ قال سعيد: أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب. قال الحجاج: أبيت أن تصدقني؟ قال سعيد: بل لم أرد أن أكذبك، فقال الحجاج: فدع عنك هذا كله، أخبرني ما لك لم تضحك قط؟ قال: لم أر شيئاً يضحكني، وكيف يضحك مخلوق من طين، والطين تأكله النار، ومنقلبه إلى الجزاء، واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء. قال الحجاج: فأنا أضحك، فقال سعيد: كذلك خلقنا الله أطواراً. قال الحجاج: هل رأيت شيئاً من الله؟ قال: لا أعلمه. فدعا الحجاج بالعود والناي. قال: فلما ضرب العود، ونفخ في الناي بكى سعيد، قال الحجاج: ما يبكيك؟ قال: يا حجاج ذكررتني أمراً عظيماً، والله لا شبت ولا رويت ولا اكتسبت، ولا زلت حزيناً لما رأيت. قال الحجاج: وما كنت رأيت هذا للهو؟ فقال سعيد: بل هذا والله الحزن يا حجاج، أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور، وأما هذان المصران فمن نفس ستحشر معك إلى الحساب، وأما هذا العود فنبت بحق، وقطع لغير حق.

فقال الحجاج: أنا قاتلك. قال سعيد: قد فرغ من تسبب في موتي. قال الحجاج: أنا أحب إلى الله منك؟ قال سعيد: لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم. قال الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا، وأنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة؟ قال سعيد: ما أنا بخارج من الجماعة، ولا أنا براض عن الفتنة، ولكن قضاء الرب

نافذ لا مرد له. قال الحجاج: كيف ترى ما نجمع لأمر المؤمنين؟ قال سعيد: لم أر، فدعا الحجاج بالذهب والفضة، والكسوة والجوهر، فوضع بين يديه، قال سعيد: هذا حسن إن قمت بشرطه، قال الحجاج: وما شرطه؟ قال: أن تشتري له بما تجمع الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، وإلا فإن كل مرضعة تذهل عما أرضعت، ويضع كل ذي حمل حملته، ولا ينفعه إلا ما طاب منه. قال الحجاج: فترى طيباً؟ قال: برأيك جمعته، وأنت أعلم بطيبه. قال الحجاج: أتحب أن لك شيئاً منه؟ قال: لا أحب ما لا يحب الله.

قال الحجاج: ويلك، قال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة فأدخل النار. قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه. قال: إني أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أستحفظكهن يا حجاج حتى ألقاك، فلما أدير ضحكك. قال الحجاج: ما يضحكك يا سعيد؟ قال: عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله عليك. قال الحجاج: إنما أقتل من شق عصا الجماعة ومال إلى الفرقة التي نهى الله عنها، إضربوا عنقه. قال سعيد: حتى أصلي ركعتين، فاستقبل القبلة وهو يقول: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. قال الحجاج: إصرفوه عن القبلة إلى قبلة النصارى، الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم، فإنه من حزبهم، فصرف عن القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، قال الحجاج: لم نوكل بالسرائر، وإنما وكلنا بالظواهر. قال سعيد: اللهم لا تترك له ظلمي، واطلبه بدمي، واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد، فضربت عنقه^(١).

مضمون الرواية:

إن رواية ابن قتيبة قريبة من رواية عون بن أبي شداد إن لم تكن نفسها مع فارق يسير، فجواب سؤال الحجاج عن الخلفاء: (أيهم أعجب إليك) يختلف هنا عما ذكر في رواية ابن أبي شداد، كما أن قول الحجاج: (أبيت أن تصدقني) وجواب سعيد: (إني لم أحب أن أكذبك) ذكر بعد السؤال عن الخلفاء، وأما في رواية ابن قتيبة فجاء بعد سؤال الحجاج: (فأي رجل أنا يوم القيامة؟)، وهذا السؤال الأخير لم يرد في رواية ابن أبي شداد، نعم ذكر في رواية الحسن حيث قال الحجاج: (فما تقول في). ومع ذلك نشير إلى ما تضمنته الرواية:

- ١- سؤال الحجاج من سعيد عن اسمه وجوابه.
- ٢- رد الحجاج شقيت وشقيت أمك.
- ٣- جواب سعيد: الغيب يعلمه غيرك.
- ٤- قول الحجاج: لأوردنك حياض الموت.
- ٥- جواب سعيد: أصابت إذن أمي.
- ٦- الحجاج يهدد بنار تلظى.
- ٧- قول سعيد: إن الأمر ليس بيدك.
- ٨- سؤال الحجاج عن محمد ﷺ وجواب سعيد.
- ٩- سؤاله: عن الخلفاء، ورد سعيد.
- ١٠- سؤاله: أشتم الخلفاء أم أمدحهم وجواب سعيد.
- ١١- سؤاله أيهم أعجب إليك وجواب سعيد.
- ١٢- سؤاله عن علي في الجنة أو النار، وجواب سعيد بأنه لم يدخل الجنة ليعرف أهلها.

- ١٣- الحجاج يسأل عن نفسه، وسعيد لا يحاول إعطاء الجواب.
- ١٤- سؤاله عن سبب عدم ضحكك وسعيد يجيب: بأن من خلق من الطين ينبغي أن لا يضحك.
- ١٥- الحجاج يقول: أنا أضحك، وسعيد يردّه: كذلك خلقنا الله أطوراً.
- ١٦- الحجاج يسأل سعيداً: هل رأيت الله؟ والجواب: لا أعلمه.
- ١٧- الحجاج يدعو بالعود والناي فضرب بالعود ونفخ بالناي عندها بكى سعيد.
- ١٨- الحجاج يسأل ما يبكيك؟ وسعيد يقول: ذكرّني أمراً عظيماً.
- ١٩- الحجاج يسأل: ما كنت رأيت هذا الله؟ وسعيد يقول: هذا والله الحزن.
- ٢٠- سعيد يبين حقيقة النفخة وكيف ذكرّته يوم النفخ في الصور.
- ٢١- الحجاج: أنا قاتلك، ويرده سعيد.
- ٢٢- الحجاج يرى نفسه أحب إلى الله من سعيد، وسعيد يردّه.
- ٢٣- الحجاج يسأل عن المال الذي يجمع للوليد، وجواب سعيد.
- ٢٤- الحجاج يدعو بالذهب والفضة والكسوة والجواهر فتوضع بين يديه، وكلام سعيد عن حسنه إن روعيت شروطه.
- ٢٥- الحجاج يسأل عن الشروط، وسعيد يبينها.
- ٢٦- الحجاج يسأل عن طيب هذا المال وسعيد يجيب.
- ٢٧- الحجاج يسأل أتحب أن لك شيئاً منه؟ ويردّ سعيد بالنفي.
- ٢٨- الحجاج يقول: ويلك، وسعيد يردّه: الويل لمن زحزح عن الجنة فأدخل النار.

٣٣٢ القرآن الفقيه سعيد بن جبیر

٢٩- الحجاج يأمر بأخذ سعيد ليقتلوه، وسعيد يتشهد الشهادتين ويجعل الحجاج عليهما حفيظاً إلى أن يلقاه.

٣٠- أدبر سعيد وجهه وضحك، فسأله الحجاج عن سبب ضحكك، وأجابه سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.

٣١- أمر الحجاج بضرب عنقه.

٣٢- طلب سعيد أن يصلي ركعتين.

٣٣- استقبل القبلة، وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٣٤- أمر الحجاج بصرفه إلى قبلة النصارى.

٣٥- عندما صرف سعيد عن القبلة قرأ ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

٣٦- الحجاج يقول: لم نوكل بالسرائر وإنما وكلنا بالظواهر.

٣٧- دعاء سعيد على الحجاج: اللَّهُمَّ لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد.

٣٨- ضربت عنق سعيد.

دراسة روايات الطائفة الرابعة:

بما أن روايات هذه الطائفة تمثل المحور الأساس في نقل أحداث القصر، من هنا نرى من المناسب دراستها ضمن ملاحظات عامة، لأننا يمكننا من خلالها دراسة الطوائف الأخرى من الأخبار.

ملاحظات عامة:

١- تتفق جميع الروايات على دخول سعيد بن جبیر على الحجاج.

٢- تعرضت بعضها إلى الحوار الذي دار بين سعيد والحجاج فيما اقتصرت بعضها على الدخول والقتل، ولا تنافي بين الطائفتين فالطائفة الثانية لا تنفي ما جرى.

٣- أشارت بعض الروايات إلى وجود قيود في رجل سعيد عندما أتى به إلى الحجاج (رواية سالم الافطس) ولم تتطرق الروايات الاخرى لذلك، ولا تنافي بينها في ذلك.

٤- ذكرت بعض الروايات أن سعيداً قد جيء به، وكان الحجاج وضع رجله في الركاب، أو الغرز (رواية سالم الافطس)، بينما لم تتطرق الروايات الاخرى لذلك، ودلت على أن الحجاج كان داخل القصر (فقال: أدخلوه عليّ) كما في رواية عون بن أبي شداد، فقد يكون رآه وهو مستعد للركوب ثم دخل وطلب إدخاله عليه.

٥- أشارت رواية هلال ابن خباب إلى التهمة التي وجهها الحجاج وهي مكاتبة مصعب، بينما جاء في الروايات الأخرى أن المشكلة الاساسية هي نقض البيعة والخروج مع ابن الاشعث.

ويمكن الجمع بينهما بأن إحدى التهم التي وجهها الحجاج هي مكاتبة مصعب، وأما بقية التهم وأعظمها فهو الثورة ونقض البيعة، ولكن الذي يرجح هو أن هذه الرواية إن صدقت فهي تهمة حاول الحجاج أن يوجهها لسعيد، وقد نفاها سعيد كما ورد.

وأما ما ذكره ابن كثير «بلى كتبت إلى مصعب» فتدحضها الحقائق التاريخية، حيث إن الزبيريين كانت لهم مواقف سلبية جداً تجاه استاذهم عبد الله بن عباس وبقية الهاشميين، ولا يمكن أن يقف سعيد موقف التأيد منهم.

٣٣٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

٦- جاء في رواية عون بن أبي شداد أن الحجاج سأل سعيداً عن علي في الجنة أو النار؟ فرد سعيد بأنه لم يدخل الجنة ليعرف أهلها، فيما ذكرت رواية الحسن أنه قال عندما سُئل عن علي: ابن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم... ويمكن التوفيق بين الروایتين بالقول إن علياً له هذه الفضائل، وأما أنه في الجنة أو النار فلا معنى للحديث عنه وهو صاحب هذه المناقب، فمن الممكن أن يكون ما جاء في رواية عون أعقب ما في رواية الحسن.

٧- وشبهه ما مضى سؤال الحجاج عن رأيه في الخلفاء وردّ سعيد: لست عليهم بوكيل (في رواية عون بن أبي شداد) وذكر مناقبهم في رواية الحسن، والجمع بينها لا يختلف عما ذكر في النقطة السابقة، فعَدَّ المناقب لا ينافي عدم الحديث عن دخولهم الجنة أو النار، ولكن فضائل الخلفاء الثلاثة تفرّدت بها رواية الحسن.

٨- ورد في رواية عون بن أبي شداد أن الحجاج قال لسعيد: شقيت وشقيت أمك، ولكنه في الروايات الأخرى اقتصر على نسبة الشقاء لسعيد، والأمر قابل للجمع، فربّما لم تتعرض تلك الروايات إلى كلّ ما قاله الحجاج، ومما يؤيد ذلك أن سعيداً ذكر أمّه، ومن الطّبيعي أن يتعرض لها شخص كالحجاج.

٩- أشارت بعض الروايات إلى استقبال سعيد القبلة للصلاة، بينما جاء في بعضها أن الحجاج قال: اقتلوه، فقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أو قال الحجاج: يا غلام اقتله فاستقبل القبلة وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

والجمع بينهما هو أن يقال إن الحجاج أمر بقتله، فطلب صلاة

ركعتين، واستقبل القبلة، ولما أرادوا قتله وهو بهذه الحالة قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ولما رأى الحجاج ذلك أمر بأن يوجهوه إلى قبلة النصارى وهو تعبير عن الجهات الأخرى غير جهة القبلة، ويدل عليه قول الحجاج: شدوا به لغير القبلة.

وما رواه محمد بن عبيد من أمر الحجاج الحرس بضرب عنقه فقال سعيد: دعني أصلي ركعتين، وتوجه نحو القبلة، فقال الحجاج: ما يقول لك؟ قال: قال: دعني أصلي ركعتين. قال: لا إلا إلى المشرق. فقال سعيد: ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(١).

١٠- والعجيب ما نقله الذهبي بعد ذكر رواية عتبة حيث قال: وقيل لو لم يواجهه سعيد بن جبير بهذا لاستحياه كما عفى عن الشعبي، وكأنه نسي أن الشعبي إنما لحق بقتيبة بن مسلم بالري، وكان الحجاج حين هزم الناس بالجمام نادى مناديه: «من لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو أمانه»^(٢).

ومع ذلك كتب الحجاج إلى قتيبة: (أما بعد، فابعث اليّ بالشعبي حين تنظر إلى كتابي هذا)، ولما أدخل على الحجاج أعلن التنازل المطلق والانبطاح الذي لا نظير له، حيث سلم على الحجاج بالإمرة وقال له: أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً، قد والله سوّدنا وحرّضنا وجهدنا عليك كلّ الجهد فما آلونا فما كنّا بالأقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة، ولقد

(١) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ١٧٧.

نصرک الله علینا، وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرّت إلیه أیدینا، وإن عفوت عنا فبحلمک وبعد الحجّة لک علینا. وعندما سأله الحجاج: کیف وجدت الناس یا شعبي بعدنا. قال: أصلح الله الأمير إکتحلت والله بعدک بالسهر، واستوعرت الجناب، واستحسنت الخوف، وفقدت صالح الاخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً^(١).

١١- إن ما رواه ابن قتیبة فی کتابه لم یذكر له سنداً، ومن هنا فالرواية فاقدة للاعتبار من الناحية السندية، ولكن الذي یؤید ما ورد فیها مطابقة مضامینها لما جاء فی الروایات الأخرى، ولعل هذا یدعو إلی القول بأنّها رواية عون بن أبي شداد مع حذف أولها وزيادة بعض الأمور.

حوار القصر:

أدخل سعيد بن جبیر علی الحجاج وفي رجله القيود وهو محاط بالزبانية فلم یرعبه هذا المنظر، فالسلاح والجیوش لن ترهب أولیاء الله ودار بینهما هذا الحوار.

- أنت الشقي بن کسیر.
- بل أنا سعيد بن جبیر.
- بل أنت شقي بن کسیر.
- أمي كانت أعلم یاسمي منك.
- والله لأقتلنک.
- إني إذن لسعيد كما سمتني أمي.
- شقيت وشقيت أمک.

- الغيب يعلمه غيرك.
- لأبدلك بالدنيا ناراً تُلْظَى.
- لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.
- فما قولك بمحمد.
- تعني النبي.
- نعم.
- سيد ولد آدم، النبي المصطفى خير من بقي وخير من مضى، نبي الرحمة وإمام عليه الصلاة والسلام، ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة.
- فما تقول في علي؟
- ابن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم، وزوج فاطمة، وأبو الحسن والحسين.
- ما قولك في أبي بكر وعمر في الجنة أم في النار؟
- لو دخلتهما لعرفت أهلهما.
- ما قولك في الخلفاء؟
- لست عليهم بوكيل، كل أمرئ بما كسب رهين.
- فأيهم أحب إليك؟
- أرضاهم لخالقه.
- أيهم أرضى لخالقه؟
- علم ذلك عند ربي الذي يعلم سرهم ونجواهم.
- آيت أن تصدقني.

- بل لم أحب أن أكذبك.
- أشتهم أم أمدحهم؟
- لا أقول ما لا أعلم، إنما استحضت أمر نفسي.
- صف لي قولك في علي، أفي الجنة هو أم في النار؟
- لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت، ولو رأيت من في النار علمت.
- فما تقول في معاوية؟
- شغلني نفسي عن تصريح هذه الأمة وتميز أعمالها.
- فما تقول في؟
- أنت أعلم بنفسك.
- بت بعلمك؟
- إذن يسؤك ولا يسرك.
- بت بعلمك؟
- إعفني.
- لا عفى الله عني إن أعفيتك.
- إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي تقحمك الهلكة، وستر غداً فتعلم.
- أنا أحب إلى الله منك.
- لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم.
- كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا، وأنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة.

- ما أنا بخارج عن الجماعة، ولا أنا براض عن الفتنة، ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له.

- والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك.

- إذن تفسد عليّ دنياي وأفسد عليك آخرتك.

- ما بالك لم تضحك.

- كيف يضحك مخلوق من طين، والطين تأكله النار.

- فما بالنّا نضحك.

- لم تستو القلوب.

- كيف ترى ما نجمع لأمر المؤمنين.

- لم أر.

ثم أمر الحجاج بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ فوضعت بين يدي سعيد.

- إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح وإلا

ففزعة واحدة تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدينا إلا ما طاب وزكا.

- فترى طيباً.

- برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه.

- لا أحب ما لا يحب الله.

ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونُفخ بالناي بكى.

- ما يبكيك هو اللهو؟

- بل هو الحزن، أما النفخ فذكرتني يوماً عظيماً، يوم ينفخ في الصور،

وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فإنها معاء الشاء يبعث بها معك يوم القيامة.

- ويلك يا سعيد.
 - الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.
 - إختبر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك؟
 - إختبر لنفسك يا حجاج، فوالله ما قتله إلا أقتلك الله مثلها في الآخرة، فإن القصاص أمامك.
 - أفتريد العفو عنك؟
 - إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.
 - إذهبوا به فاقتلوه.
 - فلما خرج من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده.
 - ما أضحكك عند القتل؟
 - عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك.
 - فأمر بالنطح فبسط.
 - اقتلوه.
 - دعوني أصلي ركعتين.
 - توجه نحو القبلة.
 - ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.
 - فقال الحجاج للحرس: - ما يقول لك.
 - الحرس: يقول: دعني أصلي ركعتين.
 - الحجاج: اصرفوه عن القبلة، وجهوه لقبلة النصرارى.
 - سعيد: ﴿أَيْنَمَا تُولُؤْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. إني استعيزك بما عاذت به
- مريم.

الحجاج: وما عاذت به؟

- قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾.

- أكتبوه لوجهه.

- ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾.

- إذبح عدو الله، فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم.

- اللَّهُمَّ لَا تَسَلِّطْهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي، أَشْهَدُ وَأُحَاجُّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، فأنا خصمك عند الله.

فذبح على النطع بسيف رغيب حنفي عريض^(١) من قفاه^(٢).

القتيل الأخير:

تضاربت الروايات في آخر من قتله الحجاج، فقد قال علي بن بزيمة

حول الحجاج: ختم الدنيا بقتل سعيد بن جبير، وفتح الآخرة بقتل ماهان^(٣).

وقال سفيان: لم يقتل بعد سعيد بن جبير إلا رجلاً واحداً^(٤).

ويتضح المقصود من الرجل الواحد إذا جمعنا بين النصين، وهو

هامان أبو سالم (أبو صالح) الحنفي، صلبه وقتل الحجاج^(٥).

وفي المقابل هناك ما يدل على أن سعيداً كان هو آخر قتيل على يد

(١) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥، كتاب المتوارين: ص ٥٧.

(٢) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢، ص ١٨٣.

(٤) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣١٨. البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦. تهذيب الكمال: ج ١٠،

ص ٣٦٨.

(٥) التاريخ الكبير: ج ٨، ص ٦٧. الثقات: ج ٥، ص ٤٥٨.

٣٤٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

الحجاج^(١). ويؤيده ما ينقل من دعاء سعيد: «اللَّهُمَّ لا تسلطه على أحد يقتله بعدي»^(٢).

والأرجح هو أن القتل الأخير كان سعيد بن جبير؛ لأن قتل هامان لم يعلم زمانه، وليس ما يدل عليه سوى قول سفيان وعلي بن بزيمة، بينما هناك وضوح بالنسبة لمقتل سعيد بن جبير، وأن الحجاج لم يبق بعده، فقد جنّ. كما أن ما قاله علي بن بزيمة غير واضح، فما هو معنى أن يختم الإنسان الدنيا ولكنه مع ذلك يفعل شيئاً من أفعال الدنيا ليستقبل به الآخرة. نعم، قد يقال: إن المقصود من «فتح الآخرة» أي أول عمل قتل قام به الحجاج هو قتل هامان لأن هذه الجريمة تفتح سجل الآخرة.

دماء القتيل:

لما قتل سعيد بن جبير خرج منه دم كثير حتى راع الحجاج: فدعا طبيباً وقال له: ما بال دم هذا كثير؟ قال: إن أمنتني أخبرتك فأمنه، قال: قتلتها ونفسه معه^(٣).

وروي أيضاً: لما قتله لم يزل دمه يجري حتى علا وفاض، حتى دخل سرير الحجاج، فلما رأى ذلك هاله وأفزعه فبعث إلى صادوق المتطبب فسأله عن ذلك، قال: لأنك قتلتها ولم يهله ففاض دمه ولم يجمد في جسده، ولم يخلق الله عز وجل شيئاً أكثر دماً من الإنسان^(٤).

(١) التعديل والتجريح: ج ٣، ص ١٢١٩.

(٢) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٢.

(٣) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠-٣٤١، وفيات الأعيان: ج ١، ص ٣٦٨.

(٤) شذرات الذهب: ج ١، ص ١١٠.

رأس القتيل:

ضرب عنق سعيد وفصل الرأس عن الجسد فنذر رأسه في قلنسية بيضاء لاطية كانت على رأسه، كما في رواية الفضل بن سويد^(١).

والمراد من «لاطية» لازقة بالرأس ملتصقة به.

وفي رواية: ضربت عنقه فنذر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية صغيرة^(٢). وليس هناك فرق بين القلنسية والكمة.

تهليل رأس سعيد بن جبير:

عندما ذبح سعيد بن جبير هَلَّلَ رأسه كما جاء في الروايات التالية:

١- عن خلف بن خليفة حدثنا بواب الحجاج قال: رأيت رأس سعيد بن جبير بعدما سقط إلى الأرض يقول: لا إله إلا الله^(٣).

٢- عن خلف بن خليفة عن رجل: إن سعيد بن جبير لما نذر رأسه هَلَّلَ ثلاث مرات، يفصح بها^(٤).

٣- عن خلف بن خليفة عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه، قال: لا إله إلا الله، ثم قالها الثالثة فلم يتمها^(٥).

٤- عن خلف بن خليفة، حدثنا رجل من -الحرس يعني حرس

(١) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٤، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٤، وفيه: «فبدر» بدلاً من «فندر».

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢.

(٣) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦١.

(٤) نفس المصدر.

(٥) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٦٩، حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩١.

٣٤٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

الحجاج:- إن سعيد بن جبير لما سقط رأسه إلى الأرض قال: لا إله إلا الله، له ثلاث مرات، قال مرتين كلاماً يتيماً، وقال الثالثة بلسان منكسر^(١).

٥- عن أبي غسان مالك بن اسماعيل قال: سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال: لما قتل سعيد بن جبير فندر رأسه هلل ثلاثاً، مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها^(٢).

ونظراً لوجود الاختلاف بين الروايات نشير إلى سندها ودلالاتها. أما السند: فقد رواها خلف بن خليفة بأجمعها، ولكنه في الثالثة عن أبيه وفي الثانية والرابعة والخامسة عن رجل، إلا أنه في الثالثة فسّر المقصود من الرجل وهو حرس الحجاج، وفي الأولى عن بواب الحجاج. والخلاصة إن الأخبار وردت عن طرق:

١- خليفة والد خلف. ٢- بواب الحجاج. ٣- رجل. ٤- حرس الحجاج.

وربما كان المراد من «رجل» في بعض الروايات حرس الحجاج والمقصود منه بواب الحجاج، وعليه فالرواية وردت عن طريقين: والد خلف، وبواب الحجاج.

وأما دلالتها: فتقتضي التأمل فيها من جهات:

١- إن هذه الأخبار تتفق في أن رأس سعيد هلل بعد أن أبين من الجسم.

٢- ذكرت الرواية الأولى التهليل دون الإشارة إلى العدد والكيفية، بينما ذكرت بقية الروايات العدد (ثلاثاً) والكيفية (الافصاح، وعدم الاتمام

(١) كتاب المتوارين: ص ٦٠-٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٥.

أو الانكسار) ولا تنافي بينها، إذ لم تنف الرواية الأولى العدد أو الكيفية.
٣- لا تنافي بين الرواية الثالثة والرابعة في العدد والكيفية، وقوله: (فلم يتمها) لا ينافي (بلسان منكسر).

٤- هناك تناف بين الرواية الثانية والروايتين الثالثة والرابعة في الكيفية، فقد أفصح بالجميع في الرواية الثانية، بينما لم يتم أو كان بلسان منكسر في المرة الثالثة في الرواية الثالثة والرابعة، والأرجح ما جاء في الروايتين الثالثة والرابعة؛ لأن الراوي معروف بالإسم والوصف أو بالإسم كما في الرواية الثالثة على الأقل.

٥- والتنافي قائم في الكيفية بين الرواية الخامسة: (هَلَلٌ ثلاثاً فلم يفصح) والروايتين الثالثة (ثم قالها فلم يتمها) والرابعة: (وقال الثالثة بلسان منكسر)، والمرجح هو ما جاء في الروايتين الثالثة والرابعة؛ لنفس السبب الذي ذكرناه في الأمر الرابع.

والنتيجة: ان سعيد بن جبير لما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، ثم قالها الثالثة فلم يتمها.

جثة سعيد بن جبير:

لقد قتل سعيد بن جبير بصورة فجعية فقد حَزَّتْ رقبته كما فُعِلَ بيحيى بن زكريا^(١)، والإمام الحسين بن علي^(٢)، وتكلَّم رأسه مثلما نطق

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩، ص ٣٣٠، سير اعلام النبلاء: ج ٢، ص ٢٩٥، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣٨١، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٢.

(٢) سير اعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣١٧، انساب الاشراف: ص ٤٥، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٤٦.

٣٤٦ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله^(١)، وهذه إحدى كرامات سعيد،
ورمي جسده «فمرّ به رجل من قريش فطرح عليه جذم حائط»^(٢).

مرقد سعيد بن جبير:

لقد طويت صفحة العناء والقي طوّاف الزمن الأسود عصاه، وها هي
تربة واسط تحتضن الفقيه الشهيد لتجعل من مرقد مزاراً ومسجداً ومحراباً
ومحطة انطلاق.

حُمل الجثمان المبضّع دون أن يتبعه المشيعون ليحلّ في مثواه، وكان
القرار أن يدفن في ظاهر واسط^(٣)، ولعل الحجاج كان يظن أنه بذلك
سيقضي على سعيد، وخابت الظنون، فالأولياء لا يلقّهم الموت، ولن يغيبهم
التراب، فهم باقون ما بقي الدهر، أجسادهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة، وتصرّمت الليالي والأيام وتقضت السنين ومضت مئات الاعوام
ومرقد سعيد لا يزال علماً، فهي يا قوت الحموي عندما يتحدث عن
برجونية وهي قرية من شرقي واسط قبالتها يقول: وبها قبر يزعمون أنه قبر
سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج^(٤).

ولم ينته الأمر عند يا قوت الحموي، فقد خلّد سعيد وبه خلّدت
واسط، وأخذ مرقدّه يعلو ويعلو حتّى أصبح مناراً، يقول حرز الدّين: مرقدّه
اليوم في مدينة الحي معروف ومشهور وعامر مشيد، عليه قبة قديمة البناء،

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٢، ص ١١٧.

(٢) كتاب المتوارين: ص ٥٧.

(٣) مرقد المعارف: ج ١، ص ٣٥٠.

(٤) معجم البلدان: ج ١، ص ٣٧٤.

وله حرم تزوره الناس، قال في مجالس المؤمنين: إن قبر سعيد بن جبير في مدينة واسط مشهور^(١).

ومدينة الحي من مدن واسط التي عرفت بجهادها وثوراتها، وقد انطلق ابنائها في ثورة شعبان سنة ١٩٩٠م من مرقد سعيد.

هذا سعيد بن جبير الذي لم يرتض حكم لباغ لثيم
جاهد في الله ولم ينثن حتى أتى الله بقلب سليم
شاد بنو الحي له مرقداً ينير للناس الطريق القويم
قد نطق الحق بتاريخه دام لأهل الحي أجر عظيم^(٢)

لماذا قُتل سعيد بن جبير؟

ذكرت المصادر أسباباً أدت إلى شهادة سعيد بن جبير:

- ١- ولاء أهل بيت النبي: قال الإمام الصادق عليه السلام: إن سعيد بن جبير كان يأتم بعلي بن الحسين، فكان علي يشي عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الامر، وكان مستقيماً^(٣).
- ٢- الثورة ضد الحجاج: لقد شارك سعيد في ثورة القراء أو دير الجماجم. ومخالفة الحجاج في حد ذاتها تنتهي بالإنسان إلى القتل، فالطغاة

(١) مراقد المعارف: ج ١، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٢) هذه الأبيات موجودة على باب المرقد الشريف وهي: من نظم السيد محمد علي النجار/ عمل عبد عبد المجيد ١٣٨٦هـ كتبه منير مهدي عند بوابة المرقد، وجاء فيه «حكم لباغ لثيم» والصحيح «حكماً لباغ لثيم».

(٣) رجال ابن داود ص ١٠٣، خلاصة الاقوال: ص ١٥٧، اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٣٥، روضة الواعظين: ص ٢٠٩.

لا يتحملون الكلمة أو الموقف المعارض لهم، فضيق الافق وخوف تزعزع العروش تجعلهم يختارون البطش، قال الطبري: كان سبب قتل الحجاج إياه خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث^(١).

٣- العبادة: فقد جاء في سير أعلام النبلاء في سبب قتل سعيد وصحبه: «قتلهم عن غير شيء تعلق عليهم به إلا العبادة»^(٢) ويقصد بذلك الحجاج.

٤- مكاتبة مصعب بن الزبير: عن هلال بن خباب قال: جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال: أكتبني إلى مصعب بن الزبير، قال: بل كتب إلي مصعب قال: والله لأقتلنك، قال: إني إذن لسعيد كما سمعتني أمي^(٣).

وبعض هذه الاسباب لا تنافي بينها وقد تكون شككت بمجموعها عاملاً للشهادة، فالثورة ضد الحجاج كانت نتيجة البعد العقائدي والولاء للعترة الذي تجسد في حياته فاختر مواجهة الظلم. وأما العبادات فلا تنتهي بالإنسان إلى القتل إذا كانت مجرد طقوس يمارسها الفرد، نعم إن ما وراءها من عقيدة هي التي ترعب الظلمة.

وأما مكاتبة مصعب بن الزبير، فلم تثبت ولو كان سعيد يعتقد بابن الزبير لالتحق به، ويؤيد هذا: موقف عبد الله بن الزبير من استاذ سعيد، أي عبد الله بن عباس، فقد أساء إليه كثيراً مما اضطره للرحيل إلى الطائف ولا يمكن أن يصدق تفاعل سعيد مع جهة لم ترحم أستاذه، ولم تسمح لنفسها أن تصلي على النبي معذرة بأن له أهل بيت سوء.

ومن هنا فلا يخلو السبب الرابع من ملاحظات، ولكن يمكن أن

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢.

يكون مجرد تهمة أراد الحجاج أن يحملها سعيداً.
والنتيجة: إن سعيداً الرجل العقائدي الذي والى أهل البيت وكان من
العباد، رفض الحجاج وقاتله فانتهى به الأمر إلى الشهادة.
متى قُتل سعيد بن جبير؟

إن تحديد زمن شهادة سعيد بن جبير يتطلب نقل الاقوال والروايات
أولاً ثم ترجيح الرأي المناسب:
الشهر:

- ١- ذكر البعض أن سعيداً استشهد في شعبان^(١).
 - ٢- ونقل آخرون أنه استشهد في يوم العاشر من شهر رمضان^(٢).
- السنة:

- ١- قتل سنة ٩٤هـ^(٣) وبالتحديد في آخرها، كما قال البعض^(٤).
- ٢- قتل سنة ٩٥هـ^(٥).

(١) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٥، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، البداية والنهاية:
ج ٩، ص ١١٥، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨ وفيات الاعيان: ج ١، ص ٣٦٨.

(٢) مستدرك سفينة البحار (النمازي): ج ٥، ص ٢١٧.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٧٩، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٠، الطبقات الكبرى:
ج ٦، ص ٢٦٦، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٣، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٧، مروج
الذهب: ج ٣، ص ١٨٤، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٩٧ وفيات الاعيان: ج ١، ص ٣٦٨،
المنتظم: ج ٤، ص ٤٤٩، الانساب: ج ٥، ص ٥٦٨.

(٤) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٣، وفيات الاعيان: ج ١، ص ٣٦٨.

(٥) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٥، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢، شذرات الذهب: ج ١،
ص ١٠٨، التاريخ الكبير: ج ٣، ص ٤٦١.

وقبل بيان الرأي في المسألة، قد يواجهنا سؤال: ما هي ثمرة البحث عن السنة، فقد استشهد سعيد وهلك الحجاج ولن يؤثر التاريخ هي الحادثة.

والجواب: إن هناك قضايا تترتب على البعد الزمني، والزمن مفتاح حلّ الكثير منها، وليس ذلك على سعيد علم التأريخ وحسب، بل حتّى بالنسبة إلى الفقه وعلم أصول الفقه والقانون و... فالزمن يمكن أن يدحض أموراً تنسب إلى شخص أو العكس فإذا قال شخص: لماذا لم يشارك سعيد بن جبیر في معركة صفين مثلاً، فالجواب إنه لم يولد في تلك الفترة، وهكذا الامر فيما يرتبط بأشياء هذه القضية.

الرأي المختار:

ان المرجح في المقام هو أن سعيد بن جبیر استشهد سنة ٩٥هـ وذلك لوجود مجموعة من القرائن وهي:

- ١- ان سعيد بن جبیر كان دعا على الحجاج أن لا يسلّطه على أحد بعده^(١)، واستجيب دعاءه فكان آخر من قتل^(٢)، وأصيب الحجاج بالجنون وليس من المتصور أن تكون الفاصلة بين شهادة سعيد وهلاك الحجاج طويلة ومن الثابت أن الحجاج حكم العراق ٢٠ سنة^(٣)، وذلك من سنة ٧٥هـ^(١)

(١) تهذيب الكمال: ج ١، ص ٣٧٣.

(٢) المنتظم: ج ٤، ص ٤٧٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨٤.

وحتى ٩٥هـ^(٢) وهلك في شوال^(٣)، أو في شهر رمضان^(٤) لخمس بقين منه^(٥)، أو ليلة السابع والعشرين منه^(٦).

٢- إذا كان الحجاج قد جن بعد قتل سعيد مباشرة كما تؤكد الأخبار^(٧)، فلا يعقل أن يبقى والياً مدة ستة أشهر أو أكثر لا سيما وأن صلاحياته واسعة جداً حيث كان حاكماً على الشرق بأسره^(٨) وعلى العراق بالخصوص البلد الذي أطار نوم الامويين وكانوا يحسبون له ولأهله ألف حساب.

٣- ما جاء في بعض الأخبار: عندما ذبح سعيد بن جبير من قفاه «فبلغ ذلك الحسن فقال: اللَّهُمَّ يا قاصم الجبابرة، إقصم الحجاج. فما بقي إلا ثلاثة أيام حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فمات»^(٩). ولسنا بصدد مناقشة دعاء الحسن، ولكن الاستفادة من الخبر أن الفاصل بين الحادثتين لم يكن طويلاً.

٤- ما صرح به الذهبي: إن قيام القراء على الحجاج كان في سنة

(١) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨٣، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٦، المنتظم: ج ٤،

ص ٤٦٥، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٦.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨٣، المنتظم: ج ٤، ص ٤٦٥.

(٤) وفيات الاعيان: ج ١، ص ٣٦٨.

(٥) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨٤، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٥٩.

(٦) شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٦.

(٧) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، كتاب المتوارين: ص ٥٨، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٥.

(٨) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٧٣.

(٩) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢.

اثنتين وثمانين وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين، السنة التي قلع الله فيها الحجاج^(١).

٥- إن سعيداً عاش سبعاً وخمسين سنة كما مر، وهو يناسب أن تكون شهادته سنة ٩٥هـ لأنه ولد بعد واقعة التحكيم، وقد كانت سنة ٣٧هـ أو أوائل ٣٨هـ ولم يولد قبل هذا التاريخ، فإذا كانت الشهادة سنة ٩٤ كان عمره أقل من ٥٧ سنة.

وأما ما ذكر أنه استشهد سنة ٩٤هـ فيناقش فيه:

١- أما ما قاله الطبري من شهادة سعيد في سنة الفقهاء، وهي سنة ٩٤هـ، حيث توفي فيها الإمام علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٢).

(أ) إن هؤلاء الفقهاء الأربعة لم يثبت موتهم في سنة ٩٥هـ فقد قيل إن سعيد بن المسيب مثلاً توفي سنة ٩١هـ وقيل ٩٢ وقيل ٩٣ وقيل ٩٤ وقيل ٩٥ وقيل ١٠٥^(٣)، وهكذا الكلام في عروة بن الزبير، فقد قيل سنة ٩٤هـ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩^(٤)، وقيل في الإمام السجاد سنة ٩٤هـ و٩٢ و٩٣ و٩٩^(٥)، فكيف يمكن القطع بأن وفاتهم كانت سنة ٩٤هـ مع وجود كل هذا الاختلاف.

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٧.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٣٦٣.

(٣) وفيات الاعيان: ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٢١.

(٥) نفس المصدر: ص ١٣٢.

ب) سلمنا أنهم توفوا سنة ٩٤هـ ولكن ليس هناك أية ملازمة بين تاريخ وفاتهم وزمن شهادة سعيد. نعم قد يحصل مثل هذا الربط نتيجة لبيان أهمية الشخصية أو لبيان أهمية السنة.

ج) يحتمل أن يكون المراد من السنة ليس الرسمية أي ٩٤، بل المدة الزمنية بين وفاة هؤلاء وشهادته لم يمض عليها مدة سنة، وقد أدى مثل هذا التصور إلى القول بأن الموت كان في سنة ٩٤هـ وهو تصور يحدث عادة إثر مرور السنوات، ويزداد عقيب مضي القرون.

٢- وأما ما جاء في كتاب المتوارين حيث ذهب إلى أن الوليد كتب إلى خالد سنة ٩٤هـ باعتقال سعيد^(١)، فهو ربما حصل نتيجة للالتباس، فالأحداث لا تنسى غالباً خلافاً للتواريخ.

ومن هنا يمكن أن نرجح شهادة سعيد بن جبير في شهر رمضان؛ لأنه أقرب إلى وفاة الحجاج أي رمضان أو شوال، ونختار القول بأن الفاصلة بين شهادة سعيد وهلاك الحجاج لم تتجاوز ١٥ يوماً^(٢) أو ٤٠ يوماً^(٣) على أبعد التقدير، وأما القول بأنها كانت ستة أشهر^(٤) أو سنة^(٥) فلا يمكن قبولهما. يبقى أن نشير إلى الرأي الذي اعتبر الشهادة قد حصلت في يوم العاشر من

(١) كتاب المتوارين: ص ٥٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨٤، المنتظم: ج ٤، ص ٤٧٦.

(٣) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٢، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٣، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٧.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٥، الأخبار الطوال:

ص ٣٢٩، قاموس الرجال: ج ٥، ص ٨٥.

(٥) تاريخ ابن معين: ج ١، ص ٣٢٧.

٣٥٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

شهر رمضان، فنقول: إنه من اجتهاد المؤلف، حيث لم يذكر ما يدل على قوله، ولعله أخذ بالخبر الذي يؤكد هلاك الحجاج في شهر رمضان لخمس بقين منه، وبالرواية التي تثبت أن الفاصلة بين مقتل سعيد وهلاك الحجاج ١٥ يوماً.

قالوا بعد شهادة سعيد

- ١- كان الحسن يقول: العجب من سعيد بن جبير قاتل الحجاج في غير موطن وأمر بقتاله ثم هرب فأتى مكة فلم يملك نفسه^(١).
- ٢- عن الأعمش أو مغيرة عن إبراهيم أن سعيد بن جبير ذكر له فقال: ذاك رجل شهر نفسه^(٢).
- ٣- وقال أحدهما: قيل لإبراهيم قتل سعيد بن جبير. فقال: يرحمه الله ما خلف مثله^(٣).
- ٤- قال الحسن البصري يوم قتل سعيد: اللَّهُمَّ أعن على فاسق ثقيف، والله لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لكبهم الله في النار^(٤). وهكذا ينتهي الظلمة:

لم تنته قصة سعيد بن جبير ولم يجف دمه حتى استجيب دعاءه: «اللَّهُمَّ لا تسلطه على أحد بعدي أبداً» فأرغم أنف الجبار بالتراب، يقول شهر بن

(١) الطبقات: ج ٦، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٦. كتاب العلم: ص ١٢.

(٤) شذرات الذهب: ج ١، ص ١٠٨، وفيات الأعيان: ج ١، ص ٣٦٨.

عطية: لما ثقل الحجاج جعل يقول: مالي ولسعيد بن جبير^(١).
وعن سالم الأفطس: أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج وفي رجله قيود،
فلما دخل عليه أمر بضرب عنقه، فما قام الحجاج من مجلسه حتى خلط
وجعل يقول: قيودنا قيودنا^(٢)، فظنوا أنه قال القيود التي على سعيد بن جبير،
فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود^(٣).

وعن يحيى بن سعيد عن كاتب للحجاج...: دخلت عليه يوماً بعد ما
قتل سعيد بن جبير وهو في قبة لها أربعة أبواب، فدخلت عليه مما يلي ظهره
فسمعتة يقول: مالي ولسعيد بن جبير؟.... فلم ينشب الحجاج بعد ذلك إلا
يسيراً^(٤).

وعن عون بن أبي شداد العبدي قال: بلغنا أن الحجاج عاش بعده
خمس عشرة ليلة، ووقعت الاكلة في بطنه فدعا بالطبيب لينظر اليه، فنظر اليه
ثم دعا بلحم منتن فعلقه في خيط، ثم أرسله في حلقه فتركه ساعة، ثم
استخرجه وقد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بناج، وبلغنا أنه كان ينادي
بقية حياته: مالي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي^(٥) وكان إذا
نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول: يا عدو الله فيم قتلتنى؟ فيقول:

(١) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩١، كتاب المتوارين: ص ٦١.

(٢) كتاب المتوارين: ص ٥٧.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢.

(٤) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٩١، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٥) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٣، سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٣٢، ولكنه علق
عليها: هذه حكاية منكرة غير صحيحة، ولم يوضح ما هو وجه إنكارها وعدم
صحتها.

مالي ولسعيد بن جبیر، مالي ولسعيد بن جبیر^(١).

وأنه كان يقول: كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي^(٢). وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان أو لخمس بقين منه أو في شوال سنة ٩٥ هلك الحجاج بواسط وعفي قبره، وأجري الماء عليه لكيلا ينبش ويحرق^(٣).

قالوا في سعيد بن جبیر

لقد قال الكثير من الأئمة والعلماء والمؤرخين في سعيد بن جبیر ما ينبي عن بذله وفضله ونكتفي ببعضها:

١- قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إن سعيد بن جبیر كان يأتني بعلي بن الحسين، فكان يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، وكان مستقيماً^(٤).

٢- قال الفضل بن شاذان: لم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبیر، سعيد بن المسيب، محمد بن جبیر، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي^(٥).

٣- ميمون بن مهران: لقد مات سعيد بن جبیر وما على وجه الأرض

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٦٢-٢٦٣، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٦٥.

(٢) مروج الذهب: ج ٣، ص ١٨٤.

(٣) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٥٩.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٣٥. رجال ابن داود: ص ١٠٢. خلاصة الاقوال:

ص ١٥٧.

(٥) خلاصة الاقوال: ص ١٥٧. التحرير، الطاووسي: ص ٢٤٨.

أحد إلا وهو محتاج إلى علمه^(١).

٤- سفيان الثوري: ما أعدل به من التابعين أحداً، ما زال على بصيرة من أمره حتى قتل، ما أشبهه إلا بعمار^(٢).

٥- وقال سفيان أيضاً: خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة^(٣).

٦- وقال أيضاً: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك^(٤).

٧- الإمام مالك بن أنس: كان سعيد من العباد العلماء^(٥).

٨- قال ابو نعيم الاصفهاني: الفقيه البكاء، والعالم الدعاء، السعيد الشهيد، السديد الحميد^(٦).

٩- قال يحيى بن سعيد: مراسلات سعيد بن جبير أحب اليّ من مراسلات عطاء^(٧).

١٠- قال علي المدني: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن

(١) حلية الأولياء: ج ٤، ص ٢٧٣. الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٦. تهذيب الكمال:

ج ١٠، ص ٣٦٤. تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١١. البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦.

(٢) كتاب المتوارين: ص ٦٠.

(٣) البداية والنهاية: ج ٩، ص ٢٧٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٩١.

(٤) نفس المصدر.

(٥) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤٠.

(٦) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٧٢.

(٧) تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٣.

٣٥٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

جبير، قيل: ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس، ولا أحداً^(١).

١١- قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري: هو ثقة إمام حجة على المسلمين^(٢).

١٢- قال أشعث بن إسحاق: يقال سعيد بن جبير جهيد العلماء^(٣).

١٣- قال ابن حبان: كان فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً^(٤).

١٤- قال الذهبي: كان من كبار العلماء^(٥).

١٥- قال ابن كثير: من المشاهير والأعيان سعيد بن جبير... من أكابر أصحاب ابن عباس، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح^(٦).

وأخيراً: لقد عشنا في هذه الصفحات رحلة عبيرة وعبرة مع المجاهد الكبير سعيد بن جبير على أمل أن نستلهم منها الدروس؛ إذ لم يكن الهدف كتابة التاريخ وحسب، هذا الذي بين يديك جانب من جوانب حياة سعيد، بقي علينا أن نقدم لك في القريب العاجل إن شاء الله مجلدات أخرى تتضمن «تفسير سعيد بن جبير» و«تفسير ابن عباس برواية سعيد بن جبير» و«فقه سعيد بن جبير» و«البعد الحديثي في حياة سعيد بن جبير».

(١) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤١.

(٢) تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٧٥. تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٢.

(٣) حلية الاولياء: ج ٤، ص ٢٧٣. سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٤١.

(٤) الثقات: ج ٤، ص ٢٧٥.

(٥) سير اعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٦) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٦.

فهرس للمصادر

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط بيروت الأعلمي ١٤٢٥هـ.
٢. ابن أبي جمهور الاحسائي، عوالي اللآلء العزيزية في الأحاديث الدينية، ط قم مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣هـ.
٣. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن، الجرح والتعديل، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٣١٧هـ-١٩٥٢م، ط ١.
٤. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف، تحقيق/ سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ط ١.
٥. ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، قم، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٦٤ هـ ش، ط ٤.
٦. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر/ دار صادر، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م، بلا ط.
٧. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق/ د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، بلا ط.
٨. ابن الشهيد الثاني، حسن، التحرير الطاووسي، تحقيق/ فاضل

٣٦٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

الجواهري، قم، مكتبة المرعشي النجفي، ١٤١١هـ ط ١.

٩. ابن حبان، (محمد بن حبان ابن أحمد)، صحيح ابن حبان بترتيب بلبان،

تحقيق / شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ط ٢.

١٠. ابن حبان، محمد ابن أحمد بن محمد، كتاب المجروحين بين

المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق / محمود إبراهيم زيد، مكة،

توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، بلا تا، بلا ط.

١١. ابن حبان، محمد ابن أحمد بن محمد، الثقات، حيدر آباد الدكن،

الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ ط ١.

١٢. ابن حبان، محمد ابن أحمد بن محمد، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق

مرزوق علي إبراهيم، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١١هـ

ط ١.

١٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن بن علي، تقريب التهذيب، تحقيق /

مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م،

ط ٢.

١٤. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة، تحقيق / عادل احمد عبد

الموجود وغيره، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ط ١.

١٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، بيروت، دار

الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م، ط ١.

١٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، بيروت، مؤسسة

الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١ م، ط ٢.

١٧. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، فتح الباري، بيروت، دار المعرفة

للطباعة والنشر، بلا تا، بلا ط.

١٨. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، المحلى، الناشر دار الفكر، بلا تا، ط.
١٩. ابن حنبل، أحمد بن محمد، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق / د. وصي الله بن محمد عباس، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ ط ١.
٢٠. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، بيروت، دار صادر، بلا تا، بلا ط.
٢١. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار احياء التراث العربي، بلا تا، ط ٤.
٢٢. ابن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس، لبنان، دار الثقافة، بلا تا، بلا ط.
٢٣. ابن داود الحلبي، رجال ابن داود، تحقيق / محمد صادق آل بحر العلوم، النجف، منشورات مطبعة الحيدري، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، بلا ط.
٢٤. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، بلا تا، بلا ط.
٢٥. ابن شاذان، الفضل، الايضاح، تحقيق / جلال الدين الحسيني الأرموي، طهران، الناشر، مؤسسة انتشارات وچاب دانشگاه تهران، ١٣٦٣ ش، بلا ط.
٢٦. ابن شاهين، عمر، تاريخ اسماء الثقات، تحقيق / صبحي السامرائي، تونس، دار السلفية، ١٤٠٤ هـ ط ١.
٢٧. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بلا ط.
٢٨. ابن عدي، عبد الله، الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، ط ٣.
٢٩. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة بن عبد الله، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق / علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بلا ط.

٣٦٢ القرآن في الفقيه سعيد بن جبير

٣٠. ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط طهران انتشارات ناصر خسرو.

٣١. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، بيروت، الناشر دار الكتاب العربي للنشر، بلا تا، بلا ط.

٣٢. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق / علي شيري، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ط ١.

٣٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، بلا تا، بلا ط.

٣٤. ابن ماكولا، إكمال الكمال، بيروت، دار احياء التراث العربي، بلا تا، بلا ط.

٣٥. ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ بلا ط.

٣٦. أبو الشيخ الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حبان، طبقات المحدثين بابصبهان، تحقيق / عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م، ط ٢.

٣٧. أبي خيثمة النسائي، زهير بن حرب، كتاب العلم، د.ت، بلا ط.

٣٨. أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي / الأقليم الجنوبي / الادارة العامة للثقافة، بلا تا، بلا ط.

٣٩. الأربلي، علي بن عيسى بن ابي الفتح، كشف الغمة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م، ط ٢.

٤٠. الأربلي، الشيخ أحمد الأربلي، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، ط قم جماعة المدرسين.

٤١. الأزدي، عبد الغني بن سعيد، كتاب المتوارين، بيروت، دار القلم، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، ط ١.
٤٢. الأزدي، محمد بن أحمد، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق / د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، بلا ط.
٤٣. الأستر آبادي الشيخ محمد أمين، الفوائد المدنية، ط جماعة المدرسين قم، ١٤٢٤ هـ.
٤٤. الاصبهاني، ابو نعيم أحمد بن عبد الله، ذكر اخبار اصبهان، ليدن، بريل، ١٩٢٤، بلا ط.
٤٥. الأصفهاني محمد رضا، وقاية الأذهان، ط مؤسسة آل البيت (عليه السلام) قم، ١٤١٣ هـ.
٤٦. الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، تحقيق / أحمد صقر، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٧ م - ١٤٠٨ هـ ط ٢.
٤٧. الأصفهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بلا ط.
٤٨. الأصول الأصيلة، السيد عبد الله شبر، ط بيروت مؤسسة البلاغ ١٤٣٠ هـ. تحقيق: نزار الحسن.
٤٩. الأصول، السيد محمد الحسيني الشيرازي ط مؤسسة دار المهدي القرآن الحكيم، ١٤٢٢ هـ.
٥٠. الأمالي، الشيخ المفيد، ط قم جماعة المدرسين، ١٤٠٣ هـ.
٥١. الأمدي، علي بن محمد، الاحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢ هـ ط ٢.

٣٦٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

٥٢. الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٦ م، ط ٢.

٥٣. الأيرواني الشيخ محمد باقر، شرح الحلقة الثالثة، ط قم ١٤٢٤ هـ.

٥٤. الباجي، سليمان بن خلف، التعديل والتجريح، تحقيق / أحمد البزار، مراكز، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، بلا تا، بلا ط.

٥٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ط ١.

٥٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، ديار بكر، تركيا، المكتبة الإسلامية، بلا تا، بلا ط.

٥٧. البروجردي السيد حسين، جامع أحاديث الشيعة، ط قم ١٤٢٢ هـ.

٥٨. البروجردي، علي، طرائف المقال، تحقيق مهدي الرجائي، قم، مكتبة المرعشي النجفي، ١٤١٠ هـ ط ١.

٥٩. البغدادي، محمد بن حبيب، المحبر، مطبعة الدائرة، ١٣٦١ هـ بلا ط.

٦٠. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق / د. سهيل زكار و د. رياض زركلي / بيروت، مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، بلا ط.

٦١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٦ م، بلا ط.

٦٢. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى للبيهقي، بيروت، دار الفكر، بلا تا، بلا ط.

٦٣. التستري أسد الله، كشف القناع عن وجوه حجية الإجماع، ط مؤسسة

آل البيت عليه السلام (حجري).

٦٤. التستري، محمد تقى، قاموس الرجال، قم / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٧هـ ط ٢.

٦٥. التفرشي، مصطفى بن الحسين، نقد الرجال، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ ط ١.

٦٦. الجزائري السيد محمد جعفر، منتهى الدراية في توضيح الكفاية، في توضيح الكفاية، ط قم نشر الفقاهة، ط ١٤٢٧هـ.

٦٧. الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ط ١.

٦٨. الجوهري، أحمد بن عبد العزيز، السقيفة وفدك، تحقيق / محمد هادي الأميني، بيروت، شركة الكتيبي للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ط ٢.

٦٩. الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطا، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط ٤.

٧٠. الحائري، محمد بن علي، جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة المحمدي، بلا تا، بلا ط.

٧١. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، مستدرک، بيروت، دار المعرفة، بلا تا، بلا ط.

٧٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط (آل البيت)، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤هـ ط ٢.

٧٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط (التراث)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ -

٣٦٦ القرآنني الفقيه سعيد بن جبير

١٩٨٣ م، ط ٥.

٧٤. حرز الدين، محمد، مراقد المعارف، قم، نشر مكتبة سعيد بن جبير،

١٩٩٢ م، بلا ط.

٧٥. حسن، د. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي

والاجتماعي، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٤ م، ط ٧.

٧٦. الحسني، هاشم معروف، تاريخ الفقه الجعفري، دار الكتاب الإسلامي،

١٤١١ هـ ط ١.

٧٧. الحسني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين، بيروت،

دار المعارف للطبعات، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ط ٢.

٧٨. الحسيني السيد محمد، توضيح نهج البلاغة، ط بيروت دار العلوم

٢٠٠٢ م.

٧٩. الحسيني، السيد شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة

الطاهرة، ط قم جماعة المدرسين، ١٤٢١ هـ.

٨٠. الحلبي، الحسن بن يوسف، خلاصة الاقوال، تحقيق جواد القيومي،

مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ ط ١.

٨١. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، بلا ط.

٨٢. الخاقاني، علي، رجال الخاقاني، تحقيق/ محمد صادق بحر العلوم، قم،

مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ ط ٢.

٨٣. الخراساني، الشيخ محمد قاسم الخراساني، كفاية الأصول المحشّى، ط

قم منشورات دار الحكمة، ١٣٨١ ش.

٨٤. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق/ مصطفى عبد

- القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ط ١.
٨٥. الخوثي، السيد ابو القاسم الخوثي، معجم رجال الحديث، ط الخامسة ١٤١٣ هـ.
٨٦. الخوثي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، بلا مطبعة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ط ٥.
٨٧. الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق / أسد الله اسماعيليان، قم، مهر، ١٣٩١ ش، بلا ط.
٨٨. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، سنن الدارمي، دمشق مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩ هـ بلا ط.
٨٩. الدارمي، عثمان بن سعيد، تاريخ ابن معين، رواية عثمان بن سعيد الدرامي، دمشق، دار المأمون للتراث، بلا ت، بلا ط.
٩٠. الدوري، أبو الفضل العباس بن حاتم، تاريخ ابن معين، المري، يحيى بن معين بن عون، رواية ابي الفضل العباس بن محمد بن حاتم الدوري، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر، بلا تا، بلا ط.
٩١. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ط ٩.
٩٢. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار احياء التراث العربي، بلا تا، بلا ط.
٩٣. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال، تحقيق / علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، ط ١.
٩٤. الذهبي، محمد بن أحمد، الكاشف في من له رواية في الكتب الستة،

٣٦٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م، ط ١.

٩٥. الرازي، التفسير الكبير، الفخر الرازي، بلا مطبعة، بلا تا، ط ٣.

٩٦. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم

أصول الفقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط ٢.

٩٧. الراهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، الحد الفاصل، تحقيق / د. محمد

عجاج الخطيب، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤ هـ ط ٣.

٩٨. الرضي السيد الشريف، نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ط قم أنوار

الهدى ١٤٢٧ هـ.

٩٩. الزبيدي، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى، تاج العروس

من جواهر القاموس، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤ م.

١٠٠. الزركلي، خير الدين، الاعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠ م،

ط ٥.

١٠١. الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن، نظم درر

السمطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م، ط ١.

١٠٢. الزيعلي، جمال الدين، نصب الراية، المنصورة، مطابع الوفاء، ١٤١٥

هـ - ١٩٨٥ م، ط ١.

١٠٣. السيزواري، ملا محمد باقر، ذخيرة العباد في شرح الارشاد، مؤسسة

آل البيت لإحياء التراث، بلا تا، بلا ط، (طبعة حجرية).

١٠٤. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، الانساب، الصنائع، دار

الجنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط ١.

١٠٥. السيد المرتضى الأنصار، ط جماعة المدرسين قم، ١٤١٥ هـ.

١٠٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير،

- بيروت، دار الفكر، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ط ١.
١٠٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، مصر، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، ط ١.
١٠٨. السيوطي، جلال الدين، اسعاف المبطأ برجال الموطأ، تحقيق / موفق فوزي جبر، بيروت، دار الهجرة للطباعة والنشر، ١٤١٠ هـ ط ١.
١٠٩. الشبستري، عبد الحسين، الفائق في رواية وأصحاب الإمام الصادق، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٨ هـ ط ١.
١١٠. الشهرزوي، عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة أبي الصلاح في علوم الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ط ١.
١١١. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣، بلا ط.
١١٢. الشيرازي، أبو اسحاق، طبقات الفقهاء، بيروت، دار القلم، بلا تا، بلا ط.
١١٣. الشيرازي، محمد طاهر، كتاب الاربعين، قم، مطبعة الامير، ١٤١٨ هـ ط ١.
١١٤. الشيرازي، ناصر مكارم، القواعد الفقهية، قم، مدرسة الإمام أمير المؤمنين، ١٤١١ هـ ط ٣.
١١٥. الصدر السيد محمد باقر، الحلقة الثالثة، ط قم جماعة المدرسين، ١٤٢١ هـ.
١١٦. صدر حاج سيد جواد، أحمد، وغيره، دايره المعارف تشيع، طهران، بنياد إسلامي طاهر، ١٣٦٦ ش، بلا ط.

- ٣٧٠ القرآن في الفقيه سعيد بن جبير
١١٧. الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، انتشارات اعلمي، ١٣٧٥هـ ش، ط ٢.
١١٨. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ط قم الشريف الرضي.
١١٩. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، كمال الدين، ط قم منشورات ذوي القربى، ١٤٢٥هـ.
١٢٠. الصدوق، كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه، للشيخ محمد بن علي الصدوق، ط قم جماعة المدرسين.
١٢١. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، أمالي الصدوق، تحقيق / قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، طهران، مؤسسة البعثة، ١٤١٧ هـ ط ١.
١٢٢. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، علل الشرائع، النجف، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م، بلا ط.
١٢٣. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، منشورات الأعلمي طهران ١٤٠٤هـ.
١٢٤. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي، بلا مطبعة، بلا تا، بلا ط.
١٢٥. الطباطبائي السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ط بيروت الأعلمي ١٤١٧هـ.
١٢٦. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، بيروت، دار الكتب العلمية، بلا تا، بلا ط.
١٢٧. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، دار الحرمين للطباعة

- والنشر، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، بلا ط.
١٢٨. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بلا تا، ط ٢.
١٢٩. الطبرسي أبو الفضل ، تفسير مجمع البيان، ط بيروت مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٢ هـ.
١٣٠. الطبرسي الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ط بيروت الأعلمي، ١٤٢٢ هـ.
١٣١. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، النجف، مطبعة النعمان، ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦ م، بلا ط.
١٣٢. الطبري الإمامي، محمد بن جرير بن رستم، المسترشد، تحقيق / أحمد المحمودي، قم، سلمان الفارسي، ١٤١٥ هـ ط ١.
١٣٣. الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى، القاهرة، الناشر مكتبة القدسي، ١٣٥٦ هـ بلا ط.
١٣٤. الطبري، محمد بن جرير، المنتخب من ذيل المذيل، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٥٨ هـ-١٩٣٩ م، بلا ط.
١٣٥. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م، ط ٤.
١٣٦. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، بلا ط.
١٣٧. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق / أحمد الحسيني، قم، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨ هـ ط ٢.
١٣٨. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الاستبصار فيما اختلف من

٣٧٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

الأخبار، الشيخ، ط دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٠٣ ش.

١٣٩. الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق / ميرداماد

الاسترآبادي، قم، بعثت، ١٤٠٤ هـ بلا ط.

١٤٠. الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق / جواد القيومي

الاصفهاني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،

١٤١٥ هـ ط ١.

١٤١. العاملي، السيد محمد العاملي، مدارك الأحكام في شرح شرائع

الإسلام، ط قم مؤسسة آل البيت عليه السلام، ١٤١٠ هـ.

١٤٢. العجلي، أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات، المدينة، مكتبة الدار،

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ط ١.

١٤٣. العراقي للشيخ ضياء الدين، مقالات الأصول، ط مؤسسة مجمع

الفكر الإسلامي، ١٤١٤ هـ.

١٤٤. العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن خالد، تحقيق / د.

سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، بلا ط.

١٤٥. العقيلي، محمد بن عمرو بن موسى، ضعفاء العقيلي، بيروت، دار

الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ط ٢.

١٤٦. علم الهدى السيد مرتضى، الذريعة إلى أصول الشريعة، ط دانسگاه

طهران، ١٣٤٦ ش.

١٤٧. علي خان المدني، صدر الدين، الدرجات الرفيعة، قم، مكتبة

بصيرتي، ١٣٩٧ هـ ط ٢.

١٤٨. العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب،

بيروت، دار الكتب العلمية، بلا تا، بلا ط.

رحلة الشهادة ٣٧٣

١٤٩. الغروي الشيخ علي الغروي، التنقيح في شرح العروة الوثقى،
تقارير لأبحاث السيد الخوئي، ط مؤسسة الإمام الخوئي، قم ١٤٢٨ هـ.

١٥٠. غفاري، علي أكبر، دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس
الهداية، طهران، تابش، ١٣٦٩ ش، ط ١.

١٥١. الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، قم، منشورات الشريف
الرضي، بلا تا، بلا ط.

١٥٢. فقيهي، علي أصغر، تاريخ جامع قم، قم، توحيد، ١٣٧٨ ش، ط ٢.
١٥٣. القاري، الملا علي، شرح مسند أبي حنيفة، بيروت، دار الكتب
العلمية، بلا تا، بلا ط.

١٥٤. القضاءي بن سلامة القضاءي، عبد الله محمد، مسند الشهاب،
تحقيق/ عبد المجيد السلفي، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
م، ط ١.

١٥٥. القمي ابن قولوية، كامل الزيارات، ط قم نشر الفقاهة، ١٤٢٨ هـ.
١٥٦. القمي، السيد تقي القمي، مباني منهاج الصالحين، ط بيروت دار
السرور ١٤١٨ هـ.

١٥٧. القمي، علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ط بيروت الأعلمي،
١٤١٢ هـ.

١٥٨. القمي، حسن بن محمد بن حسن، تاريخ قم، ترجمة: حسن بن علي
بن حسن بن عبد الملك، طهران، انتشارات توس، ١٣٦١ ش، بلا ط.
١٥٩. كاشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء كشف الغطاء عن
مبهمات الشريعة الغراء، ط مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٧٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

١٦٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ ش، ط ٥.

١٦١. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق / محمد الكاظم، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ط ١.

١٦٢. المؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق / د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، بيروت، دار صادر، ١٩٧١، بلا ط.

١٦٣. المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، بلا ط.

١٦٤. المجلسي، الشيخ محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ط دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٩ ش.

١٦٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣، ط ٣.

١٦٦. المزني، اسماعيل بن يحيى، مختصر المزني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بلا تا، بلا ط.

١٦٧. المزني، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، تهذيب الكمال، تحقيق / د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، بلا ط.

١٦٨. المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والاشراف، بيروت، دار صعب، بلا تا، بلا ط.

١٦٩. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، تحقيق / قاسم الشماخي الرفاعي، بيروت، دار القلم، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩ م، ط ١.

١٧٠. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق / محمد ابو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م، ط ١.
١٧١. المفيد، محمد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق / علي أكبر غفاري وغيره، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٢ م، ط ٢.
١٧٢. المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ط ١.
١٧٣. المنتظري حسين علي، نهاية الأصول، تقارير لأبحاث السيد حسين البروجردي، مطبعة الحكمة، قم ١٣٧٥ هـ.
١٧٤. الميلاني السيد علي، التحقيق في نفي التحريف، ط قم الشريف الرضي، ١٤١٧ هـ.
١٧٥. النجاشي، أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، ط قم مؤسسة جماعة المدرسين ١٤٢٤ هـ.
١٧٦. النجاشي، أحمد بن العباس، رجال النجاشي، تحقيق / موسى الشبيري الزنجاني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لمجاعة المدرسين، ١٤١٦ هـ ط ٥.
١٧٧. النجفي الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق الشيخ عباس القوجاني، ط دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ ش.
١٧٨. النراقي، عوائد الأيام، ط قم بصيرتي.
١٧٩. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر، السنن الكبرى للنسائي، تحقيق / عبد الغفار سليمان البنداري وغيره، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ط ١.
١٨٠. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر، سنن النسائي، بيروت،

٣٧٦ القرآنني الفقيه سعيد بن جبير

دار الفكر، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م، ط ١.

١٨١. النقدي، الشيخ جعفر، الانوار العلوية والاسرار المرتضوية، النجف،

المطبعة الحيدرية، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م، ط ٢.

١٨٢. النمازي الشاهرودي، الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق /

حسين علي النمازي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المدرسين، ١٤١٨ هـ بلا ط.

١٨٣. النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، بيروت،

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ط ١.

١٨٤. النووي، محي الدين، المجموع، دار الفكر، بلا تا، بلا ط.

١٨٥. النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر، بلا تا، بلا ط.

١٨٦. الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، تحقيق / محمد باقر

الأنصاري الزنجاني، بلا مطبعة، بلا تا، بلا ط.

١٨٧. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، بيروت، دار

الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، بلا ط.

١٨٨. الوحيد البهبهاني، محمد باقر بن محمد أكمل، تعليقة على منهج

المقال، بلا مطبعة، بلا تا، بلا ط. وط، طهران، خورشيد، ١٣٦٥ ش،

ط ٢.

١٨٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار

صادر، بلا تا، بلا ط.

فهرس محتويات الكتاب

الإهداء.....	٥
التقديم.....	٧
المقدمة.....	١١

القسم الأول

سعيد بن جبير من الكوفة إلى الكوفة

الفصل الأول

سعيد بن جبير حياته ونشأته

سعيد بن جبير في سطور.....	١٧
حياة سعيد بن جبير.....	١٩
اسمه.....	١٩
ولادته وحياته.....	٢٠
الانتماء القبلي:.....	٢٣
ألقابه:.....	٢٤
كنيته:.....	٢٤
اسرته:.....	٢٥

٣٧٨ القرآني الفقيه سعيد بن جبیر

- ١- والده ووالدته: ٢٥
- ٢- أعمامه: ٢٦
- ٣- اخوته وأخواته: ٢٦
- ٤- أبناء أخواته: ٢٧
- ٥- أبناؤه وبناته: ٢٧
- ٦- أصهاره: ٣٠
- أ- ميمون بن مهران: ٣٠
- ب- سالم بن عبد الله: ٣١
- ٧- أحفاده وأسباطه: ٣١
- موطنه: ٣٣
- الكوفة: ٣٤
- وجه تسميتها: ٣٤
- تمصيرها: ٣٥
- الكوفة قبل التمصير: ٣٥
- مسجد الكوفة: ٣٥
- مسجد السهلة: ٣٦
- فضل الكوفة وأهلها: ٣٦

الفصل الثاني

البعد العلمي في حياة سعيد بن جبیر

- البعد العلمي ٤١
- هجرة العلم ٤١
- سعيد بن جبیر في مدرسة ابن عباس: ٤٢
- ١- التعرف على الاستاذ: ٤٥

٣٧٩	 فهرس محتويات الكتاب
٤٥	٢- التلمذة والتعلّم:.....
٤٦	٣- التشويق والتحفيز:.....
٤٦	٤- إجازة الرواية:.....
٤٧	٥- عدّه منه:.....
٤٧	٦- إرجاع الناس اليه في الفتوى:.....
٤٨	سعيد بن جبير تلميذ الامام السجاد:.....
٥٢	سعيد بن جبير في حلقة عبدالله بن عمر:.....
٥٤	فقيه عصر التابعين.....
٦١	سعيد بن جبير فقيه الكوفة:.....
٦٣	سعيد بن جبير وقضاء الكوفة.....
٦٤	المحطة الاولى: فترة ابن الزبير.....
٦٥	المحطة الثانية: فترة الحجاج.....
٦٩	أوسمته العلمية والدينية:.....

القسم الثاني

سعيد بن جبير من العقيدة إلى بناء الذات

الفصل الاول

البعد العقائدي في حياة سعيد بن جبير

٧٧	 البعد العقائدي
٧٧	تشيع سعيد بن جبير.....
٧٨	أدلة القول الأول:.....
٧٩	أدلة القول الثاني:.....
٧٩	الدليل الاول: اجتهاده في الفتوى دون اتباعه أثر أهل البيت:.....
٧٩	ويرد عليه:.....

٣٨٠	 القرآني الفقيه سعيد بن جبیر
٨٠	 الدليل الثاني: عدم شيوع رواية منه عن أئمة زمانه عليهم السلام
٨٠	 ويرده:
٨١	 الدليل الثالث: ذكره صاحب الوجيزة والحاوي من جملة الضعفاء
٨١	 ويرده:
٨١	 الدليل الرابع: لعب سعيد بالشطرنج:
٨٢	 ويرده:
٨٥	 سعيد بن جبیر والإرجاء:
٨٩	 موقف سعيد بن جبیر من التقية
٩١	 حوار حول علاقة الحسنين بالرسول ﷺ
٩٣	 دراسة الرواية

الفصل الثاني

البعد الروحي والعبادي والتربوي في حياة سعيد بن جبیر

٩٧	 البعد الروحي
٩٧	 مقدمة
٩٨	 نماذج عبادة وروحية في حياة سعيد:
٩٨	 التوكل على الله:
٩٨	 ذكر الله:
٩٩	 الخشية من الله:
٩٩	 البكاء من خشية الله:
١٠٠	 التسليم لامر الله:
١٠١	 الحزن:
١٠١	 ذكر الموت:
١٠٢	 كرامات سعيد بن جبیر

٣٨١	فهرس محتويات الكتاب
١٠٢	(١) الدعاء المستجاب:.....
١٠٣	(٢) التنبؤ بموت ابنه:.....
١٠٣	(٣) الرؤيا الصادقة:.....
١٠٤	(٤) شفاء مريض:.....
١٠٤	(٥) تمسح الحيوانات به:.....
١٠٤	(٦) تهليل الرأس المفصول عن الجسد:.....
١٠٥	البعد العبادي.....
١٠٥	قراءة القرآن:.....
١٠٧	الدعاء:.....
١٠٨	الصلاة:.....
١٠٨	أ- التأكيد على الصلاة:.....
١٠٩	ب - قيام الليل:.....
١١٠	ج - الصلوات المستحبة:.....
١١٠	د- التأمل في الصلاة وعند قراءة القرآن فيها:.....
١١٠	هـ- الاستقرار في الصلاة:.....
١١١	و- اذكاره في الصلاة:.....
١١١	ز- إطالة الصلاة:.....
١١٢	ح- احياء الليالي العشر من ذي الحجة.....
١١٢	الصوم يوم عرفة:.....
١١٣	الحج والعمرة:.....
١١٣	اللبث في مكة:.....
١١٤	البعد الأخلاقي والتربوي في حياة سعيد بن جبير.....
١٢٢	الموقف في حياة سعيد بن جبير.....

٣٨٢ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

أ- الموقف العلمي: ١٢٣

١- موقفه من عكرمة: ١٢٣

٢- موقفه من طاووس: ١٢٦

٣- موقفه من عطاء بن أبي رباح: ١٢٦

٤- موقفه من الشعبي: ١٢٧

٥- موقفه من جابر بن زيد: ١٣٠

ب- الموقف العقيدي: ١٣٠

١- موقفه من طلق بن حبيب العنزي: ١٣٠

٢- موقفه من ذر الهمداني: ١٣١

ج- الموقف الثوري الرسالي: ١٣١

١- الكلام أثناء خطبة في الجمعة الحجاج: ١٣٣

٢- الدعاء بالشهادة: ١٣٤

٣- الحجاج كافر: ١٣٥

٤- المشاركة في ثورة القراء أو دير الجماجم: ١٣٥

٥- لا للتسليم أو الاستسلام: ١٣٦

٦- في قصر الحجاج: ١٣٦

أ- الدفاع عن الامام علي بن أبي طالب: ١٣٦

ب- مواجهة الحجاج بحقيقته: ١٣٩

ج- لأقتلك: ١٣٩

د- اختر أي قتله تريد: ١٣٩

هـ- لا لعفو الحجاج: ١٤٠

و- وأخيرا ضحك سعيد: ١٤٠

ز- صلاة ما قبل الرحيل: ١٤٠

فهرس محتويات الكتاب ٣٨٣

ر- وتحققت الأمانة: ١٤٠

القسم الثالث

سعيد بن جبير من الواقع المعاش إلى الثورة

الفصل الاول

البعد السياسي والاجتماعي في واقع سعيد بن جبير

البعد السياسي والأجتماعي ١٤٧

سنة ٥٠ هـ ١٤٨

سنة ٥١ هـ ١٤٨

سنة ٥٣ هـ ١٤٩

سنة ٥٤ هـ ١٤٩

سنة ٥٥ هـ ١٤٩

سنة ٥٦ هـ ١٤٩

سنة ٥٨ هـ ١٤٩

سنة ٥٩ هـ ١٥١

سنة ٦٠ هـ ١٥١

سنة ٦١ هـ ١٥٢

سنة ٦٢ هـ ١٥٢

سنة ٦٣ هـ ١٥٣

٣٨٤ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

سنة ٦٤هـ ١٥٣

سنة ٦٥هـ ١٥٤

سنة ٦٦هـ ١٥٧

سنة ٦٧هـ ١٥٨

سنة ٦٨هـ ١٥٨

سنة ٦٩هـ ١٥٩

سنة ٧٠هـ ١٥٩

سنة ٧١هـ ١٦٠

سنة ٧٢هـ ١٦٠

سنة ٧٣هـ ١٦١

سنة ٧٤هـ ١٦١

سنة ٧٥هـ ١٦٢

سنة ٧٦هـ ١٦٢

سنة ٧٧هـ ١٦٣

سنة ٧٩هـ ١٦٤

سنة ٨٠هـ ١٦٤

سنة ٨١هـ ١٦٤

سنة ٨٢هـ ١٦٥

سنة ٨٣هـ ١٦٥

سنة ٨٦هـ ١٦٦

سنة ٨٧هـ ١٦٦

سنة ٩١هـ ١٦٧

فهرس محتويات الكتاب	٣٨٥
سنة ٩٢هـ:	١٦٧
سنة ٩٤هـ:	١٦٧
حكام زمانه:	١٦٨
١- معاوية بن أبي سفيان	١٦٨
٢- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	١٧٢
٣- معاوية بن يزيد بن معاوية	١٧٤
٤- مروان بن الحكم	١٧٥
٥- عبد الملك بن مروان	١٧٧
٦- الوليد بن عبد الملك بن مروان	١٧٩
أسود ولاة زمانه:	١٨٠
١- زياد بن أبيه	١٨٠
٢- سمرّة بن جندب	١٨١
٣- الضحاك بن قيس الفهري	١٨٢
٤- عبيد الله بن زياد	١٨٣
٥- الحجاج بن يوسف الثقفي:	١٨٣
٦- هشام بن اسماعيل المخزومي	١٩١
خالد بن عبد الله القسري	١٩٢
عثمان بن حيان	١٩٤
الثورات:	١٩٥
سعيد بن جبير والوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي	١٩٥

الفصل الثاني

البعد الجهادي في حياة سعيد بن جبير

٣٨٦	 القرآني الفقيه سعيد بن جبير
٢٠٥	 البعد الجهادي
٢٠٥	 جيش الطواويس
٢٠٦	 لماذا عبد الرحمن بن محمد؟
٢٠٩	 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والحجاج عداوة متبادلة
٢٠٩	 نحو سجستان:
٢١٠	 لا للحجاج:
٢١١	 كتاب ابن الأشعث للحجاج
٢١٢	 سعيد بن جبير في جيش الطواويس
٢١٣	 حركة ابن الأشعث وسعيد بن جبير
٢١٧	 قائد ثورة القراء أو دير الجماجم
٢١٩	 لماذا التحق سعيد بن جبير بابن الأشعث؟
٢٢٢	 المسير نحو الثورة
٢٢٢	 خلع عبد الملك بن مروان
٢٢٣	 بداية المواجهة أو يوم دجيل
٢٢٤	 أسر سعيد بن جبير
٢٢٨	 يوم الزاوية:
٢٢٩	 شخصيات لامعة في دير الجماجم
٢٣٢	 سعيد بن جبير ومهامه في جيش ابن الأشعث
٢٣٤	 وقعة دير الجماجم أو ثورة القراء
٢٣٤	 نحو أرض الثورة
٢٣٦	 لماذا في هذا المكان؟
٢٣٦	 التعبئة العامة
٢٣٧	 صلح عبد الملك بن مروان

٣٨٧	 فهرس محتويات الكتاب
٢٣٩	 تنظيم القوى:
٢٤٠	 وبدأت المعركة:
٢٤٠	 كتيبة القراء في قلب المعركة
٢٤٢	 ومضت الأيام
٢٤٢	 مصرع جبلة أول الوهن
٢٤٣	 إنقلاب موازين المعركة
٢٤٥	 الشهادة بالكفر
٢٤٦	 ما بعد وقعة الجماجم
٢٤٦	 نهاية ابن الأشعث
٢٤٧	 سعيد بن جبير عقيب وقعة الجماجم
٢٤٩	 عيال الثوار

القسم الرابع

سعيد بن جبير من الهجرة إلى الشهادة

الفصل الاول

من الهجرة إلى الاعتقال

٢٥٥	 الهجرة بعد ثورة القراء أو دير الجماجم
٢٦١	 النتيجة:
٢٦٢	 الهجرة الأولى: إلى الري
٢٦٢	 الهجرة الثانية: إلى قم
٢٦٤	 الهجرة الثالثة: نحو اصفهان:
٢٦٦	 الهجرة الرابعة: إلى اذربيجان
٢٦٧	 الهجرة الخامسة: الكوفة

٣٨٨	 القرآن الفقيه سعيد بن جبیر
٢٦٧	 الهجرة السادسة: الى مكة
٢٦٨	 الحجاز قبل إلقاء القبض على سعيد بن جبیر:
٢٧٠	 مدة الاختفاء:
٢٧١	 تحذيرات على اعتاب قدوم الوالي:
٢٧٣	 خالد في مكة:
٢٧٤	 قرار الاعتقال:
٢٨١	 الوشاية بسعيد:
٢٨١	 رسول خالد:
٢٨٣	 وأخيراً أُلقي القبض على سعيد:
٢٨٤	 قائمة المعتقلين:
٢٨٨	 وداعاً أيها البيت الحرام:
٢٨٩	 عدد الجلاوزة:
٢٩١	 الهجرة السابعة: هجرة الشهادة والخلود:
٢٩١	 قصة الرحيل:
٢٩٢	 عند دير الراهب:
٢٩٢	 كرامات الاولياء:
٢٩٣	 رؤيا الحرس:
٢٩٣	 وداع العيال:
٢٩٦	 لقاء الحبيب:
٢٩٨	 سجن سعيد بن جبیر:
٢٩٨	 لماذا البكاء؟
٢٩٩	 تعذيب سعيد بن جبیر:

الفصل الثاني

رحلة الشهادة

٣٠٣	سعيد بن جبير في قصر الحجاج
٣٠٤	الطائفة الاولى: الروايات التي اقتصررت على القتل دون الحوار:
٣٠٤	أولاً: رواية سالم الافطس:
٣٠٤	مضمون الرواية:
٣٠٤	ثانياً: رواية سالم الافطس الثانية:
٣٠٥	مضمون الرواية:
٣٠٥	ثالثاً: رواية عبد الله بن شوذب:
٣٠٥	مضمون الرواية:
٣٠٥	دراسة روايات الطائفة الأولى:
٣٠٦	الطائفة الثانية: الروايات التي ذكرت حوار مما يدين سعيد بن جبير:
٣٠٦	القسم الأول:
٣٠٦	(١) رواية هلال بن خباب:
٣٠٧	مضمون الرواية:
٣٠٧	القسم الثاني:
٣٠٧	(٢) رواية عتبة مولى الحجاج:
٣٠٨	مضمون الرواية:
٣٠٨	(٣) رواية أنس بن أبي الشيخ:
٣٠٩	مضمون الرواية:
٣٠٩	(٤) رواية الفضل بن سويد:
٣١٠	مضمون الرواية:
٣١٠	(٥) رواية الضبي:
٣١١	مضمون الرواية:

٣٩٠ القرآني الفقيه سعيد بن جبير

٣١١ (٦) قال ابو اليقظان

٣١١ مضمون الرواية:

٣١٢ دراسة روايات الطائفة الثانية

٣١٤ الطائفة الثالثة: الروايات التي ذكرت بعض الحوار

٣١٤ ١- رواية سليمان التيمي:

٣١٤ مضمون الرواية:

٣١٥ ٢- رواية إسماعيل السدي:

٣١٥ ٣- رواية عبد الملك بن سعيد بن جبير:

٣١٥ مضمون الرواية:

٣١٦ ٤- رواية سالم بن أبي حفصة:

٣١٦ مضمون الرواية:

٣١٧ ٥- رواية محمد بن عبيد:

٣١٧ مضمون الرواية:

٣١٨ ٦- رواية ابن كثير:

٣١٨ مضمون الرواية:

٣١٨ ٧- رواية ابن كثير:

٣١٨ مضمون الرواية:

٣١٩ دراسة روايات الطائفة الثالثة

٣١٩ الطائفة الرابعة: الروايات التي ذكرت الحوار:

٣١٩ ١- رواية عون بن أبي شذاد العبدي:

٣٢١ مضمون الرواية:

٣٢٢ ٢- رواية الحسن:

٣٢٤ مضمون الرواية:

٣٩١	 فهرس محتويات الكتاب
٣٢٥	 ٣- رواية ابو بكر الهذلي
٣٢٦	 مضمون الرواية:
٣٢٧	 ٤- رواية ابن قتيبة:
٣٣٠	 مضمون الرواية:
٣٣٢	 دراسة روايات الطائفة الرابعة:
٣٣٢	 ملاحظات عامة:
٣٣٦	 حوار القصر:
٣٤١	 القتل الأخير:
٣٤٢	 دماء القتل:
٣٤٣	 رأس القتل:
٣٤٣	 تهليل رأس سعيد بن جبير:
٣٤٥	 جثة سعيد بن جبير:
٣٤٦	 مرقد سعيد بن جبير:
٣٤٧	 لماذا قُتل سعيد بن جبير؟
٣٤٩	 متى قُتل سعيد بن جبير؟
٣٤٩	 الشهر:
٣٤٩	 السنة:
٣٥٠	 الرأي المختار:
٣٥٤	 قالوا بعد شهادة سعيد:
٣٥٤	 وهكذا ينتهي الظلمة:
٣٥٦	 قالوا في سعيد بن جبير
٣٥٩	 فهرس المصادر
٣٧٩	 فهرس محتويات الكتاب